المنتخب من تفسير القرآن

والنكت المستخرجة من كتاب التبيان

للشيخ الجليل

الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس الحلي

من أعلام القرن السادس

المجلد الثاني

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

اشراف

السيد محمود المرعشي النجفي

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 018016913

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

آل ١/٣٣

مخطوطات
مكتبة آية الله المرعشي العامة

(٣٢)

المنتخب من تفسير القرآن

والنكت المستخرجة من كتاب التبيان

للفقيه الجليل

الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس الحلي

من أعلام القرن السادس

الجزء الثاني

تحقيق
السيد مهدي الرجائي

اشراف
السيد محمود المرعشي

2271
.5022
.366
ج٢ ٢

کتابخانه عمومی
حضرت آیت‌الله العظمی مرعشی نجفی قم

* الكتاب : منتخب التبيان ج ٢
* تأليف : الشيخ ابن ادريس الحلى
* تحقيق : السيد مهدى الرجائى
* نشر : مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى العامة قم المقدسة
* طبع : مطبعة سيد الشهداء عليه السلام
* تاريخ الطبع : ١٤٠٩ هـ ق
* العدد : ١٠٠٠
* الطبعة : الاولى
* السعر : ٣٠٠٠ ريال للدورة الكاملة

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR
32101 018016913

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين المعصومين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين

89-B14248-1 (v.1)

التعليق من الجزء السادس

فى تفسير القرآن يشتمل على بقية هود وسورة يوسف

وسورة الرعد وسورة ابراهيم وسورة الحجر وسورة

النحل وسورة بنى اسرائيل وبعض الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل : قوله سبحانه « يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح » الاية : ٤٦ .

في هذه الاية حكاية عما أجاب الله تعالى به نوحاً حين سأله نجاة ابنه ، بأن قال له : يانوح انه ليس من أهلك . وقيل : في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها : قال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وأكثر المفسرين : انه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك ، وأنه كان ابنه لصلبه ، بدلالة قوله «ونادى نوح ابنه» فأضافه اليه اضافة مطلقة .

والثاني: أنه أراد بذلك ليس من أهل دينك، كما قال النبي ﷺ: سلمان منا أهل البيت . وانما أراد على ديننا .

وثالثها : قال الحسن ومجاهد : انه كان لغير رشدة وولد على فراشه ، فسأل نوح على الظاهر ، فأعلمه الله باطن الامر ، فنفاه منه على ماعلمه ، فيكون على هذا هو نفسه عملا[1] غير صالح ، كما يقولون الشعر زهير .

وهذا الوجه ضعيف، لان في ذلك طعناً على النبي ، واضافة مالايليق به اليه. والمعتمد الاول .

وقال ابن عباس : مازنت امرأة نبي قط ، وكانت الخيانة من امرأة نوح أنها كانت تنسبه الى الجنون والخيانة من امرأة لوط أنها كانت تدل على أضيافه. وروي عن علي عليه السلام أنه قرأ «ونادى نوح ابنها» نسبه الى المرأة ، وأنه كان ربيبه .

وروي عن محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام وعروة بن الزبير أنهما قرءا «ونادى نوح ابنه» بفتح الهاء وترك الالف كراهية مايخالف المصحف ، وأراد أن ينسباه الى المرأة وان لم يكن ابنه لصلبه .

الوعظ : الزجر عن القبيح بمايدعو الى الجهل على وجه الترغيب والترهيب والصحيح أن الجهل قبيح على كل حال .

وقال الرماني : انما يكون قبيحاً اذا وقع عن تعمد ، فأما اذا وقع غلطاً أو سهواً ، لم يكن قبيحاً ولا حسناً .

وهذا ليس بصحيح، لان استحقاق الذم عليه يشرط بالعمد ، فأما قبحه فلا كما نقوله في الظلم سواء .

فصل : قوله «قال رب اني أعوذبك» الاية : ٤٧ .

العياذة : طلب النجاة بما يمنع من الشر، يقال : عاذ يعوذ عوذاً وعياذاً فهو عائذ بالله . والعياذ : الاعتصام بما يمنع من الشر .

فصل : قوله «يا نوح اهبط بسلام» الاية : ٤٨ .

---

(١) في التبيان : عمل .

قيل: في معنى«بسلام»وجهان: أحدهما ـ بسلامة منا وتحية منا، قال الاعشى[١]:

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر[٢]

قيل : انه بمعنى والسلام عليكما . وقيل : معناه بتسليم منا .

وقوله«وبركات عليك»معناه : ونعم دائمة وخير ثابت حالا بعد حال، وأصله الثبوت فمنه البروك والبركة لثبوت الماء فيها ، قال الشاعر :

ولا ينجي من الغمرات الا براكاء القتال أو الفرار

أي : الثبوت للقتال . ومعنى« تبارك الله »ثبت تعظيمه بما لم يزل ولا يزال .

فصل : قوله «والى عاد أخاهم هوداً» الاية :٥٠ .

انما سمي عاداً أخا هود مع أنهم كفار وهو نبي، لان المراد بذلك الاخوة في النسب لا في الدين، فحذف لدلالة الحال عليه، ولولا ذلك لم يجز . وقيل: نسبه اليهم لانه كان على لسانهم .

فصل : قوله « اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها» الاية : ٥٦ .

التوكل تفويض الامر الى الله تعالى على طاعته فيما أمر به ، لان ذلك من تسليم التدبير له ، لان أفعاله تعالى كلها جارية على ما هو أصلح للخلق .

الناصية:قصاص الشعر، ومنه قوله«فيؤخذ بالنواصي والاقدام»[٣]وفي جر الرجل بناصيته اذلال له . وأصل الناصية الاتصال من قولهم«مفازة بناصي مفازة»اذا كانت الاخيرة متصلة بالاولى ، قال الشاعر :

في ء تناصيها بلا دفي ء

---

(١) فى التبيان : لبيد .

(٢) ديوان لبيد ١/٢ .

(٣) سورة الرحمن : ٤١ .

فصل : قوله «وتلك عاد جحدوا» الاية : ٥٩ .

الجحد ضد الاعتراف ، والنفي نقيض الاثبات . والجحد خبر بأن المعنى لايعرف صحته . والنفي خبر بعدمه . قال صاحب العين : الجحد انكارك بلسانك ماتستيقنه نفسك.

فصل : قوله«والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله» الاية : ٦١ .

قوله «انشأكم من الارض» قيل : في معناه قولان : أحدهما ـ أنه خلقكم من آدم وآدم من تراب. الثاني : أنه خلقكم في الارض. والاول اختيار الجبائي، وهو الاقوى .

والانشاء هو الايجاد ابتداءاً من غير استعانة بشيء من الاسباب ، والعبادة لاتستحق الا بالنعم المخصوصة التي هي أصول النعم، فلذلك لايستحق بعضنا على بعض العبادة وان استحق الشكر ، ولذلك لايحسن العبادة ابتداءاً ،كما لايحسن الشكر الا في مقابلة النعم .

وقوله « ان ربي قريب مجيب» معناه : انه قريب الرحمة لا من قرب المكان لكنه خرج هذا المخرج لحسن البيان في المبالغة .

فصل : قوله «واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب» الاية : ٦٢ .

الريبة هي الشك ، الا أن مع الريبة تهمة للمعنى ليست في نقيضه ، والشك قد يعتدل فيه النقيضان .

فصل : قوله«قال يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء» الاية : ٦٤ .

المس واللمس متقاربان، وفرق بينهماالرماني بأن المس يكون بين جمادين واللمس لايكون الا بين حيين لما فيه من الادراك .

فصل : قوله «ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاماً» الاية : ٦٩.

قال محمد بن يزيد المبرد: السلام في اللغة يحتمل أربعة أشياء : منها مصدر سلمت . ومنها جمع سلامة . ومنها اسم من أسماء الله . ومنها اسم شجرة ، ومنه قول الاحظل : الاسلام وحرمل .

وقوله «دار السلام» يحتمل أن يكون مضافة الى الله تعظيماً لها. ويجوز أن يكون دار السلام من العذاب ممن حصل فيها .

وقوله «اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»[١] قال سيبوية: زعم أبو الخطاب أن مثله يريد مثل قولك «سبحان الله» تفسيره براءةالله من السوء. وقولك للرجل «سلاماً» تريد تسلماً منك لاابتلى بشيء من أمرك .

فصل : قوله « قالت ياويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً ان هذا لشيء عجيب» الاية : ٧٢ .

معنى « ياويلتى » الانذار بورود الامر الفظيع ، وكان هذا القول من امرأة ابراهيم على وجه التعجب بطبع البشرية، اذ ورد عليها مالم تجربه العادة قبل أن تفكر في ذلك ،كما ولى موسى عليه السلام مدبراً حين انقلبت العصا حية ، حتى قيل له : « أقبل ولاتخف »[٢] . والا فهي كانت مؤمنة عارفة بأن الله تعالى يقدر على ذلك .

قال الرماني: والسبب في أن العجوز لاتلد أن الماء الذى يخلق الله عزوجل منه الولد مع نطفة الرجل قد انقطع بدلالة ارتفاع الحيض، فجعل الله الولد على تلك الحال معجزاً لنبيه ابراهيم عليه السلام .

والبعل الزوج، وأصله القائم بالامر، فيقولون للنخل الذي يستغني بماءالسماء عن سقي الانهار والعيون بعل ، لانه قائم بالامر في استغنائه عن تكلف السقي له،

(١) سورة الفرقان : ٦٣ .

(٢) سورة القصص : ٣١ .

ومالك الشيء القيم بتدبيره بعل ، ومنه قوله « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين»[١] .

و « شيخاً » نصب على الحال ، والعامل فيها[٢] مافي هذا من معنى الاشارة والتنبيه .

فصل : قوله «وجاءه قومه يهرعون اليه» الاية : ٧٨ .

قيل : في وجه عرض المسلمة على الكفار قولان : قال الحسن : ان ذلك كان جائزاً في شرع لوط وفي صدر الاسلام أيضاً ، ولذلك زوج النبي ﷺ بنته من أبي العاص قبل أن يسلم ، ثم نسخ بقوله « ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا»[٣] .

والثاني: قال الزجاج: انذلك عرض بشرط أن يسلموا، كماهو على شرط النكاح الصحيح . والضيف يقع على الواحد والاثنين والجماعة .

فصل: قوله «قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد» الاية : ٨٠.

انما قال هذا القول مع أنه كان يأوي الى الله تعالى، لانه انما أراد العدة من الرجال ،والا فله ركن شديد ويثق من معونة الله ونصره، الا أنه لايصح التكليف الا مع التمكين والقوة : القدرة .

فصل : قوله «قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع» الاية : ٨١ .

قوله « بقطع من الليل » فالقطع القطعة العظيمة تمضي من الليل . وقال ابن عباس: طائفة من الليل. وقيل : هو نصف الليل كأنه قطع بنصفين، ذكره الجبائي.

---

(١) سورة الصافات : ١٢٥ .

(٢) في التبيان : فيه .

(٣) سورة البقرة : ٢٢١ .

وقوله « ولايلتفت منكم أحد » قيل : في معناه قولان :

أحدهما: قال مجاهد: لاينظر وراءه أحد، كأنهم تعبدوا بذلك بالنجاة بالطاعة في هذه العبادة .

والاخر قال أبو علي : لايلتفت منكم أحد الى ماله ولامتاعه بالمدينة وليس المعنى لايلتفت من الرؤية، كأنه أراد أن في الرؤية عبرة فلم ينهوا عنها، وانما نهوا عما يفترهم عن الجد في الخروج من المدينة .

فصل : قوله « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها » الاية : ٨٢ .

قيل : في معنى « سجيل » ثمانية أقوال : أحدها ـ أنها حجارة صلبة ليست من جنس حجارة الثلج والبرد . وقيل : هو فارسي معرب سنك وكل، ذكره ابن عباس وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير .

وقال الفراء : من طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الاجر .

سادس الاقوال من السجل وهو الكتاب، فتقديره من مكتوب الحجارة ، ومنه قوله « كلا ان كتاب الفجار لفي سجين * وما أدراك ماسجين * كتاب مرقوم »[1] وهي حجارة كتب الله أن يعذبهم بها ، اختاره الزجاج .

وقوله « مسومة » يعني : المعلمة ، وذلك لانه جعل فيها علامات تدل على أنها معدة للعذاب فأهلكوا بها. وأصل المسومة السيماء وهي العلامة ، وذلك أن الابل السائمة يختلط في المرعى ، فيجعل عليها السيماء لتمييزها .

فصل : قوله « ولاتنقصوا المكيال والميزان اني أراكم بخير » الاية : ٨٤ .

قوله « اني أراكم بخير » يعني: برخص السعر، وحذرهم من الغلاء . والنقصان أخذ الشيء عن المقدار، والزيادة ضم الشيء الى المقدار، وكله خروج عن المقدار ونقصه عنه .

---

(١) سورة المطففين : ٧ ـ ٩ .

والوزن تعديل الشيء بغيره في الخفة والثقل بآلة التعديل . واذا قيل : شعر موزون ، فمعناه معدل بالعروض .

فصل : قوله « وما توفيقي الا بالله » الاية : ٨٨ .

التوفيق عبارة عن اللطف الذي تقع عنده الطاعة، وليس ذلك جنساً بل بحسب ما يعلم الله تعالى ، وانما لم يكن الموفق للطاعة الا الله ، لان أحداً لايعلم مايتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواه تعالى .

فصل : قوله « واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه » الاية : ٩٠ .

قيل : في معنى ذلك قولان : أحدهما ـ أطلبوا المغفرة من الله ، بأن يكون غرضكم وتوصلوا اليها بالتوبة .

الثاني : استغفروا ربكم ثم أقيموا على التوبة .

فصل : قوله « قالوا يا شعيب ما نفقه » الاية : ٩١ .

أي: لسنا نفهم عنك معنى كلامك. والفقه : فهم الكلام على ماتضمن من المعنى وقد صار علماً لضرب من علوم الدين ، فصار الفقه عبارة عن علم مدلول الدلائل السمعية . وأصول الدين علم مدلول الدلائل العقلية .

فصل : قوله « وأخذت الذين ظلموا الصيحة » الاية : ٩٤ .

قال البلخي : يجوز أن تكون الصيحة صيحة على الحقيقة، كما روي أن الله تعالى أمر جبرئيل فصاح بهم صيحة ماتوا كلهم من شدتها . ويجوز أن يكون ضرباً من العذاب أهلكهم واصطلمهم تقول العرب : صاح الزمان بآل فلان اذا هلكوا ، قال امرء القيس :

دع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل[٣]

ومعنى صيح في حجراته ، أي : أهلك وذهب به .

---

(١) ديوان امرء القيس : ١٧٤ .

فصل : قوله « كأن لم يغنوا فيها » الاية : ٩٥ .

يقال : غنى بالمكان اذا أقام به على وجه الاستغناء به عن غيره واتخاذه وطناً ومأوى يأوي اليه ، ولذلك قيل للمنازل المغاني. وبعدت وبعدت بالكسر والضم لغتان، وكانت العرب تذهب بالرفع الى التباعد ، وبالكسر الى الدعاء وهما واحد.

فصل : قوله « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين » الاية : ٩٦ .

السلطان والايات وان كان معناهما الحجج، فانما عطف احداهما على الاخرى لاختلاف اللفظ . واشتقاق السلطان من السليط، وهو ما يستضاء به ، ومن ذلك قيل للزيت : السليط .

وقوله «الى فرعون وملاه» معناه أنه أرسل موسى الى فرعون وأشراف قومه الذين تملا الصدور هيبتهم .

فصل : قوله «بئس الورد المورود» الاية : ٩٨ .

الورد ما يجعله عادة لقراءة أو تلاوة للقرآن. والورد ورد الحمى، كل ذلك بكسر الواو .

فصل : قوله«وما زادوهم غير تتبيب»الاية : ١٠١ .

التتبيب بمعنى غير تخسير ، في قول مجاهد وقتادة ، مأخوذ من تبت يده أي خسرت ، ومنه تباً له ، قال جرير :

عرادة من بقية قوم لوط ألا تباً لما فعلوا تباباً[1]

فصل : قوله«وما نؤخره الا لاجل معدود * يوم يأت لاتكلم نفس الا باذنه» الاية : ١٠٤ ـ ١٠٥ .

انما وصف الاجل بأنه معدود ، لانه متناه منتقص ، لان كل معدود قد وجد عدده لايكون ذلك الا متناهياً .

---

(١) ديوان جرير ص٧٢ .

فان قيل : كيف قال ها هنا«يوم يأتي لاتكلم نفس الا باذنه» وقال في موضع آخر«هذا يوم لاينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون»[١] وقال في موضع آخر«هذا يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها»[٢] وقال«وقفوهم انهم مسؤولون»[٣] وقال في موضع آخر«فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولا جان»[٤] وهل هذا الا ظاهر التناقض ؟

قلنا: لاتناقض في ذلك، لان معنى قوله«وقفوهم انهم مسؤولون»انما يسألون سؤال توبيخ وتقرير وتقريع لايجاب الحجة عليهم لاسؤال استفهام ، لانه تعالى عالم بذلك لنفسه .

وقوله«فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولا جان» أي: لايسأل ليعلم ذلك منه، من حيث أنه تعالى قد علم أعمالهم قبل أن يعملوها . وقيل: معناه انه لايسأل عن ذنب المذنب انس ولا جان غيره ، وانما يسأل المذنب لا غير . وكذلك قوله «يوم لاينطقون»أي: لاينطقون بحجة، وانما يتكلمون بالاقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضاً وطرح بعضهم على بعض الذنوب .

فأما التكلم بحجة فلا، وهذا كما يقول القائل لمن يخاطب بخطاب كثير فارغ من الحجة ما تكلمت بشيء ، فسمي من يتكلم بما لا حجة فيه غير متكلم كما قال«صم بكم عمي فهم لايعقلون»[٥] وهم كانوا يبصرون ويسمعون .

وقال بعضهم: ان ذلك اليوم يوم طويل له مواضع ومواطن ومواقف في بعضها يمنعون من الكلام، وفي بعضها يطلق لهم ذلك، بدلالة قوله«يوم يأتي لاتكلم نفس الا باذنه» وكلاهما حسن ، والاول أحسن .

---

(١) سورة المرسلات : ٣٥ ـ ٣٦ .

(٢) سورة النحل : ١١١ .

(٣) سورة الصافات: ٢٤ .

(٤) سورة الرحمن : ٣٩ .

(٥) سورة البقرة : ١٧١ .

فصل : قوله «خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد» الاية : ١٠٧ .

الخلود : الكون في الامر أبداً . والدوام : البقاء أبداً ، ولهذا يوصف تعالى بأنه دائم ولا يوصف بأنه خالد .

وقوله«الا ماشاء ربك»اختلفوا في هذا الاستثناءعلى عدةأقوال، فالذي نختاره ويليق بمذهبنا فيالارجاء ان الله تعالى أخبر أنالاشقياء المستحقين للعقاب يحصلون في النار .

ثم استثنى من أراد من فساق أهل الصلاة اذا أراد التفضل باسقاط عقابه ، أو من يشفع فيه النبي ﷺ ، فعند ذلك لا يدخله النار ، ويكون على هذا«ما»معناها «من»كأنه قال : الا من شاء ربك فلا يدخله النار ، وهو قول ابن عباس وقتادة والضحاك وجابر بن عبدالله وأبي سعيد الخدري وجماعة من المفسرين .

فصل : قوله «وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك» الاية : ١٠٨ .

معنى «ما دامت السماوات والارض» المصدر ،كأنه قال : دوام السماوات والارض الا مشيئة ربك ، وفيه حسن التقابل ، وفيه جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار .

الا الوجهين الذين ذكرناهمافي جواز اخراج بعض الاشقياء من تناول الوعيد لهم أو اخراجهم من النار بعد دخولهم فيها ، فان ذلك لايجوز هاهنا ، لاجماع الامة على أن كل مستحق للثواب لابد أن يدخل الجنة ولا يخرج منها بعد دخوله .

وقيل: فيه وجه آخر يوافق ماقلناه في الاية الاولى، وهو أن يكون المعنى أن الذين سعدوا بطاعات الله يدخلون الجنة خالدين فيها .

واستثنى من جملتهم من كان مستحقاً للنار وأراد الله عقابهم، ثم اخراجهم منها

فكأنه قال: خالدين فيها الامدة ماكانوا معاقبين في النار، ذهب اليه الضحاك، وهو يليق بقولنا في الارجاء .

فصل : قوله « ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » الاية : ١١٣ .

نهى الله تعالى في هذه الاية عباده المكلفين عن أن يركنوا الى الذين ظلموا نفوسهم وغيرهم. والركون الى الشيء هو السكون اليه بالمحبة له والانصات اليه ، ونقيضه النفور عنه .

وانما نهاهم عن الركون الى الظلمة، لما في ذلك من التأنيس به، فتمسكم النار جواب النهي وبيان ، لانهم متى خالفوا هذا النهي وسكنوا الى الظالمين نالتهم النار ، ولم يكن لهم ناصر من دون الله يدفع عنهم، ثم لايجدون من ينصرهم .

فصل : قوله « وأقم الصلاة طرفي النهار » الاية : ١١٤ .

قوله « طرفي النهار » يريد بها صلاة الفجر والمغرب ، في قول ابن عباس والحسن وابن زيد والجبائي .

وقال الزجاج : يعني الغداة والظهر والعصر، وبه قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي والضحاك .

ويحتمل أن يريد بذلك صلاة الفجر والعصر ، لان طرف الشيء من الشيء، وصلاة المغرب ليست من النهار .

وقوله « وزلفاً من الليل » قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد : يريد عشاء الاخرة .

وقال الزجاج : يعني المغرب والعشاء الاخرة. والزلفة المنزلة وجمعها زلف قال العجاج :

ناج طواه الاين مما وجفا طي الليالي زلفاً فزلفاً [1]

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٠٠ .

ومنه اشتقاق المزدلفة ، لازدلاف الناس اليه منزلة من عرفات .

فصل: قوله «واتبع الذين ظلموا ماأترفوا » الاية: ١١٦ .

معنى « أترفوا فيه » أي: عودوا الترفه بالنعيم واللذة ، وذلك أن الترفه عادة النعمة ، قال الشاعر :

يهدي رؤوس المترفين الصداد الى أمير المؤمنين الممتار

أي : المسؤول فأبطرتهم[1] النعمة حتى طغوا وبغوا .

وفي الاية دلالة على وجوب النهي عن المنكر ، لانه تعالى ذمهم بترك النهي عن الفساد ، وأنه نجى القليل بنهيهم ، فلو نهى الكثير كما نهى القليل لما أهلكوا .

ومعنى« أولي بقية »أصحاب جماعة تبقى من تسألهم والبقية ممدوحة ، يقال: في فلان بقية ، أي : فيه فضل وخير كأنه قيل : بقية خير من الخير الماضي .

فصل : قوله « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » الاية : ١١٨ .

هذه الاية تتضمن الاخبار عن قدرته تعالى بأنه لوشاء تعالى لجعل الناس امة واحدة ، أي : على دين واحد كماقال« انا وجدنا آباءنا على امة »[2] وقال«ولولا أن يكون الناس أمة واحدة »[3] أي : على دين واحد ، بأن يلجاهم الى الاسلام، بأن يخلق في قلوبهم العلم بأنهم لو راموا غير ذلك لمنعوا منه .

لكن ذلك ينافي التكليف ويبطل الغرض بالتكليف لان الغرض به استحقاق الثواب ، والالجاء يمنع من استحقاق الثواب .

وقوله « ولايزالون مختلفين » معناه: في الاديان كاليهود والنصارى والمجوس

---

(١) في التبيان : وأبطربهم .

(٢) سورة الزخرف : ٢٢.

(٣) سورة الزخرف : ٣٣ .

وغير ذلك من اختلاف المذاهب الباطلة .

والاختلاف هو اعتقاد كل واحد نقيض مايعتقده الاخر ، وهو مالايمكن أن يجتمعا في الصحة ، وان أمكن أن يجتمعا في الفساد . ألا ترى أن اليهودية والنصرانية لا يجوز أن يكونا صحيحتين مع اتفاقهما في الفساد .

ويجوز أن يكون في اختلاف أهل الملل المخالفة للاسلام حق ، لان اعتقاد اليهودي أن النصرانية باطلة ، واعتقاد النصراني أن اليهودية فاسدة حق .

والمعنى : ولايزالون مختلفين بالباطل الامن رحم ربك بفعل اللطف لهم .

وقوله « ولذلك خلقهم » قيل: في معناه قولان :

أحدهما : قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك أن المراد وللرحمة خلقهم وليس لاحد أن يقول : لو أراد ذلك لقال ولتلك خلقهم ، لان الرحمة مؤنثة اللفظ وذلك أن تأنيث الرحمة ليس بتأنيث حقيقي ، وما ذلك حكمه جاز أن يعبر عنه بالتذكير ، ولذلك قال الله تعالى « ان رحمة الله قريب من المحسنين »[1] ولم يقل قريبة .

الثاني : أن يكون اللام لام العاقبة ، والتقدير: انه خلقهم وعلم أن عاقبتهم تؤول الى الاختلاف المذموم ، كما قال «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً»[2] ولايجوز أن يكون اللام لام الغرض، ويرجع الى الاختلاف المذموم ، لان الله تعالى لايخلقهم ويريد منهم خلاف الحق ، لانه صفة نقص يتعالى الله عن ذلك .

وأيضاً فلو أراد منهم ذلك الاختلاف لكانوا مطيعين له ، لان الطاعة هي موافقة الارادة أو الامر ، ولو كانوا كذلك لم يستحقوا عقاباً وقد قال تعالى « وما خلقت

---

(١) سورة الاعراف : ٥٦ .

(٢) سورة القصص : ٨ .

الجن والانس الاليعبدون »[١] فبين أنه خلقهم وأراد منهم العبادة، فكيف يجوز مع ذلك أن يكون مريداً لخلاف ذلك ؟ وهل هذا الاتناقض ؟ يتعالى الله عن ذلك .

على أن في اختلاف أهل الضلال مايريده الله ، وهو اختلاف اليهود والنصارى في التثليث ، واختلاف النصارى لليهود في تأبيد شرع موسى .

فصل : قوله « ولله غيب السماوات والارض » الاية : ١٢٣ .

الغيب كون الشيء بحيث لايلحقه الحس ، ومنه « عالم الغيب والشهادة »[٢] أي : عالم الموجود والمعدوم ومايغيب عن احساس الناس ومايظهر .

ومعنى « واليه يرجع الامر كله » أي : يذهب الى حيث ابتدأ منه ، فرجوع الامر الى الله بالاعادة بعد النشأة الاولى . وقيل : ترجع الامور الى الله لايملكها سواه .

سورة يوسف

فصل : قوله « الر تلك آيات الكتاب المبين » الاية : ١ .

المبين معناه المظهر لحلال الله وحرامه والمعاني المرادة به، وهو قول مجاهد وقتادة . والبيان هو الدلالة .

فصل : قوله « انا أنزلناه قرآناً عربياً » الاية : ٢ .

القرآن كلام في أعلى طبقة البلاغة، ووجه بلاغة القرآن كونه في نهاية التلاؤم المنافي للتنافر في تأليف اللفظ والمعنى ، مع تشاكل المقاطع في الفواصل بما يقتضيه المعنى ، ومع تصريف القول على أحسن ماتصرف به المعنى .

والعقل مجموع علوم يتمكن معها من الاستدلال بالشاهد على الغائب ويفصل

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٢) سورة التوبة : ٩٥ وغيرها .

به بين الحسن والقبيح ، ثم يجري على كل مايعقله الانسان في نفسه من المعاني.

وفي الاية دلالة على أن كلام الله محدث ، لانه وصفه بالانزال وبأنه عربي ، ولايوصف بذلك القديم . وفيه دلالة على أن القرآن غير الله، لانه وصفه بأنه عربي ومن زعم أن الله عربي كفر وماكان غير الله فهو محدث .

فصل: قوله «اذ قال يوسف لابيه ياأبت اني رأيت أحد عشر كوكباً »الاية: ٤.

انما أعاد ذكر « رأيتهم » لامرين :

أحدهما للتوكيد حيث طال الكلام .

الثاني : ليدل أنه رآهم ورآى سجودهم .

وفي معنى سجودهم له قيل : قولان :

أحدهما : هو السجود المعروف على الحقيقة تكرمة له لاعبادة له .

والثاني : الخضوع له في قول أبي علي ،كما قال الشاعر :

ترى الاكم فيه سجداً للحوافر

وهو ترك الظاهر ، وقال الحسن : الاحد عشر كوكباً اخوته ، والشمس والقمر أبواه . وانما قال « ساجدين » بالياء والنون ، وهو جمع مايعقل لانه لماوصفها بفعل مايعقل من السجود أجرى عليها صفات مايعقل ،كما قال « ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم »[1] لما أمروا أمر من يعقل .

فصل : قوله تعالى «قال يابني لاتقصص رؤياك » الاية : ٥ .

انما صغر« بني » مع عظم منزلته ، لانه قصد بذلك صغر السن ، ولم يقصد به تصغير الذم . والرؤيا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار ، وذلك أن العقل مغمور بالنوم ، فاذا تصور الانسان المعنى توهم أنه يراه .

فصل : قوله « وكذلك يجتبيك ربك » الاية : ٦ .

---

(١) سورة النمل : ١٨ .

الاجتباء اختيار معالي الامور للمجتبى ، مثل مااختاره الله تعالى ليوسف من الخصال الكريمة والامور السنية .

فصل : قوله «اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة »الاية: ٨.

العصبة : الجماعة التي يتعصب[1] بعضها لبعض وكانوا عشرة. والعصبة تقع على جماعة من عشرة الى خمسة عشر ، ولاواحد له من لفظه ، كالرهط والقوم والنفر .

وقوله « ان أبانا لفي ضلال مبين » معناه : الاخبار عن قولهم ان أبانا في ذهاب عن طريق الحق والصواب الذي فيه التعديل بل بيننا في المحبة ، ولم يريدوا الضلال في الدين ،لانهم لو أرادوا ذلك لكانوا كفاراً ، وذلك خلاف الاجماع.

وأكثر المفسرين على أن اخوة يوسف كانوا أنبياء . وقال قوم : لم يكونوا كذلك وهو مذهبنا ، لان الانبياء لايجوز أن تقع منهم القبائح وخاصة ما فعلوه مع أخيهم يوسف من طرحه في الجب وبيعهم اياه بالثمن البخس وادخالهم الغم به على أبيهم يعقوب ، وكل ذلك يبين أنهم لم يكونوا أنبياء .

فصل : قوله «قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه» الاية : ١٠ .

الالتقاط : تناول الشيء من الطريق ، ومنه اللقطة واللقيط، ومعنى التقاطه أن يجدوه من غير أن يحتسبوه ، يقال : وردت الماء التقاطاً اذا وردته من غير أن تحسبه .

فصل : قوله « وانا له لناصحون » الاية : ١١ .

النصح : اخلاص العمل من فساد يتعمد ، ونقيضه الغش . والنصح في التوبة اخلاصها مما يفسدها ، وذلك واجب فيها ، وهي التوبة النصوح .

---

(١) في التبيان : يعين .

فصل : قوله « انا اذن لخاسرون » الاية : ١٤ .

الخسران : ذهاب رأس المال. والربح: زيادة على رأس المال .

فصل : قوله « وجاؤا أباهم عشاءاً يبكون » الاية : ١٦ .

العشاء آخر النهار ، ومنه اشتق الاعشى ،لانه يستضيء ببصرضعيف . والبكاء جريان الدمع من العين عند حال الحزن .

فصل : قوله « والله غالب على أمره » الاية : ٢١ .

معناه : أنه قادرعليه من غيرمانع حتى يقع ماأراد منه وقوع المقهور بالغلبة في الذلة ، ولايدل ذلك على أن من فعل ماكرهه الله يكون قد غالب الله ، لان المراد بذلك ماقلناه من أنه غالب على مايريد فعله لعباده .

فاما مايريده على وجه الاختيار منهم ، فلا يدل على ذلك ، ولذلك لايقال : ان اليهودي المقعد قد غلب الخليفة ، حيث لم يفعل ماأراده الخليفة من الايمان وفعل ماكرهه من اليهودية ، وهذا واضح .

فصل : قوله « ولقد همت به وهم بها » الاية : ٢٤ .

معنى الهم في اللغة على وجوه :

منها العزم على الفعل ،كقوله « اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم »[1] أي: أرادوا ذلك وعزموا عليه ، ومثله قول الشاعر :

همت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

ومنها: خطور الشيء بالبال وان لم يعزم عليه ،كقوله «اذهمت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما »[2] والمعنى : ان الفشل خطر ببالهم .

ولوكان الهم هاهنا عزماً لماكان الله وليهما ،لانه قال « ومن يولهم يومئذدبره

---

(١) سورة المائدة : ١٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٢٢ .

الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله »[1] وارادة المعصية والعزم عليها معصية بلا خلاف .

وقال قوم : العزم على الكبير كبير ، وعلى الكفر كفر ، ولايجوز أن يكون الله ولي من عزم على الفرار عن نصرة نبيه عليه السلام ، ويقوى ذلك قول كعب بن زهير :

فكم فيهم من سيد متوسع ومن فاعل للخير ان هم أو عزم

ففرق بين الهم والعزم ، وظاهر التفرقة يقتضي اختلاف المعنى ، ومنها المقاربة يقولون : هم بكذا وكذا ، أي : كاد يفعله ، قال ذو الرمة :

أقول لمسعود بجرعاء مالك وقد هم دمعي أن تلج[2] أوائله

والدمع لايجوز عليه العزم ، وانما أراد كاد وقارب ، وعلى هذا قوله « جداراً يريد أن ينقض »[3] أي : كاد .

ومنها الشهوة وميل الطباع ، يقول القائل فيما يشتهيه ويميل طبعه ونفسه اليه : هذا من همي ، وهذا أهم الاشياء الي .

وروي هذا التأويل في الاية عن الحسن فقال : أما همها فكان أخبث الهم . وأما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء .

واذا احتمل الهم هذه الوجوه ، نفينا عنه عليه السلام العزم على القبيح ، وأجزنا باقي الوجوه لان كل واحد منها يليق بحاله .

ويمكن أن يحمل الهم في الاية على العزم ، ويكون المعنى : وهم بضربها ودفعها عن نفسه ، كما يقول القائل : كنت هممت بفلان ، أي : بأن أوقع به ضرباً أو مكروهاً .

---

(١) سورة الانفال : ١٦ .

(٢) في التبيان : تسيح .

(٣) سورة الكهف : ٧٨ .

فصل : قوله « وقلن حاش لله ماهذا بشراً » الاية : ٣١ .

قال أبو علي الفارسي : لايخلو قولهم « حاشى لله » من أن يكون الحرف الجار في الاستثناء كما قال الشاعر :

حاشى أبى ثوبان

أو فاعلا من قولهم « حاشى بحاشى » ولايجوز أن يكون حرف الجر ،لان حرف الجر لايدخل على مثله ، فاذا بطلت ذلك ثبت أنه فاعل مأخوذ من الحشى الذي هو الناحية . والمعنى : انه صار في ناحية مما قرف[1] به ، وفاعله يوسف. والمعنى بعد عن هذا الذي رمي به .

« لله » أي : لخوفه من الله ومراقبته أمره .

فصل : قوله « قال رب السجن أحب الي » الاية : ٣٣ .

انما جاز أن يقول : السجن أحب الي من ذلك وهو لايحب مايدعونه اليه ولايريده ولايريد السجن أيضاً ، لانه ان أريد به المكان فذلك لايراد ، وان أريد به المصدر فهو معصية منها ، فلا يجوز أن يريده لامرين :

أحدهما : ان ذلك على وجه التقدير ، ومعناه : اني لو كنت مما أريده لكانت أرادني لهذا أشد .

الثاني : أن المراد أن توطين نفسي على السجن أحب الي .

وقيل : معناه ان السجن أسهل علي مما يدعونني اليه .

وقوله « والاتصرف عني كيدهن » معناه : ضرر كيدهن ، لان كيدهن قد وقع وحصل .

فصل : قوله « اني أراني أعصر خمراً » الاية : ٣٦ .

الخمر : عصير العنب اذاكان فيه الشدة ، والتقدير : أعصر العنب للخمر .

---

(١) كذا ، وفي التبيان : قذف .

وقال الضحاك : هي لغة يسمى العنب خمراً ، ذكر جماعة أنها لغة عمان .

والاحسان : النفع الواصل الى الغير اذا وقع على وجه يستحق به الحمد. وان اختصرت فقلت هو النفع الذي يستحق عليه الحمد جاز ، لان مايفعله الانسان مع نفسه لايسمى احساناً .

فصل : قوله « واتبعت ملة آبائي ابراهيم » الاية : ٣٨ .

الملة مذهب جماعة يحمى بعضها بعضاً في الديانة، وأصله الحمى من المليلة وهي حمى يلحق الانسان دون الحمى .

والاباء جمع أب ، وهو الذي يكون منه نطفة الولد . والام الانثى التي يكون منها الولد . والجد أب بواسطة ، ولايطلق عليه صفة أب ، وانما يجوز ذلك بقرينة تدل على أنه أب بواسطة الابن ، وجد الاب أب بواسطتين .

فصل : قوله «الأسماء سميتموها أنتم وآباؤكم» الاية : ٤٠ .

قيل : في معناه قولان :

أحدهما : أنه لما كانت الاسماء التي سموا بها آلهتهم لاتصح معانيها ، صارت كأنها أسماء فارغة يرجعون في عبادتهم اليها، فكأنهم انما يعبدون الاسماء، لانه لا يصح معاني يصح لها من اله ورب .

الثاني : الأصحاب أسماء سميتموها لاحقيقة لها .

والعبادة هي الاعتراف بالنعمة مع ضرب من الخضوع في أعلى الرتبة، ولذلك لايستحقها الا الله تعالى .

فصل : قوله « قضي الامر الذي فيه تستفتيان » الاية : ٤١ .

الاستفتاء طلب الفتيا ، والفتيا جواب بحكم المعنى فهو غير الجواب بعلته[1].

فصل : قوله « قال تزرعون سبع سنين دأباً » الاية : ٤٧ .

---

(١) في التبيان : بعينه .

الزرع طرح الحب في الارض بالدفن مع التعاهد له بالسقي ، تقول: زرع يزرع زرعاً وازدرع ازدراعاً وزارعه مزارعة .

والحصد قطع الزرع ، حصده يحصده حصداً ، واستحصد الزرع اذا حان حصاده .

فصل : قوله « وقال الملك ائتوني به » الاية : ٥٠ .

الملك هو القادر الواسع المقدور الذي اليه السياسة والتدبير، وكان هذا الملك ملك مصر .

ويجوز أن يمكن الله الظالم من الظلم وينهاه عن فعله ، ولايجوز أن يملكه الظلم ، لان مايملكه فقد جعل له ، وذلك لايليق بعدله ، وعلى هذا اذا مكن الله تعالى من الظلم أو الغصب لايكون ملكه ، لانه لم يجعل له التصرف فيه، بل زجره عنه.

فصل : قوله « اجعلني على خزائن الارض » الاية : ٥٥ .

طلب اليه ذلك ليحفظ ذلك عمن لايستحقه ويوصله الى الوجوه التي يجب صرف الاموال اليها ، فلذلك رغب الى الملك فيه ، لان الانبياء لايجوز أن يرغبوا في جمع أموال الدنيا الالما قلناه .

وقوله « اني حفيظ عليم » معناه حافظ للمال عمن لايستحقه عليم بالوجوه التي يجب صرفها اليه .

وفي الاية دلالة على جواز تقلد الامر من قبل السلطان الجائر اذا تمكن معه من ايصال الحق الى مستحقه .

فصل : قوله « وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوء منها » الاية : ٥٦ .

التبوء هو اتخاذ منزل يرجع اليه ، وأصله الرجوع من « باؤا بغضب من الله» قال الشاعر :

فان تكن القتلى بواء فانكم فتى ماقتلتم آل عوف بن عامر

أي : يرجع بدم بعضها على بعض ، فان هذا المقتول لاكفاء لدمه .

فصل : قوله « ألا ترون أني أوفي الكيل » الاية : ٥٩ .

الوفاء تمام الامر على مايوجبه الحق ، ويكون ذلك في الكيل وفي الوزن وفي الذرع وفي العد وفي العقد .

فصل : قوله « ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ماكان يغني عنهم من الله شيء الاحاجة في نفس يعقوب قضاها » الاية : ٦٨ .

لما وردوا عليه ودخلوا اليه من أبواب متفرقة حسب ماأمرهم به أبوهم ورغبهم فيه لم يكن يعقوب يغني عنهم من الله شيئاً الاحاجة في نفس يعقوب قضاها من خوف العين عليهم أو الحسد ، على اختلاف القولين .

فصل : قوله « وما شهدنا الا بما علمنا » الاية : ٨١ .

الشهادة خبر عن مشاهدة اقرار أو حال ، ويجوز أن يشهد الانسان بما علمه من جهة الدليل ، كشهادتنا بأن لااله الا الله وأن محمداً رسول الله .

فصل : قوله « وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » الاية : ٨٤ .

أخبر الله بأنه ابيضت عيناه . والمعنى : انه عمي فلم يبصر شيئاً . والعين حاسة الادراك للمرئيات .

والحزن الغم الشديد ، وهو من الحزن وهي الارض الغليظة والكظيم هو الممسك للحزن في قلبه لايبثه بما لايجوز الى غيره .

فصل : قوله «قال انما أشكوا بثي وحزني الى الله » الاية : ٨٦ .

البث، تفريق الهم باظهاره عن القلب ، يقال : بثه مافي نفسه بثاً وأبثه ابثاثاً، وبث الخيل على العدو اذا فرقها .

والبكاء ليس بممنوع منه في الشرع ، وانما الممنوع اللطم والخدش والجز وتخريق الثياب والقول الذي لايسوغ ، وكل ذلك لم يكن منه عليه السلام .

فصل : قوله « اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي » الاية : ٩٣ .

هذا اخبار من الله تعالى بأن يوسف أعطى اخوته قميصه وقال لهم : احملوه الى أبي يعقوب واطرحوه على وجهه، فانه يرجع بصيراً ويزول عنه العمى، وذلك معجز دال على نبوته ، لانه على قول المفسرين كالحسن والسدي وغيرهما : كان قد عمي ، ولولا أن الله أعلمه أنه يرجع بصيراً لم يدر أنه يرجع اليه بصره .

فصل : قوله « مسنا وأهلنا الضر » الاية : ٨٨ .

الاهل : خاصة الشيء الذي ينسب اليه ، ومنه قوله « ان ابني من أهلي »[١] وتسمى زوجة الرجل بأنها أهله ، وكذلك أهل البلد وأهل الدار، وهم خاصته الذين ينسبون اليه .

فصل : قوله « وهذا اخي قد من الله علينا » الاية : ٩٠ .

أي : أنعم علينا بنعمة قطعتنا عن حال الشدة ، يقال : من الله عليه يمن مناً ، وأصله القطع من قوله « لهم أجر غير ممنون »[٢] أي: غير مقطوع ، ومنه من عليه في الصنيعة اذا ذكرها بما يجري مجرى التعيير بها ـ لانه قاطع عن شكرها .

والمنون الموت لانه يقطع عن تصرف الاحياء . والاحسان فعل حسن يستحق به الحمد .

فصل : قوله « لاتثريب عليكم اليوم » الاية : ٩٢ .

معناه : لاتأثير[٣] عليكم اليوم بما سلف منكم . والتثريب تعليق الضرر لصاحبه من أجل جرم كان منه .

وقال سفيان: معنى « لاتثريب » لاتعيير. وقيل : معناه لاتخليط بعائد مكروه.

---

(١) سورة هود : ٤٥ .

(٢) سورة فصلت : ٨ وغيرها .

(٣) في التبيان : لابأس.

قيل : في معنى قوله « يغفر الله لكم » قولان :

أحدهما : أنه دعالهم بالمغفرة ، ويكون الوقف عند قوله « لاتثريب عليكم اليوم » ثم ابتدأ فقال « يغفر الله » وقد وقف بعضهم عند قوله « عليكم » والاول أجود .

الثاني : لما كان ظلمهم له معلقاً باحلاله اياهم منه حسن هذا القول ، لان الله هو الاخذ له بحقه الا أن يصفح .

فصل : قوله « ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا » الاية : ٩٧ .

أي : سل الله أن يستر علينا ذنوبنا لايعاقبنا عليها ومتى قيل : كيف سألوه الاستغفار مع أنهم كانوا تابوا ، والتوبة تسقط العقاب .

قلنا : أما على مذهبنا فان التوبة لاتسقط العقاب وجوباً ، وانما يسقطه الله تعالى عندها تفضلا .

وأما على مذهب مخالفينا ، فانهم سألوه ذلك لاجل المظلمة المتعلقة بصفح المظلوم وسؤال صاحبه أن لايأخذ بظلمه .

فصل : قوله « فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه » الاية : ٩٩ .

يعني : أباه يعقوب وأمه ، فثنى على لفظ الاب تغليباً للذكر على الانثى ، ولم يثن على لفظ الامام ، كما غلب المفرد على المضاف في قولهم : سنة العمرين ، ومثله قوله « وورثه أبواه »[1] يعني أباه وأمه .

فصل : قوله « ذلك من أنباء الغيب نوحيه » الاية : ١٠٢ .

الغيب : ذهاب الشيء عن الحس ، ومنه « عالم الغيب والشهادة »[2] أي : عالم بما غاب عن الحراس وبما حضرها .

---

(١) سورة النساء : ١١ .

(٢) سورة الانعام : ٧٣ وغيرها .

« نوحيه اليك » أي : نلقيه . والايحاء : الالقاء .

فصل : قوله « أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة » الاية : ١٠٧ .

الغاشية مايتجلل الشيء بانبساطها عليه، يقال : غشيه يغشاه غشياناً فهو غاش وهي غاشية ، أو تجيئهم القيامة بغتة أي : فجأة .

والبغتة والفجأة والفلتة نظائر ، وهو مجيء الشيء من غير تقدمة . قال يزيد ابن مقسم الثقفي :

ولكنهم باتوا ولم أدر بغتة وأفظع شيء حين يفجاك البغت

فصل : قوله « ولدار الاخرة » الاية : ١٠٩ .

من جره فعلى الاضافة ، تقديره : ولدار الحال الاخرة ، لان للناس حالين : حال الدنيا وحال الاخرة ، ومثله صلاة الاولى والصلاة الاولى ، فمن أضافه قدر صلاة الفريضة الاولى ، ومن لم يضف جعله صفة . ومثله ساعة الاولى والساعة الاولى ، ذكره الزجاج .

وقال الفراء : قد يضاف الشيء الى نفسه اذا اختلف لفظهما ، مثل حق اليقين ومثله بارحة الاولى والبارحة الاولى، ومسجد الجامع والمسجد الجامع .

فصل : قوله « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ماكان حديثاً يفترى » الاية : ١١١ .

معناه : ان ماأخبرناك به لم يكن حديثاً كذباً . والحديث الاخبار عن حوادث الزمان ، وتسميته بأنه حديث يدل على أنه حادث ، لان القديم لايكون حديثاً .

والافتراء القطع بالمعنى على خلاف ماهو به . وأصل الفري من قولهم : فريت الاديم فرياً اذا قطعته .

سورة الرعد

فصل: قوله «الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل» الاية : ٢ .

قوله « ثم استوى على العرش » معناه : استولى بالاقتدار عليه ونفوذ السلطان، وأصله استواء التدبير ،كما أن أصل القيام الانتصاب ، ثم يقال : قائم بالتدبير ، فالمعنى مستو على العرش بالتدبير المستقيم من جهته بجميع الامور .

« وسخر الشمس والقمر » فالتسخير والتذليل والتوطئة نظائر . والمسخر هو المهيىء لانه يجري بنفسه من غير معاناة صاحبه فيما يحتاج اليه، كتسخير النار للاسخان ، والماء للجريان ، والفرس للركوب .

والاجل هو الوقت المضروب لحدوث امر أو انقطاعه ، فأجل الدنيا الوقت المضروب لانقضائها ، وأجل الاخرة الوقت المضروب لحدوثها ، وأجل الدين وقت حدوث أدائه ، وأجل العمر الوقت المضروب لانقضائه .

فصل : قوله «وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل » الاية : ٤.

الزرع القاء الحب للنبات في الارض والغرس جعل الارض من الشجر للنبات في الارض .

والصنوان المتلاصق وهي الفسيلة تكون في أصل النخلة . وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد : الصنوان النخلات التي أصلها واحد .

«يسقى بماء واحد» معناه أن ماذكرناه يسقى بماء واحد .

«ونفضل بعضها على بعض في الاكل» بأن يكون بعضه حلواً وبعضه حامضاً

وبعضه مراً في الاكل ، فالاكل الطعام الذي يصلح للاكل .

فدل بذلك على بطلان قول من يقول بالطبع ، لانه لوكان قولهم صحيحاً لما اختلفت طعوم هذه الاشياء ، مع أن التربة واحدة والارض واحدة والماء واحدة ، وجميع أحوالها المعقولة واحدة متساوية ، فلما تفاضلت مع ذلك دل على أن المدبر لها عالم حكيم يفعله بحسب المصلحة .

« ان في ذلك لايات لقوم يعقلون » اخبار منه تعالى أن فيما ذكرناه دلالات لقوم يعقلونها .

فصل : قوله « وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » الاية :٦ .

قال ذلك على وجه الاخبار عن نفسه بالرحمة لخلقه والتفضل عليهم ، بأنه يغفر للناس مع كونهم ظالمين .

وذلك يدل على بطلان قول من قال : ان أصحاب الكبائر لايجوز أن يعفو الله عنهم الا بالتوبة ، لانه تعالى لم يشرط في ذلك التوبة . ومن شرط في الاية التوبة أوخصها بالصغائر ،كان تاركاً للظاهر .

فصل: قوله « هو الذي يريكم البرق» الاية : ١٢ .

البرق : ماينقدح من السحاب من اللمعان كعمود النار، وجمعه بروق، وفيه معنى السرعة ، يقال : امض في حاجتك كالبرق .

قوله « خوفاً وطمعاً » قيل : في معناه قولان :

أحدهما ـ قال الحسن : خوفاً من الصواعق التي يكون مع البرق ،وطمعاً في الغيث الذي يزيل الجدب والقحط .

وقال قتادة : خوفاً للمسافر من أذاه ، وطمعاً للمقيم في الرزق .

فصل : قوله « ولله يسجد من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم» الاية : ١٥ .

قيل : في معنى ذلك ثلاثة أقوال :

أحدها : قال الحسن وقتادة وابن زيد : ان المؤمن يسجد طوعاً والكافر يسجد كرهاً بالسيف .

الثاني: ان المؤمن يسجد لله طوعاً والكافر في حكم الساجد كرهاً بمافيه من الحاجة اليه والذلة التي تدعوالى الخضوع لله تعالى .

الثالث : قال أبوعلي : سجود الكره بالتذلل للتصرف من عافية الى مرض، وغنى الى فقر ، وحياة الى موت ،كتذليل الاكم للحوافر في قول الشاعر :

* ترى الاكم فيها سجداً للحوافر *

وقوله « وظلالهم بالغدو والاصال » قيل: في معناه قولان :

أحدهما : أن سجود الظلال مافيه من تغير الذلة التي تدعو الى صانع غير مصنوع له العزة والقدرة .

والثاني : قيل سجود الظلال[1]، لانه يقصر بارتفاع الشمس ويطول بانحطاطها وذلك من آيات الله الدالة عليه .

والسجود هو وضع الوجه على الارض على وجه الخضوع مذللا لمن وضع له ، وأصله التذليل من قول الشاعر :

بجمع تظل البلق في حجراته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر

وأصل السجود هو الميل والتطأطؤ ، يقال : سجد البعير وأسجده صاحبه اذا طأطأه ليركبه .

والاصال جمع أصل ، والاصل جمع أصيل وهو العشي، فكأنه قيل : أصل الليل الذي ينشأ منه ، لانه مأخوذ من الاصيل[2]، وهو مابين العصر الى مغرب

(١) فى التبيان : الظل .

(٢) فى « ن » و « م » : الاصل .

الشمس ، قال أبو ذؤيب :

لعمري لانت البيت أكرم أهله وأقعد في أفنائه بالاصائل

فصل : قوله « قل الله خالق كل شيء » الاية : ١٦ .

من تعلق من المجبرة بقوله « قل الله خالق كل شيء » على أن أفعال العباد مخلوقة لله فقد أبعد ، لان المراد بذلك أنه خالق كل شيء يستحق بخلقه العبادة دون مالايستحق به ذلك .

ولو كان المراد ماقالوه، لكان فيه حجة للخلق على الله ، وبطل التوبيخ الذي تضمنته الاية الى من وجه عبادته الى الاصنام ، لانه اذا كان الخالق لعبادتهم الاصنام هو الله على قول المجبرة .

فلا توبيخ يتوجه على الكفار ولا لوم يلحقهم، بل لهم أن يقولوا : انك خلقت فينا ذلك فماذنبنا فيه ، ولم توبخنا على فعل فعلته ؟ فتبطل حينئذ فائدة الاية .

فصل : قوله « أنزل من السماء ماءاً فسالت أودية بقدرها » الاية : ١٧ .

الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر ، ومنه اشتقاق الدية ، لانه جمع المال العظيم الذي يؤدي عن القتيل .

والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل .

وقوله « هذا » يحتمل وجهين، معناه له قوة يحمل بها الوجهين والزبد وضر الغليان وهو خبث الغليان .

فصل : قوله « أولئك لهم سوء الحساب » الاية : ١٨ .

قيل : في معناه قولان :

قال ابراهيم النخعي: ان سوء الحساب هو مؤاخذة العبد بذنبه لايغفر له شيء منه.

وقال الجبائي : معناه أخذه به على وجه التوبيخ والتقريع .

فصل : قوله « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم » الاية : ٢٢ .

قال ابن زيد: الصبر على وجهين: أحدهما ـ الصبر لله على ماأحب . والاخر الصبر له عماكره ، كما قال « سلام عليكم بماصبرتم فنعم عقبى الدار » .

وقيل : ويدرؤن سفه الجهال بمافيهم من الحلوم .

وقيل : يدفعون ظلم الغير عن نفرسهم بالرفق والمواعظ الحسنة .

فصل : قوله « جنات عدن يدخلونها » الاية : ٢٣ .

الجنات البساتين التي تحتها الشجر واحدها جنة .

والعدن الاقامة الطويلة ، عدن بالمكان يعدن عدناً ، ومنه المعادن التي يخرج منها الذهب والفضة وغيرهما .

والسلام التحية بالكرامة على انتفاء كل أمر يشوبه من مضرة .

فصل : قوله « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » الاية : ٢٦ .

معناه : يوسعه على من يشاء من عباده بحسب مايعلمه من مصلحته ويضيقه على آخرين اذا علم أن مصلحتهم في ذلك .

فصل : قوله «قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب» الاية : ٢٧ .

أمر الله نبيه أن يقول لهـم ان الله يضل من يشاء ، بمعنى أنه يحكم على من يشاء بالضلال اذا ضل عن طريق الحق .

ويجوز أن يكون المراد يضل من يشاء عن طريق الجنة بسوء أفعالهم وعظم معاصيهم . ولايجوز أن يريد بذلك الاضلال عن الحق ، لان ذلك سفه لايفعله الله تعالى .

وقوله «ويهدي اليه من أناب» أي : يحكم لمن رجع الى طاعة الله والعمل بها بالجنة ويهديه اليها . والهداية الدلالة التي تؤدي الى طريق الرشد بدلا من طريق الغي ، والمراد بها الحكم بسلوك طريق الجنة .

فصل : قوله «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم» الاية : ٢٨ .

الايمان هاهنا هو الاعتراف بتوحيد الله على جميع صفاته والاقرار بنبوة نبيه وقبول ماجاءبه من عندالله والعمل بما أوجبه عليهم.وفي اللغة الايمان هو التصديق.

فصل : قوله«وهم يكفرون بالرحمن» الاية : ٣٠ .

انما قال «بالرحمن» دون الله، لان أهل الجاهلية من قريش، قالوا : الله نعرفه والرحمن لانعرفه ، ولذلك قالوا : «وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا»[١] وقال «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى»[٢] وهو قول الحسن وقتادة .

فصل : قوله «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » الاية : ٣٩ .

وجه اتصال هذه الاية بما تقدم ، هو أنه لما قال«لكل أجل كتاب» اقتضى أن يدخل فيه أعمال العباد ، فبين أن الله تعالى يمحو ما يشاء ويثبت ، لئلا يتوهم أن المعصية مثبتة بعد التوبة كما هي قبل التوبة .

وقيل : ان مما يمحى ويثبت الناسخ والمنسوخ .

وقيل: يمحو مايشاء ويثبت ممايثبته الملكان، لانه لايثبت الا الطاعات والمعاصي دون المباحات .

« وعنده ام الكتاب» معناه أصل الكتاب ، لانه كتب أولا سيكون كذا وكذا لكل ما يكون ، فاذا وقع كتب أنه قد كان ما قيل انه سيكون .

وقيل : أصل الكتاب لان الكتب التي أنزلت على الانبياء منه نسخت .

فصل : قوله«أو لم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها» الاية : ٤١ .

قيل : في معناه أربعة أقوال ، قال ابن عباس والحسن والضحاك : ما فتح

---

(١) سورة الفرقان : ٦٠ .

(٢) سورة الاسراء : ١١٠ .

على المسلمين من أرض المشركين .

وقال مجاهد وقتادة : ننقصها بموت أهلها .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ومجاهد لموت العلماء . وفي رواية أخرى عنهما بخرابها .

والطرف منتهى الشيء ، وهو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه واطراف الارض نواحيها .

فصل : قوله «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» الاية ٤٣ .

قيل : في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها : روي عن ابن عباس أنه قال : هم أهل الكتاب الذين آمنوا من اليهود والنصارى .

وقال الحسن : الذي عنده علم الكتاب هو الله تعالى ، وبه قال الزجاج .

وقال أبوجعفر وأبو عبدالله عليهما السلام : هم أئمة آل محمد عليهم السلام لانهم الذين عندهم علم الكتاب كله لايشذ عنهم شيء من ذلك دون من ذكروه .

والكفاية وجود الشيء على قدر الحاجة ، فكأنه قيل : قد وجد من الشهادة مقدار ما بنا اليه من الحاجة في فصل ما بيننا وبين هؤلاء الكفار .

سورة ابراهيم

فصل : قوله «وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء» الاية : ٤ .

يحتمل أمرين :

أحدهما : أنه يحكم بضلال من يشاء اذا ضلوا هم عن طريق الحق .

والثاني: يضلهم عن طريق الجنة اذا كانوا مستحقين للعقاب، ويهدي من يشاء الى طريق الجنة .

ورفع قوله «فيضل الله» لان التقدير الاستئناف لا العطف على ما مضى . ومثله قوله «لنبين لكم ونقر في الارحام»[1] ومثله «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم»[2].

ثم قال بعد ذلك «ويتوب الله على من يشاء» لانه اذا لم يجز أن يكون عطفاً على ما مضى فينتصب لفساد المعنى ، فلابد من استئنافه ورفعه .

وقال الحسن : أمتن الله على نبيه محمد ﷺ أنه لم يبعث رسولا الا الى قومه وبعثه خاصة الى جميع الخلق .

وقال مجاهد : بعث الله نبيه الى الاسود والاحمر ، ولم يبعث نبياً قبله الا الى قومه وأهل لغته .

فصل : قوله «جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به» الاية : ٩ .

قوله «لايعلمهم الا الله» أي : لايعلم تفاصيل أحوالهم وما فعلوه وفعل بهم من العقوبات ولاعددهم الا الله ، ولذلك قال النبي عليه السلام : كذب النسابون .

وقوله «فردوا أيديهم في أفواههم» قيل : في معناه خمسة أقوال :

أحدها: قال عبدالله بن مسعود وابن زيد: انهم عضوا على أناملهم تغيظاً عليهم في دعائهم الى الله ، كما قال «عضوا عليكم الانامل من الغيظ»[3].

وثانيها : قال الحسن : جعلوا أيديهم في أفواه الانبياء تكذيباً لهم وردا لما جاؤابه .

---

(١) سورة الحج : ٥ .

(٢) سورة التوبة : ١٥ .

(٣) سورة آل عمران : ١١٩ .

فصل : قوله: وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا » الاية : ١٣ .

انما قالوا « أو لتعودن في ملتنا » وهم لم يكونوا على ملتهم قط لامرين :

أحدهما : أنهم توهموا ذلك على غير حقيقة أنهم كانوا على ملتهم .

والثاني : أنهم ظنوا بالنشوء أنهم كانوا عليها دون الحقيقة .

فصل : قوله « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » الاية : ١٥ .

معناه : استنصروا ، وهو طلب الفتح بالنصر ، ومنه قوله « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا »[1] أي : يستنصرون .

وقال الجبائي : هو سؤالهم أن يحكم الله بينهم وبين أممهم ، لان الفتح الحكم ، ومنه قوله « الفتاح » .

والجبرية طلب علو المنزلة بماليس وراءه غاية من الوصف، فاذا وصف العبد بأنه جبار كان ذماً، واذا وصف الله به كان مدحاً ، لان له علو المنزلة بماليس وراءه غاية في الصفة .

والعنيد هو المعاند ، الا أن فيه مبالغة . والعناد الامتناع من الحق مع العلم به كبراً وبغياً .

فصل : قوله « وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي» الاية : ٢٢ .

قال الجبائي : في الاية دلالة على أن السلطان لايقدر على الاضرار بالانسان بأكثر من اغوائه ودعائه الى المعاصي، فأما بغير ذلك فلايقدر عليه لانه أخبر بذلك ويجب أن يكون صادقاً ، لان الاخرة لايقع فيها من أحد قبيح لكونهم ملجئين الى تركه .

---

(١) سورة البقرة : ٨٩ .

فصل : قوله «تحيتهم فيها سلام» الاية : ٢٣ .

تحية بعضهم لبعض في الجنة سلام ، والتحية التلقي بالكرامة في المخاطبة كقولك أحياك الله لحياة طيبة سلام عليك وما أشبه ذلك ، تبشيراً لهم بدوام السلامة .

وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أن هذه الشجرة الطيبة هي النخلة. وقال ابن عباس : هي شجرة في الجنة .

وقوله «يؤتي أكلها» أي: يخرج هذه الشجرة الطيبة مايؤكل منها في كل حين.

وقال ابن عباس: في رواية يعني ستة أشهر الى صرام النخل ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام ، وبه قال سعيد بن جبير والحسن ، وأهل اللغة يذهبون الى أن الحين هو الوقت ، قال النابغة :

يبادرها الراقون من سوء سمها تعلقه حيناً وحيناً تراجع[1]

قوله «ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة» الاية : ٢٦ .

لما ضرب الله المثل للكلمة الطيبة ضرب المثل للكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة .

قال أنس بن مالك ومجاهد: الشجرة الممثل بها هي شجرة الحنظل. قال أنس هي السرمان . وقال ابن عباس : هي شجرة لم تخلق بعد .

والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالاول ، والكلمة انما تكون خبيثة اذا خبث معناها .

فصل : قوله «واجنبني وبني أن نعبد الاصنام * رب انهن أضللن كثيراً من الناس» الاية : ٣٥ – ٣٦ .

أي : جنبنا عبادة الاصنام بلطف من ألطافك الذي نختار عنده الامتناع من

---

(١) ديوان النابغة : ٨٠ .

عبادتها ، ودعاء الانبياء لايكون الا مستجاباً ، فعلى هذا يكون سؤاله أن يجنب نبيه عبادةالاصنام، مخصوصاً بمن علم الله من حاله أنه يكون مؤمناً لايعبد الا الله.

وقوله «رب انهن أضللن كثيراً من الناس» اخبار من ابراهيم أن هذه الاصنام ضل كثير من الناس بها حتى عبدوها ، فكأنها أضلتهم ،كما يقول القائل : فتنتني فلانة أي : أفتتنت بها ، قال الشاعر :

* هبوني امرءاً منكم أضل بعيره *

يعني : ضل بعيره عنه ، لان أحداً لايضل بعيره عنه قاصداً الى ضلاله .

فصل: قوله«ربناانني أسكنتمن ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم» الاية : ٣٧ .

الوادي سفح الجبل العظيم ، ومن ذلك قيل للانهار العظام : أودية ، لان حافاتها كالجبال لها، ومنه الدية لانه مال عظيم يحمل في أمر عظيم من قتل النفس المحرمة .

والزرع كل نبات ينغرس من غير ساق ، وجمعه زروع «عند بيتك المحرم» معناه : حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت من الجماع ، والملابسة بشيء من الدم والنجاسة .

وانما أضاف البيت الى الله لانه مالكه من غير أن يملكه أحد سواه ، لان ماعداه قد ملك غيره من العباد ، وسماه بيتاً قبل أن يبنيه ابراهيم لامرين :

أحدهما : أنه لماكان المعلوم أنه يبنيه ، فسماه بما يكون بيتاً .

والثاني : قيل : انهكان البيت قبل ذلك وانما خربته طسم واندرس . وقيل: انه رفع أيام[1] الطوفان الى السماء .

---

(١) فى التبيان : عند .

الحمد هو الوصف بالجميل على وجه التعظيم لصاحبه والاجلال. والهبة عطية التمليك من غير عقد مثامنة .

فصل : قوله « ربنا اغفرلي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » الاية: ٤١.

نداء من ابراهيم لله تعالى أن يغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين ، وهو أن يسترعليهم ماوقع منهم من المعاصي عند من أجاز الصغائر عليهم، ومن لم يجز ذلك حمل ذلك على أنه انقطاع منه اليه تعالى فيما يتعلق به وسؤال على الحقيقة في غيره .

وقد بينا أن أبوي ابراهيم لم يكونا كافرين .

وفي الاية دلالة على ذلك ،لانه سأل المغفرة لهما يوم القيامة ، فلو كانا كافرين لماسأل ذلك، لانه قال تعالى «فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه»[1] فدل ذلك على أن أباه الذي كان كافراً جده لامه ، أو عمه على الخلاف .

فصل : قوله « انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار * مهطعين » الاية : ٤٢ - ٤٣ .

شخوص البصر أن تبقى [العين] مفتوحة لاتنطبق لعظم ذلك اليوم .

« مهطعين » قال سعيد بن جبير والحسن وقتادة : معناه مسرعين ، يقال : أهطع اهطاعاً اذا أسرع ، قال الشاعر :

بمهطع شرع كان زمامه في رأس جذع من أراك مشذب[2]

فصل : قيل في قوله « وأفئدتهم هواء » ثلاثة أقوال :

أولها : قال ابن عباس ومرة والحسن : منخرقة لاتعي شيئاً وفارغة من كل شيء الامن ذكر اجابة الداعي .

---

(١) سورة التوبة : ١١٥ .

(٢) مجاز القرآن ١/٣٤٣ .

الثاني : قال سعيد بن جبير : يردد في أجوافهم لايستقر في مكان.

الثالث: قال قتادة: خرجت الى الحناجر لاتنفصل ولاتعود، وكل ذلك يشبه بهواء الجو . والاول أعرف بكلام العرب ، قال حسان بن ثابت :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء[1]

وقال زهير :

كان الرجل منها فوق صعل من الظلمان جوجؤه هواء

فصل : قوله « ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب » الاية : ٥١ .

أي : سريع المجازاة . وقيل: سريع الحساب لايشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة آخرين .

والكسب فعل مايجتلب به النفع للنفس ، أويدفع به الضرر عنها ،فالكسب ليس بجنس الفعل ، والله تعالى يقدر على مثله في الجنس .

وفي الاية حجة على ثلاث فرق :

أحدها على المجبرة في الارادة ، لانها تدل على أنه تعالى أراد من جميع المكلفين أن يعلموا انما هو اله واحد ، وهم يزعمون أنه أراد من النصارى أن يثلثوا ، ومن الزنادقة أن يقولوا بالتثنية.

الثاني : حجة عليهم في أن المعصية لم يردها ، لانه اذا أراد منهم أن يعلموا أنه اله واحد لم يرد خلافه من التثليث والتثنية الذي هو الكفر .

الثالث: حجة على أصحاب المعارف ،لانه بين أنه أراد من الخلق أن يتذكروا ويفكروا في دلائل القرآن التي تدلهم على أنه اله واحد .

ثم أخبر تعالى « انما يتذكر أولوا الالباب » أي: ذووا العقول ،لان من لاعقل

(١) ديوان حسان : ٨ .

له لايمكنه الفكر والاعتبار .

سورة الحجر

فصل : قوله «ربما يود الذين كفروا» الاية : ٢ .

قال المبرد قال الكسائي : العرب لايكاد توقع «رب» على أمر مستقبل ، وهذا قليل في كلامهم، وانما المعنى عندهم أن يوقعوا على الماضي، كقولهم ربما فعلت ذلك وربما جاءني فلان .

وانما جاز هذا في القرآن على ما جاء في التفسير أن ذلك يكون يوم القيامة .

وانما جاز هذا لان كل شيء من أمر الله خاصة ، فانه وان لم يكن وقع بعد فهو كالماضي الذي قد كان، لان وعده آت لامحالة وعلى هذا عامة القرآن، نحو قوله «ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الارض»[١] وقوله«وسيق الذين اتقوا»[٢] وقوله «وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد»[٣].

فان قيل: لم قال«تلك آيات الكتاب»والكتاب هو القرآن ولم أضاف الايات الى الكتاب وهي قرآن وهل هذا الا اضافة الشيء الى نفسه ؟

قلنا: انما وصفه بالكتاب وبالقرآن لاختلاف اللفظين وما فيهما من الفائدتين وان كانالموصوف واحد، لان وصفه بالكتاب يفيد أنه مما يكتب ويدون، والقرآن يفيد أنه مما يؤلف ويجمع بعض حروفه الى بعض ، قال الشاعر :

الى الملك القرم وابـن الهمام وليث الكتيبة في المزدجم

وقال مجاهد وقتادة: المراد بالكتاب ما كان قبل القرآن من التوراة والانجيل

---

(١) سورة الزمر : ٦٨ .

(٢) سورة الزمر : ٧٣ .

(٣) سورة ق : ٢١ .

فعلى هذا سقط السؤال .

وأما اضافة الشيء الى نفسه فقد بينا الوجه فيما مضى فيه، وأنه يجري مجرى قولهم «مسجد الجامع» وصلاة الظهر ويوم الجمعة، وقوله تعالى «لحق اليقين»[1] وهو مستعمل مشهور .

فصل : قوله «وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن» الاية : ١١ .

الهزء اظهار مايقصد به العيب على ايهام المدح، وهو بمعنى اللعب والسخرية.

فصل : قوله «وحفظناها من كل شيطان رجيم» الاية : ١١٧ .

وحفظ الشيء جعله على ما ينفي عنه الضياع .

والرجم : الرمي بالشيء بالاعتماد من غير آلة مهياة للاصابة ، فان القوس يرمى عنها ولا يرجم .

فصل : قوله «والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون» الاية : ١٩ .

قوله «موزون» قيل في معناه قولان :

أحدهما ـ قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجبائي: من كل شيء مقدر معلوم .

وقال الحسن وابن زيد: من الاشياء التي توزن من الذهب والفضة والنحاس والحديد وغير ذلك .

والوزن وضع أحد الشيئين بازاء الاخر على ما يظهر .

فصل : قوله «وأرسلنا الرياح لواقح» الاية : ٢٢ .

يحتمل ذلك شيئين :

---

(١) سورة الحاقة : ٥١ .

أحدهما: أن يجعل الريح هي التي تلقح بمرورهاعلى التراب والماء، فيكون فيها اللقاح ، فيقال : ريح لاقح ،كما يقال : ناقة لاقح .

والثاني : أن يصفها باللقح وان كانت تلقح كما قيل : ليل نائم وسر كاتم .

واللواقح التي تلقح السحاب حتى يحمل الماء ، أي : يلقى اليه ما يحمل به ، يقال : لقحت الناقة اذا حملت ، وألقحها الفحل اذاألقى اليها الماء فحملته فكذلك الرياح هي كالفحل للسحاب .

فصل : قوله «ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأمسنون» الاية : ٢٦ .

قيل : في معنى الصلصال قولان :

أحدهما : أنه الطين اليابس الذي يسمع له عند النقر صلصلة ، ذهب اليه ابن عباس والحسن وقتادة .

والثاني: قال مجاهد: هو مثل الخزف الذي يصلصل. وقال الفراء: الصلصال طين الحر اذا خلط بالرمل اذا جف كان صلصالا ، واذ اطبخ كان فخاراً .

والصلصلة القعقعة، وهو صوت شديد متردد في الهواء، يقال لصوت الرعد صلصلة وللثوب الجديد صلصلة، وللثوب الجديدقعقعة، وأصل الصلصلة الصوت يقال : صل يصل وله صليل اذا صوت، قال الشاعر :

رجعت الى صدر كجرة حنتم اذا فرغت صفراً من الماء صلت[1]

فصل : قوله « واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً » الاية : ٢٨ .

المراد بالبشر آدم ، وسمي بشراً لانه ظاهر الجلد لايرى به شعر ولاصوف كسائر الحيوان .

وأضاف روح آدم الى نفسه تكرمة له، وهي اضافة الملك لما شرفه وكرمه.

والروح جسم رقيق روحاني فيه الحياة التي بها يجيء الحي ، فاذاخرجت

(١) اللسان «حنتم» .

الروح من البدن كان ميتاً في الحكم ، واذا انتفت الحياة من الروح فهو ميت في الحقيقة .

وقوله « فقعوا له ساجدين » أمر من الله للملائكة أن يسجدوا لادم . وقيل : في وجه سجودهم له قولان :

أحدهما ـ أنه سجود تحية وتكرمة لادم وعبادة لله. وقيل: انه على معنى السجود الى القبلة ، والاول عليه أكثر المفسرين .

والسجود خفض الجبهة بالوضع على بسط من الارض أو غيره ، وأصله الانخفاض ، قال الشاعر :

* ترى الاكم فيه سجداً للحوافر *

فصل : قوله «قال رب فانظرني الى يوم يبعثون * قال فانك من المنظرين* الى يوم الوقت المعلوم » الاية : ٣٦ ـ ٣٨ .

قال البلخي : أراد بذلك الى يوم الوقت المعلوم الذي قدر الله أجله فيه وهو معلوم له ،لانه لايجوز أن يقول تعالى لمكلف : اني أبقيك الى وقت معين ،لان في ذلك اغراء له بالقبيح .

واختلفوا في تجويز اجابة دعاء الكافر ، فقال الجبائي : لايجوز لان اجابة الدعاء ثواب لما فيه من اجلال الداعي باجابته الى ماسأل .

وقال ابن الاخشاذ : يجوز ذلك لان الاجابة كالنعمة في احتمالها أن يكون ثواباً وغير ثواب ، لانه قد يحسن منا أن يجيب الكافر الى ماسأل استصلاحاً له ولغيره . فأما قولهم فلان مجاب الدعوة ، فهذه صفة مبالغة لاتصح لمن كانت اجابته نادرة من الكفار .

فصل : قوله « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » الاية : ٤٤ .

قال الجبائي : ذلك يدل على أن الجن لايقدرون على الاضرار ببني آدم ،

لانه على عمومه .

قال علي عليه السلام والحسن وقتادة وابن جريح : أبوابها اطباق بعضها فوق بعض لكل باب جزء من المستحقين للعقوبة على قدر استحقاقهم من العقاب في القلة والكثرة.

فصل : قوله « ان المتقين في جنات وعيون * ادخلوها بسلام » الاية : ٤٥ - ٤٦ .

يقال للمتقين ادخلوها بسلام آمنين بسلامة، وهي البراءة من كل آفة ومضرة، كما قال « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً »[1] أي : براءة منكم.

وقوله « ونزعنا مافي صدورهم من غل » الغل الحقد الذي ينعقد في القلب، ومنه الغل الذي يجعل في العنق . والغلول الخيانة التي تطوق عارها صاحبها .

فبين تعالى ان الاحقاد التي في صدور أهل الدنيا تزول بين أهل الجنة ويصبحون اخواناً متحابين .

وقال قوم : ان نزع الغل يكون قبل دخولهم الجنة . وقال آخرون : يكون ذلك بعد دخولهم فيها .

فصل : قوله « انا نبشرك بغلام عليم » الاية : ٥٣ .

انما وصفه بأنه عليم قبل كونه لدلالة البشارة به على أنه سيكون على هذه الصفة، لانه انما بشر بولد يرزقه الله ويكون عليماً فقال لهم ابراهيم .

فصل : قوله « الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين * الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين» الاية : ٥٩ - ٦٠ .

« قدرنا أنها » أي : كتبنا « أنها لمن الغابرين » والغابر الباقي في من يهلك .

وآل الرجل أهله الذين يرجعون الى ولايته ، ولهذا يقال : أهل البلد ، ولا

---

(١) سورة الفرقان : ٦٣ .

يقال : آل البلد ولكن آل الرجل قال لوط : أتباعه الذين يرجع أمرهم اليه بولايته ونصرته.

وقال أبو عبيدة : في الاية معنى فقه[1] ، وكان أبو يوسف يتأوله فيها ، لان الله تعالى استثنى آل لوط من المجرمين، ثم استثنى امرأة لوط من آل لوط، فرجعت امرأته في التأويل الى القوم المجرمين ،لانه استثناء رد على استثناء كان قبله وكذلك كل استثناء في الكلام اذا جاء بعد آخر عاد المعنى الى أول الكلام ،كقول الرجل: لفلان علي عشرة الا أربعة الا درهماً ، فانه يكون اقرار بسبعة .

وكذلك لو قال : له علي خمسة الادرهماً الاثلاثاً ،كان اقرار بأربعة وثلث ، قال :وأكثر ما يستثنى ماهو أقل من النصف ولم يسمع أكثر من النصف الا بيت أنشده الكسائي :

أدوا التي نقصت سبعين من مائة ثم ابعثوا حكماً بالعدل حكاما

فجعلها مائة الا سبعين وهو يريد ثلاثين . وضعف المبرد الاحتجاج بهذا البيت، ولم يجز استثناء الاكثر من الجملة ولا نصفها .

وانما جاز استثناء مادون النصف من الجملة حتى قال : لايجوز أن يقال له: عندي عشرة الا نصف ، أولا عشرة الا واحداً ، قال :لان تسعة ونصفاً أولى بذلك ، وعلى هذا النحويين هذا الباب . والصحيح الاول عند أكثر العلماء من المتكلمين والفقهاء وأكثر النحويين .

فصل : قوله « فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم » الاية : ٦٥ .

قيل : بقطع من الليل ببعض من الليل . وقيل : بقية من الليل . وقيل : اذا بقي من الليل قطعة ومضى أكثره .

والادبار جمع دبر ، وهو جهة الخلف، والقبل جهة القدام، ويكنى بهما عن

---

(١) في التبيان : فقر .

الفرح .

فصل : قوله « واتقوا الله ولاتخزون » الاية : ٦٩ .

الخزي الانقماع بالغيب الذي يستحيى منه، خزى خزياً وأخزاه الله اخزاءاً، والاخزاء والاذلال والاهانة نظائر .

فصل : قوله « لعمرك انهم لفي سكرتهم » الاية : ٧٢ .

معنى «لعمرك» مدة بقائك حياً ، والعمر والعمر واحد ، غير أنـه لايجوز في القسم الابالفتح .

قال أبو عبيدة : ارتفع لعمرك وهي يمين ، والايمان تكون خفضاً اذاكانت الواوفي أوائلها ، ولوكانت بالواووعمرك لكانت خفضاً ، وانما صارت هذه الايمان رفعاً بدخول اللام في أوائلها ، لانها أشبهت لام التأكيد ، فأما قولهم : عمرك الله أفعل كذا فانهم ينصبون .

سورة النحل

فصل : قوله « أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه » الاية : ١.

التسبيح في اللغة ينقسم أربعة أقسام :

أحدها : التنزيه ، مثل قوله « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا »[١] .

والثاني : بمعنى الاستثناء، كقوله « لولا تسبحون »[٢] أي : هلا تستثنون.

والثالث : الصلاة ، كقوله « فلولا أنه كان من المسبحين »[٣] .

والرابع : النور ، جاء في الحديث « فلولا سبحات وجهه » أي : نوره .

---

(١) سورة الاسراء : ١ .

(٢) سورة القلم : ٢٨ .

(٣) سورة الصافات : ١٤٣ .

فصل : قوله « ينزل الملائكة بالروح من أمره » الاية : ٢ .

الروح تنقسم عشرة أقسام : فالروح الارشاد ، والحياة ، والروح الرحمة قرأ رسول الله ﷺ « فروح وريحان »[١] والروح النبوة ، لقوله « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده »[٢] والروح عيسى روح الله ، أي : خلق من غير بشر. وقال آخرون : من غير فحل .

وقيل : انه سمي بذلك لكونه رحمة على عباده لما يدعوهم الى الله .

والروح جبرئيل عليه السلام . والروح النفخ يقال : أحييت النار بروحي أي : بنفخي. والروح الوحي، قال الله تعالى « وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا »[٣] قيل: انه جبرئيل. وقيل : الوحي . والروح ملك في السماء من أعظم من خلقه .

والروح روح الانسان . وقال ابن عباس : روح ونفس ، فالنفس التي تكون فيها التمييز والكلام. والروح هو الذي يكون به الغطيط والنفس، فان نام العبد خرجت نفسه وبقي روحه ، واذا مات خرجت نفسه وروحه معاً .

فصل : قوله «والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع» الاية : ٥ .

الانعام جمع نعم ، وهي الابل والبقر والغنم ، سميت بذلك لنعمة[٤] مشيها بخلاف الحافر الذي يصلب مشيها .

والدفء ما استدفأت به. وقال الحسن: يريد ما استدفىء به من أوبارها وأصوافها وأشعارها . وقال ابن عباس : هو اللباس من الاكسية وغيرها .

فصل : قوله «هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه

---

(١) سورة الواقعة : ٨٩ .

(٢) سورة غافر : ١٥ .

(٣) سورة الشورى : ٥٢ .

(٤) فى التبيان : لنعومة .

تسيمون» الاية : ١٠ .

قوله «فيه تسيمون» أي : ترعون ، يقال : أسمت الابل اذا رعيتها وقد سامت تسوم فهي سائمة اذا رعت، وأصل السوم الابعاد في المرعى، والسوم في البيع الارتفاع في الثمن .

فصل: قوله«وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم» الاية: ١٢.

ووجه تسخير الشمس والقمر والليل والنهار ، أن الليل والنهار انما يكون بطلوع الشمس وغروبها، فما بين غروب الشمس الى طلوع الفجر وهو[غياب] ضوء الشمس فهو ليل، وما بين طلوع الفجر الى غروب الشمس فهو نهار، فالله تعالى سخر الشمس على هذا التقدير لاتختلف لمنافع خلقه ومصالحهم، وليستبدلوا بذلك على أن المسخر لذلك والمقدر له حكيم .

والذرء اظهار الشيء بايجاده ، ذرأه يذرؤه ذرءاً وذءاة وفطره وأنشأه نظائر وملح ذرءاني ظاهر البياض .

فصل : قوله «أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون» الاية : ١٧ .

تعلق بهذه الاية المجبرة فقالوا : أعلمنا الله تعالى أن أحداً لايخلق ، لانه خلاف الخالق ، وأنه لو كان خالق غيره لوجب أن يكون مثله ونظيره .

وهذا باطل، لان الخلق في حقيقة اللغة هو التقدير والاتقان في الصنعة، وفعل الشيء لا على وجه السهو والمجازفة .

بدلالة قوله «وتخلقون افكاً»[١] وقوله «واذ تخلق من الطين كهيئة الطير»[٢] وقوله «أحسن الخالقين»[٣] فأعلمنا أن غيره يكون خالقاً لانه لو لم يستحق اسم

---

(١) سورة العنكبوت : ١٧ .

(٢) سورة المائدة : ١١٣ .

(٣) سورة المؤمنون : ١٤ .

خالق غيره لما قال «أحسن الخالقين» كما لايجوز أن يقول : انه أعظم الالهة لما لم يستحق الالهية غيره ، وقال زهير :

و لانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لايفري[1]

فصل: قوله «واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين * ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم» الاية : ٢٤ ـ ٢٥ .

معناه: انهم يتحملون مع أوزارهم من أوزار من أضلوه عن دين الله وأغووه عن اتباع الحق بغير علم منهم بذلك ، بل جاهلين به .

والمعنى أن هؤلاء كانوا يصدون من أراد الايمان بالنبي عليه السلام . فعليهم آثامهم وآثام أتباعهم[2] لاقتدائهم بهم .

وعلى هذا ماروي عن النبي عليه السلام أنه قال: أيما داع دعا الى ضلالة، فان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء .

فصل : قوله «قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم» الاية : ٢٦ .

معنى «تشاقون» أي: يعادون الله فيهم، فيجعلونها شركاء له. والشقاق الخلاف في المعنى .

ومعنى «تشاقون» أي: تكونون في جانب والمسلمون في جانب لايكونون معهم يداً واحدة ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الامام وعن جماعة المسلمين : شق العصا ، أي : صار في جانب عنهم ، فلم يكن مجتمعاً في كلمتهم .

والمكر : الفتل بالحيلة الى جهة منكرة .

قيل : في معنى «خر عليهم السقف من فوقهم» قولان :

---

(١) ديوان زهير : ٢٩ .

(٢) في التبيان: أبنائهم .

أحدهما : أنه قال ذلك تأكيداً ، كقولك قلت أنت .

الثاني : انهم كانوا تحته ، وقد يقول القائل : تهدمت علي المنازل وان لم يكن تحتها . وأيضاً فيعلم أنهم لم يكونوا فوق السقوف .

فصل: قوله«الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون» الاية : ٢٨ .

وقوله«ما كنا نعمل من سوء» أي : قالوا ما علمنا من سوء فكذبهم الله وقال بلى قد فعلتم والله عالم بما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي وغيرها .

وقيل : في معنى ذلك قولان :

أحدهما : ما كنا نعمل من سوء عند أنفسنا ، لانهم في الاخرة ملجؤون الى ترك القبيح والكذب ، ذكره الجبائي .

وقال الحسن وابن الاخشاذ : [في] الاخرة مواطن يلجؤون في بعضها دون بعض .

فصل : قوله «وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولاحرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين» الاية : ٣٥ .

حكى الله تعالى عن المشركين أنهم قالوا « لوشاءالله » أي : لوأراد الله لم نكن نعبد شيئاً من دونه من الاصنام والاوثان لانحن ولاآباؤنا ولاحرمنا من قبل نفوسنا بل أراد الله ذلك منا فلذلك فعلنا ، كما تقوله المجبرة الضلال ، فكذبهم الله وأنكر عليهم وقال : مثل ذلك فعل الذين من قبلهم من الكفار الضلال ، كذبوا رسل الله وجحدوا أنبياءه .

ثم عذر أنبياءه فقال: « هل على الرسل الا البلاغ» الظاهر ، أي : ليس عليهم الا ذلك ، وفي ذلك ابطال مذهب المجبرة ، لان الله أنكر عليهم قولهم أنه لوشاء

الله ماعبدنا من دونه من شيء .

فصل : قوله « وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون » الاية : ٦٢ .

المعنى أنهم مقدمون بالاعجال الى النار ، وهو قول العرب : أفرطنا فلاناً في طلب الماء فهو مفرط، اذا قدم لطلبه وفرط فهو فارط اذا تقدم لطلبه ، وجمعه فراط قال القطامي :

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تعجل فراط لوراد

ومنه قول النبي ﷺ « أنا فرطكم على الحوض » أي : متقدمكم وسابقكم حتى تردوه ، ومنه يقال في الصلاة على الصبي الميت : اللهم اجعله لنا ولابويه فرطاً . وروي عن النبي ﷺ أنه قال : أنا والنبيون فراط الفاصفين ، أي : المذنبين .

وقيل : في وجه تعميمهم بالهلاك مع أن فيهم مؤمنين قولان :

أحدهما : أن الاهلاك وان عمهم فهو عقاب للظالم دون المؤمن، لان المؤمن يعوض عليه .

الثاني : أن يكون ذلك خاصة ، والتقدير : ما ترك عليها من دابة من أهل الظلم .

فصل : « وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه » الاية : ٦٦ .

الفرق بين أسقينا وسقينا ، أن معنى أسقينا جعلنا له شراباً دائماً من نهر أو لبن وغيرهما، وسقيناه شربة واحدة ، ذكره الكسائي، وبعضهم جعله لغتين ، ويحتج بقول لبيد :

سقى قومي بني مجد وأسقى نميراً والقبائل من هلال[1]

(١) ديوان لبيد ١ / ١٢٨ .

والاظهر ماقال الكسائي عند أهل اللغة .

وقال بعضهم : سقيته ماءاً ،كقوله « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً»[١]وأسقيته سألت الله أن يسقيه . وقال أبوعبيد : اذا سقاه مرة يقال سقيته ، واذا سقاه دائماً قال أسقيته .

والانعام يعني الابل والبقر والغنم .

وقد استدل قوم بهذه الاية على تحليل النبيذ، بأن قالوا : أمتن الله علينا وعدده من جملة نعمه علينا ، أي: خلق لنا الثمار التي نتخذ منها السكر والرزق الحسن وهو تعالى لايمتن بما هو محرم .

وهذا لادلالة فيه لامور :

أحدها : أنه خلاف ماعليه المفسرون ، لان أحداً منهم لم يقل ذلك ، بل التابعون من المفسرين قالوا : هو ماحرم من الشراب . وقال الشعبي منهم : أنه أراد ماحل طعمه من شراب وغيره .

والثاني : أنه لوأراد بذلك تحليل السكر لماكان لقوله « ورزقاً حسناً » معنى لان ماأحله وأباحه ، فهو أيضاً رزق حسن ، فلم فرق بينه وبين الرزق الحسن ، والكل شيء واحد .

وانما الوجه فيه أنه خلق هذه الثمار لتنتفعوا بها ، فاتخذتم أنتم منها ماهو محرم عليكم ، وتركتم ماهو رزق حسن .

وأما وجه المنة فبالامرين معاً ثابتة ، لان ماأباحه وأحله فالمنة به ظاهرة ليعجل الانتفاع به ، وماحرمه فوجه النعمة[٢]أنه اذا حرم عليه وأوجب الامتناع ضمن في مقابلته الثواب الذي هو أعظم النعم ، فهو نعمة على كل حال .

---

(١) سورة الدهر : ٢١.

(٢) في التبيان : المنة .

والثالث : أن السكر اذا كان مشتركاً بين المسكر وبين الطعم ، وجب أن يتوقف فيه ولايحمل على أحدهما الا بدليل ، وماذكرناه مجمع على أنه مراد ، وماذكروه ليس عليه دليل ، على أنه كان يقتضي أن يكون ماأسكرمنه يكون حلالا وذلك خلاف الاجماع ، لانهم يقولون : القدر الذي لايسكر هو المباح ، وكان يلزم على ذلك أن يكون الخمر مباحاً ، وذلك لايقوله أحد .

والسكر في اللغة على أربعة أقسام:

أحدها : ماأسكر .

والثاني : ماطعم من الطعام ،كما قال الشاعر :

* جعلت عيب الاكرمين سكرا *

أي : طعماً .

الثالث : السكون قال الشاعر :

وجعلت عين الجزور تسكر

والرابع : المصدر من قولك سكر سكراً ، وأصله انسداد المجاري بمايلقى فيها ، ومنه السكر .

فصل : قوله « وأوحى ربك الى النحل » الاية : ٦٨ .

ثم قال « يخرج من بطونها » يعني : بطون النحل « شراب مختلف ألوانه » من أبيض وأحمر مع أنها تأكل الحامض والمر ، فيحيله الله عسلا حلواً لذيذاً فيه شفاء للناس .

وأكثر المفسرين على أن الهاء راجعة الى العسل ، وهو الشراب الذي ذكره الله ، وأن فيه شفاء من كثير من الامراض ومنافع جمة .

وانما قال « من بطونها » وهو خارج من فيها، لان العسل يخلقه الله في بطن النحل ويخرجه الى فيه ، ولوقال من فيها لظن أنها تلقيه من فيها وليس بخارج

من البطن .

فصل : قوله « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » الاية : ٧٢ .

قيل : في معنى « حفدة » أقوال: أحدها ـ الخدم . وقيل : الاعوان . وقيل: البنون وبنو البنين . وقيل : الاختان وهم أزواج البنات .

فصل : قوله « ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لايقدر على شيء » الاية : ٧٥.

« الحمدلله » أي : الشكرلله على نعمه .

وفي هذه الاية دلالة على أن المملوك لايملك شيئاً ، لان قوله « مملوكاًلايقدر على شيء » ليس المراد به نفي القدرة ، لانه قادر على التصرف . وانما المراد أنه لايملك التصرف في الاموال ، وذلك عام في جميع مايملك ويتصرف فيه.

فصل : قوله « وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً » الاية : ٨٠ .

هي بيوت الادم التي تتخذ للسفر والحضر، فهيأ الله ذلك لما فيه من المرافق والمنافع « تستخفونها » أي: يخف عليكم حملها « يوم ظعنكم » أي : ارتحالكم

ثم قال : « وجعل لكم من أصوافها » أي : من أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز « أثاثاً » يعني متاع البيت .

وخص الحر بذلك مع أن وقايتها للبرد أكثر لامرين :

أحدهما : ان الذين خوطبوا بذلك أهل حر في بلادهم، فحاجتهم الى مايقي الحر أشد ، في قول عطاء .

الثاني : انه ترك ذلك لانه معلوم ،كما قال الشاعر :

وما أدري اذا يممت أرضاً أريد الخير انهما يليني

فكنى عن الشر ولم يذكره ، لانه مدلول عليه ، ذكره الفراء .

فصل: قوله « ويوم نبعث في كل امة شهيداً عليهم من أنفسهم » الاية : ٨٩ .

يقول الله تعالى ان اليوم الذي « نبعث في كل امة شهيداً » اي : من يشهد عليهم .

« من انفسهم » أي: من أمثالهم من البشر، ويجوز أنيكون ذلك نبيهم الذي بعث اليهم. ويجوز ان يكونوا مؤمنين عارفين بالله ونبيه يشهدون عليهم بمافعلوه من المعاصي .

وفيذلك دلالة علىأن كل عصر لايخلو ممن يكون قوله حجة على أهلعصره عدل عندالله ، وهو قول الجبائي وأكثر أهل العدل ، وهو قولنا وان خالفناهم في من هو ذلك العدل والحجة .

«وجئنا بك» يامحمد«شهيداًعلى هؤلاء»يعني: كفار قريش وغيرهم من الذين كفروا بنبوته، ثم قال «ونزلنا عليك الكتاب» يعني القرآن «تبياناً لكل شيء» أي: بياناً لكل أمر مشكل . والتبيان والبيان واحد .

ومعنى العموم في قوله «لكل شيء» المراد به من أمور الدين ، اما بالنص عليه، أو الاحالة على مايوجب العلم من بيانالنبي ﷺ والحجج القائمين مقامه أو اجماع الامة، أو الاستدلال لان هذه الوجوه أصول الدين وطرق موصلةالى معرفته .

فصل : قوله «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى» الاية : ٩٠ .

«بالعدل» يعني: الانصاف بين الخلق وفعل مايجب على المكلف والاحسان الىالغير. ومعناه: يأمركم بالاحسان، فالامر بالاول على وجه الايجاب، وبالاحسان على وجه الندب . وفي ذلك دلالة على أن الامر يكون أمراً بالمندوب اليه دون الواجب .

«وايتاء ذي القربى» أي : وأمركم باعطاء ذي القربى ، ويحتمل أمرين :

أحدهما : صلة الارحام ، فيكون ذلك عاماً في جميع الخلق .

والثاني: أن يكون أمراً بصلة قرابة النبي ﷺ وهم الذين أرادهم الله بقوله «فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى»[١] على مابيناه فيما قبل .

ثم أمر خلقه بأن يفوا بعهده اذا عاهدوا عليه ، والعهد الذي يجب الوفاء به هو كل فعل حسن اذا عقد عليه وعاهد الله ليفعلنه بالعزم عليه ، فانه يصير واجباً عليه، ولايجوز له خلافه، ثم يكون عظم النقص بحسب الضرر به، فأما اذا رأى غيره خيراً منه فليأت الذي هو خير وليكفر عند الفقهاء. وقال أصحابنا: اذا وجد خيراً منه فعل الخير ولا كفارة عليه .

ثم قال «ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها» نهي منه تعالى عن حنث الايمان بعد عقدها .

وفي الاية دلالة على أن اليمين على المعصية غير منعقدة، لانها لو كانت منعقدة لما جاز نقضها، وأجمعوا على أنه يجب نقضها ولايجوز الوفاء بها ، فعلم بذلك أن اليمين على المعصية غير منعقدة .

فصل: قوله «فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» الاية: ٩٨.

قال: يامحمد «اذا قرأت القرآن» والمراد به جميع المكلفين «فاستعذ بالله» والمعنى اذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، كما قال «اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا»[٢] والمعنى: اذا أردتم القيام اليها، لان بعد القراءة لاتجب الاستعاذة الا عند من لايعتد بخلافه .

والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلاخلاف ، ثم أخبر أنه ليس للشيطان سلطان وحجة على الذين آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به سواه .

قال الجبائي : في الاية دلالة على أن الصرع ليس من قبل الشيطان ، قال :

---

(١) سورة الانفال : ٤١ .

(٢) سورة المائدة : ٦ .

لانه لو أمكنه أن يصرعه لكان له عليهم سلطان ، وأجاز أبو الهذيل وابن الاخشاذ ذلك .

فصل : قوله «ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين» الاية : ١٠٣ .

قال الضحاك : أرادوا به سلمان الفارسي . وقال قوم : أرادوا به انساناً يقال له : عايش أو يعيش كان مولى لحويطب بن عبد العزى أسلم وحسن اسلامه .

فقال الله تعالى رداً عليهم «لسان الذي يلحدون اليه» أي: يميلون اليه«أعجمي وهذا لسان عربي»كما تقول العرب للقصيدة : هذه لسان فلان ، قال الشاعر :

لسان السوء تهديها الينا وحنت وما حسبتك ان تحينا

والاعجمي الذي لايفصح، والعجمي منسوب الى العجم. والاعرابي البدوي والعربي منسوب الى العرب ، ومعناه ظاهر بين لايشكل .

فصل : قوله «الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان» الاية : ١٠٦ .

نزلت هذه الاية في عمار بن ياسر رحمة الله عليه أكرهه المشركون بمكة بأنواع العذاب .

وقيل: انهم غطوه في بئر ماء على أن يلفظ بالكفر، وكان قلبه مطمئناً بالايمان فخاف من ذلك وجاء الى النبي ﷺ جزعاً ، فقال له النبي ﷺ: كيف كان قلبك؟ قال : كان مطمئناً بالايمان ، فأنزل الله فيه الاية وأخبر أن الذين يكفرون بالله بعد أن كانوا مصدقين به بأن يرتدوا عن الاسلام فعليهم غضب من الله .

فصل : قوله «ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وأن الله لايهدي القوم الكافرين» الاية : ١٠٧ .

معناه أحد شيئين :

أحدهما : أنه لايهديهم الى طريق الجنة والثواب لكفرهم .

الثاني : أنه لايحكم بهدايتهم لكـونهم كفاراً . فأما نصب الدلالة فقد هدى الله جميع المكلفين، كما قال«وأماثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى»[١].

وقيل: انهم لما لم يهتدوا بتلك الادلة فكأنها ما نصبت لهم ونصبت للمؤمنين الدين اهتدوا بها ، فلذلك نفاها عنهم فكأنها لم تكن .

فصل : قوله «ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم» الاية : ١١٠ .

نزلت في المستضعفين المفتنين بمكة عمار وبـلال وصهيب ، فانهم حملوا على الارتداد عن دينهم ، فمنهم من أعطى ذلك تقية ، منهم عمار فانه أظهر ذلك تقية ثم هاجر .

قال الرماني : في الاية دلالة على أنهم فتنوا عن دينهم بمعصية كانت منهم لقوله «ان ربك من بعدها لغفور رحيم» لان المغفرة الصفـح عن الخطيئة ، ولو كانوا اعطوا التقية على حقها لم تكن هناك تقية[٢].

هذا الذي ذكره ليس بصحيح، ولا في الكلام دلالة عليه، وذلك أن الله تعالى انماقال «ان ربك من بعدها» يعني: بعد الفتنة التي يشق أمرها «لغفور رحيم» أي: ساتر عليهم ، لان ظاهر ما أظهروه يحتمل القبيح والحسن .

فلما كشف الله عن باطن أمورهم وأخبر أنهم كانوا مطمئنين بالايمان كان في ذلك ستر عليهم وازالة للظاهر المحتمل الـى الامر الجلي ، وذلك من نعم الله عليهم .

فصل : قوله «فأذاقها الله لباس الجوع والخوف» الاية : ١١٢ .

انما سماه لباس الجوع لانه يظهر عليهـم من الهزال وشحوب اللون وسوء

---

(١) سورة فصلت : ١٧ .

(٢) في التبيان : خطيئة .

الحال ما هو كاللباس .

وقيل : انه شملهم الجوع والخوف ،كما يشمل اللباس البدن .

الجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج والتي هي أحسن فيه الرفق والوقار والسكينة مع نصرة الحق بالحجة .

سورة بني اسرائيل

قالت أم هاني بن أبي طالب : ان النبي ﷺ كان في منزلها ليلة أسري به . وقال الحسن وقتادة : كان في نفس المسجد الحرام . والمسجد الاقصى بيت المقدس ، وهو مسجد سليمان بن داود .

فصل : قوله «ذرية من حملنا مع نوح» الاية : ٣ .

نصبه على النداء ، وهو خطاب لجميع الخلق، لان الخلق كله من نسل نوح من بنيه الثلاثة : حام وهو أبو السودان ، ويافث وهو أبو البيضان الروم والترك والصقالبة وغيرهم ، وسام وهو أبو العرب والفرس .

فصل : قوله «فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد » الاية : ٥ .

قيل : في معنى «بعثنا» قولان :

أحدهما ـ قال الحسن: انا خلينا بينهم وبينكم خاذلين لكم جزاءاً على كفرهم ومعاصيكم ،كما قال «انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا»[1].

الثاني : قال أبو علي : أمرناهم بقتالكم .

فصل : قوله «وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً» الاية : ١٣ .

---

(١)سورة مريم : ٨٤ .

معنى «طائره» قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : عمله من خير أو شر، كالطائر الذي يجيء من ذات اليمين فيتبرك به ، والطائر الذي يجيء من ذات الشمال فيتشأم به وطائره عمله، والزام الله طائره في عنقه الحكم عليه بما يستحقه من ثواب أو عقاب .

ثم قال « لاتزر وازرة وزر أخرى » أي : لايأخذ أحداً بذنب غيره . والوزر الاثم .

وقوله « وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا » اخبار من الله أنه لايعاقب أحداً على معاصيه حتى يستظهر عليه بالحجة وانفاذ الرسل .

وليس في ذلك دلالة على أنه لولم يبعث رسولا لم يحسن منه أن يعاقب اذا ارتكب القبائح العقلية ، اللهم الأن يفرض أن في بعثة الرسل لطفاً ، فانه لايحسن من الله مع ذلك أن يعاقب أحداً الابعد أن يعرفه ماهو لطف له ومصلحة لتزاح علته.

وقيل : معناه « وماكنا معذبين » بعذاب الاستيصال والاهلاك في الدنيا حتى نبعث رسولا . وفي الاية دلالة على بطلان قول المجبرة ، من أن الله تعالى يعذب أطفال الكفار بكفر آبائهم ، لانه بين أنه لايأخذ أحداً بجرم غيره .

فصل : قوله «واذاأردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » الاية :١٦.

ذكر في هذه الاية وجوه أربعة :

أحدها : أن مجرد الاهلاك لايدل على أنه حسن أوقبيح ، بل يمكن وقوعه على كل واحد من الامرين، فاذاكان واقعاً على وجه الظلم كان قبيحاً ، واذاكان واقعاً على وجه الاستحقاق ، أو على وجه الامتحان كان حسناً ، فتعلق الارادة به لايقتضي تعلقها على الوجه القبيح ، واذا علمنا أن القديم لايفعل القبيح علمنا أن ارادته للاهلاك على الوجه الحسن .

وقوله « أمرنا مترفيها » المأمور به محذوف ، وليس يجب أن يكون المأمور

به هو الفسق وان وقع بعده الفسق ، بل لايمتنع أن يكون التقدير : واذاأردنا أن نهلك أهل قرية أمرناهم بالطاعة ففسقوا فيها فحق عليها القول ، وجرى ذلك مجرى قولهم أمرته فعصى ، والمراد أمرته بالطاعة فعصى .

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير : المعنى أمرناهم بالطاعة ففسقوا ، ومثله أمرتك فعصيتني .

ومن قرأ « أمرنا مترفيها » بتشديد الميم بمعنى أكثرنا، من قولهم سكة مأبورة ومهرة مأمورة ، أي : كثيرة النتاج ، فالمعنى أي : أكثرنا عددهم أومالهم ففسقوا، فقد سلم من الاعتراض .

فصل : قوله «وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف » الاية : ٢٣ .

في «أف» سبع لغات : روي عن الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عليهم السلام أنه قال : لو علم الله لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من أف لاتى بها .

فان قيل : هل أباح الله أن يقال لهما أف قبل أن يبلغا الكبر ؟

قلنا : لا ، لان الله أوجب على الولد طاعة الوالدين على كل حال وحظر عليه أذاهما .

وانما خص الكبر، لان وقت كبر الوالدين مما يضطرفيه الوالدين الى الخدمة اذاكانا محتاجين عند الكبر ، وفي المثل يقال : « فلان أبر من النسر » لان النسر اذا كبر ولم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقه كما كان أبواه يزقانه ، ومثله قوله «ويكلم الناس في المهد وكهلا »[1] .

والوجه في قوله «وكهلا» مع أن الناس يتكلمون كلهم حال الكهولية أن الله تعالى أخبر أن عيسى يكلم في المهد أعجوبة ، وأخبر أنه يعيش حتى يكتهل ويتكلم

(١) سورة آل عمران : ٤٦ .

بعد الكهولة ، ونحوه قوله « والامر يومئذ لله »[1] انما خص بذلك اليوم بأن الامر لله ، لان في الدنيا مع أنه يملك قد ملك أقواماً جعلهم ملوكاً وخلفاء ، وذلك اليوم لايملك سواه .

معنى قوله « وقضى ربك ألا تعبدوا الا أياه » أي : أمره ، في قول ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد .

فان قيل : الامر لايكون أمراً بألا يكون الشيء ، لانه يقتضي ارادة المأمور به ، والارادة لاتتعلق بألايكون الشيء ، وانما تتعلق بحدوث الشيء .

قلنا: المعنى أنه كره ربكم عبادة غيره ، وأراد منكم عبادته على وجه الاخلاص ، وسمي ذلك أمراً بـ « ألا تعبدوا الا اياه » لان معناهما واحد .

فصل: قوله «ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط» الاية: ٢٩.

أي : لاتكن ممن لايعطي شيئاً ولايهب ، فتكون بمنزلة من يده مغلولة الى عنقه لايقدر على الاعطاء ، وذلك مبالغة في النهي عن الشح والامساك « ولاتبسطها كل البسط » أي : ولاتعط أيضاً جميع ماعندك ، فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لايستقر فيها شيء ، وذلك كناية عن الاسراف .

والمحسور المغموم المنحسر والحسرة الغم .

فصل: قوله « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل » الاية : ٣٣ .

اسرافه فيه أن يقتل غير من قتل ، أو يقتل أكثر من قاتل وليه ، لان مشركي العرب كانوا يفعلون ذلك ، والتقدير فلايسرف الولي في القتل أن الولي كان منصوراً بقتل قاتل وليه والاقتصاص منه .

فصل : قوله «ولاتقربوا مال اليتيم الابالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا

---

(١) سورة الانفطار : ١٩ .

بالعهد » الاية : ٣٤ .

انما خص مال اليتيم بذلك ، وان كان التصرف في مال البالغ بغير اذنه لايجوز أيضاً ، لان اليتيم الى ذلك أحوج والطمع في مثله أكثر .

وقوله « حتى يبلغ أشده » قال قوم: حتى يبلغ ثمان عشرة سنة. وقال آخرون: حتى يبلغ الحلم . وقال آخرون وهو الصحيح : حتى يبلغ كمال العقل ويؤنس منه الرشد .

وقوله « وأوفوا بالعهد » أمر من الله تعالى بالوفاء بالعهد وهو العقد، ومتى عقد عاقد على مالا يجوز، فعليه نقض ذلك العقد الفاسد والتبري منه . وانمايجب الوفاء بالعقد الذي يحسن .

وقيل : كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد ، وقد يجب الشيء للنذر وللعهد والوعد به وان لم يجب ابتداءاً وانما يجب عند العقد .

وقوله «ان العهدكان مسؤولا» معناه : انه كان مسؤولاعنه للجزاء عليه ، فحذف «عنه» لانه مفهوم ثم نهى نبيه أن يقفوا ماليس له به علم ، وهو متوجه الى جميع المكلفين ، وأصله القفو اتباع الاثر ، ومنه القيافة وكأنه يتبع قفا المتقدم .

واستدل بهذه الاية على أنه لايجوز العمل بالقياس ولابخبر الواحد ، لانهما لايوجبان العلم ، وقد نهى الله تعالى أن يتبع الانسان مالايعلمه .

فصل: قوله«واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس»الاية : ٦١ .

انما جاز أن يأمره بالسجود له ولم يجز أن يأمره بالعبادة له ، لان السجود يترتب في التعظيم بحسب ما يراد به، وليس كذلك العبادة التي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع، لانه يترتب في التعظيم بحسبه[1]، يبين ذلك أنه لوسجد ساهياً لم يكن له منزلة في التعظيم ، على قياس غيره من أفعال الخوارج .

---

(١) في التبيان : بحسب نيته .

قال الرماني : الفرق بين السجود لادم والسجود الى الكعبة ، أن السجود لادم تعظيم له باحسانه ، وهذا يقارب قولنا في أنه قصد بذلك تفضيله بأن أمره بالسجود له .

ومعنى «لاحتنكن» لاقتطعنهم الى المعاصي ، يقال منه احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك ، قال الشاعر :

تشكو اليك سنة قد أجحفت جهداً الى جهد بنا وأضعفت
واحتنكت أموالنا وجلفت

فصل: قوله«واستفزز من استطعتمنهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد» الاية : ٦٤ .

معنى «استفزز» استزل يقال : استزله واستفزه بمعنى واحد ، وتفزز الثوب اذا تخرق وفززه تفزيزاً، وأصله القطع، فمعنى استفزه استزله بقطعه عن الصواب .

والاستطاعة قوة تنطاع بهاالجوارح للفعل، ومنه الطوع والطاعة وهو الانقياد للفعل .

وقيل : في الصوت الذي يستفزهم به قولان :

أحدهما ـ قال مجاهد : هو صوت الغناء واللهو .

الثاني : قال ابن عباس : هو كل صوت يدعى به الى معصية الله .

وقوله «وشاركهم في الاموال والاولاد» فمشاركته اياهم في الاموال كسبها من وجوه مخطورة، أو انفاقها في وجوه مخطورة،كما فعلوا في السائبة والبحيرة وفي الاولاد قال مجاهد والضحاك : فهم أولاد الزنا. وقال ابن عباس : المؤودة وقال ابن عباس في روايته : هو تسميتهم عبدالحارث وعبد شمس .

فصل : قوله «فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون فتيلا» الاية : ٧١ .

جعل الله تعالى اعطاء الكتاب باليمين من علامة الرجاء والخلاص وأن من أعطي كتابه باليمين تمكن من قراءة كتابه وسهل له ذلك، وكان فحواه أن من أعطي كتابه بيساره أووراء ظهره، فانه لايقدر على قراءة كتابه ولايتأتى له بل يتلجلج فيه.

والفتيل هو المفتول الذي في بطن النواة في قول قتادة .

وقيل: الفتيل في بطن النواة، والنقير في ظهرها، والقطمير قشر النواة، ذكره الحسن .

فصل : قوله «أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً» الاية : ٧٨ .

اختلفوا في الدلوك ، فقال ابن عباس وابن مسعود وابن زيد : هو الغروب والصلاة المأمور بها هاهنا هي المغرب .

وقال ابن عباس في رواية أخرى والحسن ومجاهد وقتادة : دلوكها زوالها وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام . وذلك أن الناظر اليها يدلك عينيه لشدة شعاعها. وأما عند غروبها ، فيدلك عينيه ليتبينها. وغسق الليل ظهور ظلامه .

و«قرآن الفجر» يعني قرآن الفجر في الصلاة ، وذلك يدل على أن الصلاة لا تتم الا بالقراءة ، لانه أمر بالقراءة وأراد بها الصلاة ، لانها لاتتم الا بها .

وقوله «ان قرآن الفجر كان مشهوداً» معناه: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ذهب اليه ابن عباس وقتادة ومجاهد وابراهيم .

ومعنى «لدلوك الشمس» أي : عند دلوكها .

واستدل قوم بهذه الاية على أن وقت الاولى موسع الى آخر النهار لانه ، أوجب اقامة الصلاة من وقت الدلوك الى وقت غسق الليل ، وذلك يقتضي أن ما بينهما وقت .

وهذا ليس بشيء ، لان من قال : ان الدلوك هو الغروب لادلالة له فيها، لان

من قال ذلك يقول: انه تجب اقامة المغرب من عند الغروب الى وقت اختلاط الظلام الذي هو غروب الشفق ، وما بين ذلك وقت المغرب ، ومن قال : الدلوك هو الزوال يمكنه أن يقول: المراد بالاية بيان وجوب الصلاة الخمس على ما ذكره الحسن ، لابيان وقت صلاة واحدة ، فلا دلالة في الاية .

فصل: قوله «ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» الاية : ٧٩ .

التهجد التيقظ لما ينفي النوم . وقال المبرد : التهجد عند أهل اللغة السهر للصلاة أو لذكر الله، فاذا سهر للصلاة قيل : تهجد، واذا أراد النوم قيل : هجد .

قال الرماني: يجوز أن يكون نافلة أكثر ثواباً من فريضة اذا كان ترك الفريضة صغيراً ، لان نافلة النبي أعظم من هذه الفريضة من فرائض غيره ، وقد تكون نعمة واجبة أعظم من نعمة واجبة كنعمة الله، لانه يستحق بها العبادة من نعمة الانسان التي يستحق بها الشكر فقط .

وقوله «نافلة لك» وجه هذا الاختصاص هو أنه أتم للترغيب لما في ذلك من صلاح أمته في الاقتداء به والدعاء الى الاستنان بسنته ، وروي أنها فرضت عليه ولم تفرض على غيره فكانت فضيلة له ، ذكره ابن عباس .

وقوله «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» وهي الشفاعة، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة .

وقال قوم : المقام المحمود اعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة و«عسى» من الله واجبة وقد أنشد لابن مقبل :

ظني بهم كعسى وهم بتنوقة يتنازعون جوائز الامثال[1]

يريد كيقين .

---

(١) اللسان «ظنن» .

فصل : قوله «قل كل يعمل على شاكلته» الاية : ٨٤ .

معنى ذلك أي : على طريقته التي يشاكل أخلاقه . وقال مجاهد : على طبيعته وقيل : على عادته التي ألفها .

والمعنى أنه ينبغي للانسان أن يحذر الف الفساد، فلايستمر عليه بل يرجع عنه.

فصل : قوله «ويسألونك عن الروح» الاية : ٨٥ .

اختلفوا في الروح ، فقال ابن عباس : هو جبرئيل وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أن الروح ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف لسان ، يسبح لله بجميع ذلك .

وقيل : هو روح الحيوان . وهو الاظهر في الكلام .

فصل : قوله « ومامنع الناس أن يؤمنوا اذجاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا » الاية : ٩٤ .

فان قيل : لم جاز أن يرسل الله الى النبي وهومن البشر ملكاً ليس من جنسه ؟ ولم يجز أن يرسل الى غير النبي مثل ذلك ؟ .

قلنا : لانه صاحب معجزة قد اختير للهداية والمصلحة ، فصارت حاله بذلك مقاربة لحال الملك ، وليس كذلك غيره من الامة ، مع أن الجماعة الكثيرة ينبغي أن يتخير لها مايجتمع عليه هممها بمالايحتاج اليه في الواحد منها اذا أريد صلاح الجميع .

على أنه يلزمهم على الامتناع من اتباع النبي ، لانه بشر مثلهم الامتناع من اتباع الملك. لانه عبد ومحدث مثلهم في العبودية، فان جاز ذلك لان الله عظمه وشرفه واختاره جاز أيضاً في البشر لمثل هذه العلة .

فصل : قوله « ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء » الاية : ٩٧ .

قيل : في معنى ذلك قولان :

أحدهما : من يحكم الله بهدايته ويسميه بها باخلاصه الطاعة فهو المهتدي في الحقيقة ، وفيه دعاء الى الاهتداء وترغيب فيه وحث عليه ، وفيه معنى الامر به .

الثاني: من يهديه الله الى طريق الجنة فهو المهتدي اليها .

وقوله « ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه » يحتمل أيضاً أمرين :

أحدهما : من يحكم الله بضلاله ويسميه ضالا بسوء اختياره للضلالة ، فانه لاتنفعه ولاية ولي له ، فلو تولاه لم يعتد بتوليه ، لانه من اللغو الذي لامنزلة له ، فلذلك حسن أن ينفي لانه بمنزلة مالم يكن .

والثاني : من يضلله الله عن طريق الجنة وأراد عقابه على معاصيه لم يوجد له ناصر يمنعه من عقابه .

فصل : قوله « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذن لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتوراً » الاية : ١٠٠ .

القتور البخيل ، في قول ابن عباس . وظاهر قوله « وكان الانسان قتوراً » العموم وقد علمنا أن في الناس الجواد ، والوجه فيه أحد أمرين :

أحدهما :أن الاغلب عليهم من ليس بجواد من مقتصد أو بخيل ، فجاز اطلاقه تغليباً للاكثر .

والثاني : أنه لاأحد الاوهو يجر الى نفسه نفعاً بما فيه ضرر على الغير ،فهو بخيل بالاضافة الى جود الله .

فصل: قوله«ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك ياموسى مسحوراً » الاية : ١٠١ .

اختلفوا في هذه التسع ، فقال ابن عباس والضحاك : هي يد موسى وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع .

وقوله «مسحوراً» حكاية عما قال فرعون لموسى : اني لاظنك ياموسى معطى علم السحر ، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك ، وقد يجوز أن يكون المراد اني لاظنك ياموسى ساحراً ، فوضع المفعول موضع فاعل .

فصل: قوله «قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها » الاية : ١١٠ .

معناه : بأي أسمائه تعالى تدعون ربكم به ، وانما تدعون واحداً ، فله الاسماء الحسنى ، وانما أمره بذلك لان مشركي قومه لما سمعوا النبي عليه السلام يدعو الله تارة بأنه الله ، وتارة بأنه الرحمن ، فظنوا أنه يدعو الهين ، حتى قال بعضهم :الرحمن رجل باليمامة ، فأنزل الله هذه الاية احتجاجاً لنبيه بذلك وأنه شيء واحد ، وان اختلفت أسماؤه وصفاته ، وبه قال ابن عباس ومكحول ومجاهد وغيرهم .

وقوله «أياما» يحتمل أن يكون صلة ،كقوله «عما قليل»[1] ويحتمل أن يكون بمعنى «أي» كررت لاختلاف لفظهما ،كما قالوا : مارأينا كالليلة لليلة .

وقوله « ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » نهي من الله تعالى عن الجهر العظيم في حال الصلاة ، وعن المخافتة الشديدة ، وأمر بأن يتخذ بين ذلك طريقاً . وحد أصحابنا الجهر فيما يجب الجهر فيه بأن يسمع غيره. والمخافتة بأن يسمع نفسه .

ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله : قل يامحمد « الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً» وليس لاحد أن يقول :كيف يحمد الله على أن لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك، والحمد انما يستحق على فعل له صفة التفضل .

وذلك أن الحمد في الاية ليس هو على أن لم يفعل ذلك ، وانما هو حمد على أفعاله المحمودة ، ووجه الى من هذه صفته لا من أجل أن ذلك صفته ،كما

(١) سورة المؤمنون : ٤٠ .

تقول : أنا أشكر فلاناً الطويل الجميل ، ليس أنك تشكره على جماله وطوله ، بل على غير ذلك من فعله .

سورة الكهف

فصل : قوله « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً* قيماً » الاية : ١ ـ ٢ .

كسرت العين من قوله «عوجاً» لان العرب تقول في كل اعوجاج كان في دين أو فيما لا يرى شخصه وانما يدرك[١] عياناً منتصباً ، كالعوج في الدين ، ولذلك كسرت العين في هذا الموضع ، وكذلك العوج في الطريق ، لانه ليس بالشخص المنتصب ، فأما ماكان في الاشخاص المنتصبة ، فان عينها تفتح ، كالعوج في القناة والخشبة ونحوهما .

فصل : قوله « فلعلك باخع نفسك » الاية : ٦ .

معناه : فلعلك يامحمد قاتل نفسك ، فتهلكها على آثار قومك ، يقال : بخع نفسه يبخعها بخعاً وبخوعاً ، قال ذو الرمة :

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر[٢]

يريد نحته مخفف .

قوله «صعيداً جرزاً» الصعيد ظهر الارض .

والجرز الذي لانبات عليه ولازرع ولاغرس .

فصل: قوله « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم » الاية : ٩ .

اختلفوا في معنى «الرقيم» فقال قوم : هو اسم قرية ، ذهب اليه ابن عباس .

---

(١) في التبيان : ولايدرك .

(٢) مجاز القرآن ١/٣٩٣ .

وقال عطية : الرقيم واد .

وقال قتادة : الرقيم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف .

وقال سعيد بن جبير : هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أهل الكهف ، ثم وضعوه على باب الكهف ، وهو اختيار البلخي والجبائي وجماعة .

فصل : قوله « لن ندعو من دونه الهاً لقد قلنا اذن شططاً » الاية : ١٤ .

الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه ، ومنه قد أشط فلان في السوم اذا تجاوز القدر بالغلو فيه يشط اشطاطاً وشططاً وشط منزل فلان يشط شطوطاً اذا جاوز القدر في البعد .

فصل : قوله « وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال » الاية : ١٧ .

قيل : في معنى « تقرضهم » قولان: أحدهما ـ تقطعهم في ذات الشمال، أي : انها تجوزهم منحرفة عنهم من قولك قرضته بالمقراض أي : قطعته .

قال أبو عبيد: كذلك هو في كلامهم، يقال: قرضت الموضع اذا قطعته وجاوزته وقال الكسائي والفراء : هو المحاذاة[1].

والقرض يستعمل في أشياء غير هذا ، منه القطع للثوب وغيره ، ومنه سمي المقراض . ومنه قرض الفار والقرض من تقارض الناس بينهم الاموال ، وقد يكون ذلك في الثناء تثني عليه كما يثني عليك .

والقراض بلغة أهل الحجاز المضاربة .

والقرض قول الشعر القصيد منه خاصة دون الرجز ، وقيل للشعر : قريض من ذلك ، قال الاغلب العجلي :

* أرجزاً تريد أم قريضاً *

(١) في التبيان : المجاوزة .

قوله « من يهد الله فهو المهتدي » معناه: من يسميه الله هادياً ويحكم بهدايته فهو المهتدى .

ويحتمل أن يكون أراد من يهده الله الى الجنة فهو المهتدي في الحقيقة .

ويحتمل أن يكون من يلطف الله له بما يهتدي عنده فهو المهتدي .

« ومن يضلل » أي : من يحكم بضلاله أو يسميه ضالا ، أو من يضله عن طريق الجنة ويعاقبه .

فصل : قوله « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه » الاية : ١٩ .

في ورقكم أربع لغات : فتح الواو وكسر الراء وهو الاصل ، وفتح الواو وسكون الراء ، وكسر الواو وسكون الراء . فالورق الدراهم ، ويقال أيضاً: بفتح الراء ويجمع أوراقاً، ورجل وراق كثير الدراهم، فأما مايكتب فيه فهو الورق بفتح الراء لاغير .

وقيل : الورق بفتح الراء المال كله المواشي وغيرها ، قال العجاج :

اغفر خطاياي وثمر[1] ورقي

فصل : قوله «سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم » الاية : ٢٢ .

قال الرماني : وفرق بينهما ، لان السبعة أصل للمبالغة في العدة ، كما قال عز وجل « استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »[2].

قوله « رجماً بالغيب » قال قتادة : معناه قذفاً بالغيب . وقال المؤرج : ظناً بالغيب .

قوله « ولاتقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الاأن يشاء الله » نهي من الله لنبيه

(١) في التبيان : وطوح .

(٢) سورة التوبة : ٨١ .

أن يقول : اني أفعل شيئاً في غد ، الا أن يقيد قوله بمشيئة الله ، فيقول : ان شاء الله ، لانه لايأمن اخترامه ، فيكون خبره كذباً . واذا قيده بقوله « ان شاء الله » ثم لم يفعل لم يكن كاذباً .

والمراد بالخطاب جميع المكلفين ، ومتى أخبر المخبر عن ظنه وعزمه بأنه يفعل شيئاً فيما بعد ثم لايفعل لايكون كاذباً ، لانه أخبر عن ظنه وهو صادق فيه .

وقال الفراء قوله « الا أن يشاء الله » بمعنى المصدر ، فكأنه قال: الامشيئة الله. والمعنى الامايريده الله ، واذا كان الله تعالى لايشاء الاالطاعات، فكأنه قال له : لا تقل اني أفعل الاالطاعات ومايقرب الى الله .

وهذا وجه حسن، ولايطعن في ذلك جواز الاخبار عمايريد فعله من المباحات التي لايشأها الله، لان هذا المنهي ليس هو نهي تحريم وانما هو نهي تنزيه، لانه لو لم يقل ذلك لما أثم بلاخلاف ، وانما هو نهي تحريم فيما يتعلق بالقبح ، فانه لا يجوز أن يقول : اني أفعل ذلك بحال .

والاية تضمنت أن لايقول الانسان اني أفعل غداً شيئاً الا أن يشاء الله ، فأما أن يعزم عليه من غير ذكر ذلك ، فلايلزم المشيئة فيه الاندبا .

قال ابن عباس : له أن يستثني ولو الى سنة .

والذي نقوله : ان الاستثناء متى لم يكن متصلا بالكلام أو في حكم المتصل لم يكن له تعلق بالاول ولاحكم له ، وأنه يجوز دخول الاستثناء بمشيئة الله في جميع أنواع الكلام من الامر والنهي والخبر والايمان وغير ذلك، ومتى استثنى ثم خالف لم يكن حانثاً في يمينه ولاكاذباً في خبره . ومتى هو استثناه بعد مدة وبعد انفصال الكلام لم يبطل ذلك حنثه ولزمته الكفارة .

ولو لم يقل ذلك أدى الى أن لايصح يمين ولاخبر ولاعقد ، فان الانسان متى شاء استثنى في كلامه ويبطل حكم كلامه ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : من

حلف على أمر يفعله ، ثم رأى ماهو خير له ، فليحنث وليكفر .

ولو كان الاستثناء جائزاً بعد مدة ، لكان يقول : فليستثن ولايحتاج الى الكفارة ولايلزمه الحنث . وقد روي في أخبارنا مثل ماحكيناه عن ابن عباس .

ويشبه أن يكون المراد به أنه اذا استثنى وكان قد نسي من غير تعمد ، فانه يحصل له ثواب المستثنى دون أن يؤثر في كلامه ، وهو الاشبه بابن عباس وأليق بعلمه وفضله ، فان ماحكي عنه بعيد جداً .

وقال الكسائي والفراء : التقدير ولاتقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الاأن تقول ان شاء الله فأضمر القول . وانما كان الاستثناء مؤثراً اذا كان الكلام متصلا لانه يدل على أنه يؤول كلامه ، واذا لم يكن متصلا ، فقد استقرت نيته وثبتت ، فلا يؤثر الاستثناء فيها .

فصل : قوله « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً * قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والارض » الاية : ٢٥ ـ ٢٦ .

معناه : اخبار من الله تعالى وبيان عن مقدار مدة لبثهم ، أعني أصحاب الكهف الى وقت انتباههم .

ثم قال لنبيه : فان حاجك المشركون فيهم من أهل الكتاب فقل « الله أعلم بما لبثوا » .

ويحتمل أن يكون المعنى : ولايجوز لحاكم أن يحكم الا بما حكم الله به أو بمادل على حكم الله ، وليس لاحد أن يحكم من قبل نفسه ، فيكون شريكاً لله في أمره وحكمه .

وقيل : ان معناه : قل الله أعلم بما لبثوا الى أن ماتوا .

وحكي عن قتادة أن ذلك حكاية عن قول اليهود ، وأنهم الذين قالوا : لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ، وقوى ذلك بقوله « قل الله أعلم بما لبثوا »

فذكر أنه تعالى العالم بذلك دون غيره .

وقد ضعف جماعة هذا الوجه ، قالوا: لان الوجه الاول أحسن، لانه ليس لنا أن نصرف أخبار الله الى أنه حكاية الا بدليل قاطع، ولانه معتمد الاعتبار الذي بينه الله عزوجل للعباد .

فصل: قوله «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه» الاية : ٢٨ .

معناه : يريدون تعظيمه والقربة اليه دون الرياء والسمعة، فذكر الوجه بمعنى التعظيم ،كما يقال : أكرمته لوجهك أي : لتعظيمك، لان من عادتهم أن يذكروا وجه الشيء ، ويريدون به الشيء المعظم ،كقولهم : هذا وجه الرأي، أي : هذا الرأي .

فصل : قوله «وأحيط بثمره[1]» الاية .

قال بعض أهل اللغة : الثمر المال ، والثمر المأكول . وجاء في التفسير أن الثمر النخل والشجر والثمر على ماروي عن جماعة من السلف الاصول التي تحمل الثمرة لانفس الثمرة، بدلالة قوله «فأصبح يقلب كفيه على ماأنفق فيها» أي: في الجنة .

فصل : قوله «كلتا الجنتين آتت أكلها» الاية : ٣٣.

الالف في «كلتا» ليست ألف التثنية ، ولذلك لايجوز أن تقول الاثنتان قام، ويجوز أن يقال :كل الجنة أتت ، ولم يجز كل المرأة قامت ، لان بعض المرأة ليس بامرأة ، وبعض الجنة جنة ، فكأنه قال :كل جنة من جملتها أتت .

والمحاورة المراجعة في الكلام .

فصل: قوله : «أكفرت بالذي خلقك من تراب» الاية : ٣٧ .

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وسيأتي تمام الاية .

معنى «خلقك من تراب» ان أصلك من تراب، اذ خلق أباه آدم عليه السلام من تراب فهو من تراب ويصير الى تراب .

وقيل : لما كانت النطفة يخلقها الله بمجرى العادة من الغذاء ، والغذاء ينبت من تراب ، جاز أن يقال : خلقك من تراب ، لان أصله تراب، كما قال «من نطفة» وهو في هذه الحالة خلق سوي حي، لكن لما كان أصله كذلك جاز أن يقال ذلك .

وفي الاية دلالة على أن الشك في البعث والنشور كفر .

قوله «حسباناً من السماء» قال ابن عباس وقتادة : معناه عذاباً. وقيل: ناراً من السماء تحرقها .

وقيل: أصل الحسبان السهام التي ترمى بمجرى[1] في طلق واحد وكان ذلك من رمي الاساورة، والحسبان المرامي الكثيرة مثل كثرة الحساب واحده حسبانه.

فصل : قوله «ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً * هنالك الولاية» الاية : ٤٣ – ٤٤ .

والفئة الجماعة، وقد يسمى الرجل الواحد فئة، كما أن الطائفة تكون جماعة وواحداً .

قال ابن عباس: وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، فالطائفة الرجل الواحد.

فأما الولاية بفتح الواو وكسرها فلغتان ، مثل الوكالة والدلالة . وقال قوم : هما مصدران، فالمكسور مصدر الوالي من الامارة، والمفتوح مصدر الولي ضد العدو .

فصل : قوله « وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها » الاية : ٤٢ .

---

(١) في التبيان : لتجرى .

« وأحيط بثمره » معناه : هلكت ثمرتهم عن آخرها ولم يسلم منها شيء، كما يقال: أحاط بهم العدو اذا هلكوا عن آخرهم .

ومعنى « يقلب كفيه » أي : يتحسر على ماأنفق في عمارتها « وهي خاوية على عروشها» معناه: حيطانه قائمة لاسقوف عليها، لانها أنهارت فصارت في قرارها ومثله قولهم : وقعت الدار على سقوفها . أي : أعلاها في أسفلها .

والعروش الابنية. وقيل : العروش السقوف، فصار الحيطان على السقوف .

فصل: قوله « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » الاية : ٥١ .

قوله «كان من الجن » معناه : صار من الجن المخالفين لامر الله .

وقال قوم : ذلك يدل على أنه لم يكن من الملائكة ، لان الجن جنس غير الملائكة ،كما أن الانس غير جنس الجن .

ومن نصر[1] أنه كان من الملائكة يقول: يعني كان من الجن، يعني من الذين يستترون عن الابصار ، لانه مأخوذ من الجن وهو الستر، ومنه المجن لانه يستر الانسان .

وقال ابن عباس : نسب الى الجنان التي كان عليها، كقولك كوفي وبصري .

وقال غيره: بل كانت قبيلته التي كان منها يقال لهم الجن، وهم سبط من الملائكة فنسب اليهم .

وقوله : « ففسق عن أمر ربه » معناه : خرج عن أمر ربه الى معصيته بترك السجود لادم .

وأصل الفسق الخروج الى حال تضر ، يقال : فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها . وفسقت الفأرة اذا خرجت من حجرها .

---

(١) في التبيان : زعم .

قوله «وجعلنا بينهم موبقاً» .

قال ابن عباس : أي مهلكاً ، وبه قال قتادة والضحاك وابن زيد ، وهو من أوبقته ذنوبه ، أي : أهلكته . وقال أنس بن مالك : وهو واد في جهنم من قيح ودم .

« فظنوا » أي : علموا « أنهم مواقعوها ولم يجدوا » عن دخولها معدلا ولا مصرفاً ، لان معارفهم ضرورية . فالظن هاهنا بمعنى العلم ، وقديكون الظن غير العلم ، وهو ماقوي عند الظان كون المظنون على ماظنه ، مع تجويزه أن يكون على خلافه.

« وكان الانسان أكثر شيء جدلا » أي : خصومة .

والجدل شدة الفتل عن المذهب بطريق الحجاج ، وأصله الشدة ، ومنه الاجدل الصقر لشدته، وسير مجدول شديد الفتل .

وقوله « ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين » معناه : مامنعهم من الايمان بعد مجيء الدلالة أن يستغفروا ربهم على ماسبق من معاصيهم أن تأتيهم سنة الاولين في مجيء العذاب من حيث لايشعرون، أو مقابلة من حيث يرون ، وانما هم بامتناعهم من الايمان بمنزلة من يطلب هذا حتى يؤمن كرها ، لانهم لايؤمنون حتى يروا العذاب الاليم .

فصل : قوله « وتلك القرى أهلكناهم لماظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً » الاية : ٦٠ .

من ضم الميم وفتح اللام وهو الاختيار ، فلان المصدر من أفعل، والمكان يجيء على مفعل ،كقوله «ادخلني مدخل صدق »[1] كذلك أهلكه الله مهلكاً .

وكل فعل كان على فعل يفعل مثل ضرب يضرب فالمصدر مضرب بالفتح،

(١) سورة الاسراء : ٨٠ .

والزمان والمكان مفعل بكسر العيـن . وكل فعل كان مضارعـه يفعل بالفتح نحو يشرب ويذهب، فهو مفتوح أيضاً ، نحو المشرب والمذهب .

وكل فعل كان على فعل يفعل بضم العين في المضارع ، نحو يدخل ويخرج فالمصدر والمكان منه بالفتح، نحو المدخل والمخرج الا ماشذ منه نحوالمسجد فانه من سجد يسجد .

قيل : فتـى موسى كان يوشع بن نون . وقيـل : ابن يوشع ، وسمي فتـاة لملازمته اياه. « لاأبرح » أي : لاأزال .

وقيل : انه كان وعد بلقـاء الخضر عند مجمع البحرين . قال قتادة : مجمع البحريـن بحر فارس والروم .

وقولـه « فلمابلغا مجمع بينهما » يعني بين البحرين « نسيا حوتهما » وانما نسيه يوشع بن نون وأضافـه اليهما ، كما يقال : نسي القوم زادهم وانما نسيـه بعضهم .

وقوله «فاتخذ سبيله » يعني الحوت « في البحر سرباً » قال ابن عباس وابن زيد ومجاهـد : أحيى الله الحوت ، فاتخذ طريقـه في البحر مسلكاً وكان موسى وفتاه تزودا حوتاً مملوكاً حتى اذا كان حيث شاء الله رد الله الى الحوت روحه فسرب في البحر .

قال الحسن : وكان موسى سأل ربـه هل أحد اعلم مني ؟ يعني الادميـن ، فأوحى الله نعم عبدي الخضر، فقال موسى : كيف لي بلقائـه ؟ فأوحى الله اليه أن يحمل حوتاً في متاعه ويمضي على وجهه حتى يبلغ مجمع البحرين ، بحر فارس والروم المحيطان بهذا الخلق ، وجعل العلم على لقائـه أن يفقد حوتـه ، فاذا فقدت الحوت فاطلب حاجتك عند ذلك ، فانك تلقي الخضر عند ذلك .

ثم « قال لفتاه آتنا غداءنا » ففتش متاعه ففقد الحوت ، قال « أرأيت اذ آوينا الى الصخرة » وكانت الصخرة عند مجمع البحرين « فاني نسيت الحوت وماأنسانيه الا الشيطان أنأذكره » فقال موسى لفتاه « ذلك ماكنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً » .

تم التعليق من الجزء السادس من كتاب التبيان في تفسير القرآن ، وكتب محمد بن ادريس حامداً مصلياً .

التعليق من الجزء السابع من التبيان فى تفسير القرآن

تصنيف الشيخ أبى جعفر الطوسى رحمه الله

يشتمل على بقية الكهف وسورة مريم وسورة طه والانبياء والحج والمؤمنين والنور والفرقان والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل: قوله « فلماجاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا » الاية : ٦٢ .

النصب التعب والوهن الذي يكون عن الكد ، ومثله الوصب ، فقال له فتاه في الجواب « أرأيت » الوقت الذي « آوينا الى الصخرة » أي : أقمنا عندها « فاني نسيت الحوت » .

ثم قال « وماأنسانيه »يعني الحوت « الا الشيطان أن أذكره » أي: وسوسني وشغلني بغيره حتى نسيت ، فلذلك اضافه الى الشيطان لماكان عند فعله وجاز نسيان مثل ذلك مع كمال العقل، لانه كان معجزاً .

« واتخذ سبيله في البحر عجباً » بمعنى أن موسى عليه السلام لمارأى الحوت قد

جبي وهو يسلك طريقاً الى البحر عجب منه ومن عظم شأنه .

وقوله « ذلك ماكنانبغي » حكاية عماقال موسى عند ذلك من أن ذلك الذي كنا نطلب من العلامة يعني نسيانك الحوت ، لانه قيل له : صاحبك الذي تطلبه وهو الخضر حيث تنسى الحوتة، فارتدا يقصان أي : يتبعان آثارهما حتى انتهيا الى مدخل الحوت .

فصل : قوله « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً * قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني » الاية : ٦٥ ـ ٦٦ .

اختلفوا في الذي كان يتعلم موسى منه هل كان نبياً أم لا ؟ فقال الجبائي : كان نبياً ، لانه لايجوز أن يتبع النبي من ليس بنبي ليتعلم منه العلم، لمافي ذلك من العضاضة على النبي .

وقال ابن الاخشاذ : ويجوز أن لايكون نبياً على أن لايكون فيه وضع من موسى. وقال قوم:كان ملكاً .

وقال الرماني: لايجوز أن يكون الا نبياً، لان تعظيم العالم المعلم فوق تعظيم المتعلم .

وقيل: انه سمي خضراً لانه كان اذا صلى في مكان لا نبات فيه اخضر ماحوله وكان الله تعالى قد أطلعه من علم بواطن الامور على مالم يطلع عليه غيره .

فان قيل : كيف يجوز أن يكون نبي أعلم من نبي في وقته ؟

قيل: عن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها: يجوز أن يكون نبي أعلم من نبي في وقته عند من قال: ان الخضر كان نبياً .

الثاني: أن يكون موسى أعلم من الخضر بجميع مايؤدي عن الله الى عباده وفيما هو حجة فيه، وانما خص الخضر بعلم مالايتعلق بالاداء .

الثالث : ان موسى استعلم من جهتـه ذلك العلم فقط ، وانكان عنده علـم ماسوى ذلك .

فصل: قوله« فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها» الاية:٧١.

قال أبوعمرو: الزاكية التي لم تذنب قط، والزكية التي أذنبت وتابت. أخبر الله تعالى عن موسى وصاحبه الذي تبعه ليتعلم منه ، فخرق صاحبه السفينة، أي : شق فيها شقاً، لما أعلمه الله من المصلحة في ذلك .

فقال لـه موسى منكراً لذلك على ظاهر الحال : « أخرقتـها لتغرق أهلها » أي: غرضك بذلك أن تغرق أهلـها الذين ركبوها. ويحتمل أن يكون قال ذلك مستفهماً .

والاول أقوى ، لقولـه بعد ذلك « لقد جئت شيئاً أمراً » والامر المنكر، في قول مجاهد وقتادة. وقال أبوعبيدة: داهية عظيمة وأنشد :

لقد لقي الاقران منه نكرا داهية دهياء اداً امراً (١)

فقال له: ياموسى « ألم أقل لك » فيماقبل « انك لن تستطيع معي صبراً » أي لايخف عليك ماتشاهده من أفعالي ويثقل عليك، لانك لاتعرف المصلحة فيه .

ولم يرد بالاستطاعة القدرة ، لان موسى كان قادراً في حال ماخاطبه بذلك ولم يكن عاجزاً، وهذا كما يقول الواحد منا لغيره : أنا لاأستطيع النظر اليك، وانما يريد أنه يثقل علي ، دون نفي القدرة في ذلك .

فقال له موسى في الجواب عن ذلك «لاتؤاخذني بمانسيت » وروي أنه قال ذلك لمارأى أن الماء ليس يدخل السفينة مع خرقها ، علم أن ذلك لمصلحة يريده الله، قال «لاتؤاخذني بمانسيت » .

وقيل: في معنى «نسيت» ثلاثة أقوال :

---

(١) مجاز القرآن : ١/ ٤٠٩ .

أحدها : ماحكي عن أبي بن كعب أنـه قال : معناه : بما غفلت من النسيان الذي هو ضد الذكر .

والثاني : ماروي عن ابن عباس أنه قال : معناه بماتركت من عهدك .

الثالث : لاتؤاخذني بما كأني نسيته ولم ينسه في الحقيقة .

فصل: قوله «حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لوشئت لاتخذت عليه أجراً » الاية: ٧٧ .

الانقضاض السقوط بسرعة . قال الفراء : في قوله « لوشئت » قال موسى : لوشئت لم تقمـه حتى يقربونـا فهو الاجر ، وأنشد في « يريد أن ينقض » قول الشاعر:

اندهراً يلف شملي بجمل لزمـان يهـم بالاحسـان

أي : كأنه يهم ، وانما هو سبب الاحسان المؤدي اليه، وقال الاخر :

يشكوا الي جملي طول السرى صبراً جميلا فكلانا مبتلى

والجمل لم يشك شيئاً ، وقال عنترة :

* وشكا الى بعبرة وتحمحم *

كل ذلك يراد به ماظهر من الامارة الدالة على المعاني .

فصل: قوله «فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه» الاية : ٨١ .

قال قوم : أبدلت الشيء من الشيء اذا أزلت الاول وجعلت الثاني مكانـه ، كقول أبي النجم :

* عـزل الامير للامير المبـدل *

وبدلت الشيء من الشيء اذا غيرت حاله وعينه، والاصل باق كقولهم بدلت قميصي ، واستدلوا بقوله «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها»[1] فالجلد

(١) سورة النساء : ٥٥ .

الثاني هو الاول، ولوكان غيره لم يجز عقابه .

قوله « فأردت أن أعيبها » والسبب في ذلك أنه كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ، فقيل : ان الملك كان يأخذ السفينة الصحيحة ولا يأخذها اذا كانت معيبة .

والوراء والخلف واحد، وهو نقيض جهة القدام على مقابلتها .

وقال قتادة: وراءهم هاهنا بمعنى أمامهم، ومنه قوله « من ورائهم جهنم »[١] و «من ورائهم برزخ»[٢] وذلك جائز على الاتساع، لانها جهة مقابلة الجهة، فكان كل واحد من الجهتين وراء الاخر، قال لبيد :

أليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم العصا تحني عليها الاصابع

وقال آخر :

أيرجو بني مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

وقال الفراء: يجوز ذلك في الزمان دون الاجسام، تقول: البرد والحر وراءنا ولا تقول زيد وراءك .

وقال الرماني وغيره: يجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الاخر .

وقال الزجاج: وراءهم خلفهم، لانه كان رجوعهم عليه ولم يعملوا به .

وقيل: ان قوله «فخشينا » من قول الخضر . وقيل: انه من قول الله ، ومعناه علمنا. وقيل : معنى خشينا كرهنا ، فبين أن الوجه في قتله ما لابويه من المصلحة في باب [٣] الدين، لانه لو بقي حياً « لارهقهما طغياناً وكفراً » أي: أوقعهما فيه ،

---

(١) سورة الجاثية : ٩ .

(٢) سورة المؤمنون : ١٠١ .

(٣) في التبيان: ثبات.

فكان يكون ذلك مفسدة ، فأمر الله بقتله لذلك كمالو أماته .

ثم أخبر عن حال الجدار الذي أقامه وأعلمه انه « كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما » فقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد : كانت صحف علم .

وقال الحسن : كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه الحكم. وقال قتادة وعكرمة: كان كنز مال ، والكنز في اللغة هو كل مال مذخور من ذهب وفضة وغيرذلك .

وقال الجبائي : لايجوز أن يكون صاحب موسى الخضر ، لان خضراً كان نبياً من الانبياء الذين بعثهم الله من بني اسرائيل بعد موسى، قال: ولايجوز أيضاً أن يبقى الخضر الى وقتنا هذا،كمايقوله من لايدري، لانه لا نبي بعد نبينا، ولانه لوكان لعرفه الناس ولم يخف مكانه .

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح ، لانا لانعلم أولا أن خضر كان نبياً ، ولو ثبت لم يمتنع أن يبقى الى وقتنا هذا ، لان تبقيته في مقدور الله تعالى، ولايؤدي الى انه نبي بعد نبينا ، لانه نبوته كانت ثابتة قبل نبينا ، وشرعه انكان شرعاً خاصاً له منسوخ بشرع نبينا ، وانكان يدعو الى شرع موسى ، أو من تقدم من الانبياء فان جميعه منسوخ بشرع نبينا عليه السلام، فلايؤدي الى ماقال .

وقوله«لو كان باقياً لرؤي ولعرف»غير صحيح ، لانه لايمتنع أن يكون بحيث لايتعرف الى أحد منهم وان شاهدوه لايعرفونه .

وروي عن جعفر بن محمد عليهما السلام في قوله«وكان تحته كنز لهما»قال : سطران ونصف ولم يتم الثالث ـ عجباً للمؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجباً للمؤمن بالحساب كيف يغفل ، وعجباً للموقن بالموت كيف يفرح ،

فصل : قوله«ويسألونك عن ذي القرنين» الاية : ٨٣ .

قيل: سمي ذا القرنين لانه كان في رأسه شبه القرنين .

وقيل : انه سمي بذلك لانه ضرب على جانبي رأسه . وقيل : لانه كانت له ضفيرتان . وقيل : انه بلغ قرني الشمس .

«وجدها تغرب في عين حمئة» أي: في عين ماء ذات حمأة، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير . ومن قرأ حاميه أراد حارة في قول الحسن .

فصل: قوله «حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً» الاية : ٩٠ .

معناه : انه لم يكن بها جبل ولاشجر ولابناء ، لان أرضهم لم يكن ثبت عليها بناء، فكانوا اذا طلعت الشمس يغورون في المياه والاسراب، واذا غربت تصرفوا في أمورهم ، في قول الحسن وقتادة وابن جريج .

وقال الحسن : ان ذا القرنين كان نبياً ملك مشارق الارض ومغاربها .

وقال عبدالله بن عمر: وكان ذو القرنين والخضر نبيين ، وكذلك لقمان كان نبياً .

وقوله «اجعل بيننا وبينهم ردماً» فالردم أشد الحجاب، في قول ابن عباس، يقال ردم فلان موضع كذا يردمه ردماً وردم ثوبه ترديماً اذا أكثر الرقاع فيه، ومنه قول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[1]

أي : هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع . وقيل: الردم السد المتراكب .

قال الجبائي والبلخي وغيره : ان يأجوج ومأجوج قبيلان من بني آدم . قال الجبائي قيل : انهما من ولد يافث بن نوح ، ومن نسله الاتراك . وقال سعيد بن جبير : قوله :

---

(١) ديوان عنترة ص ١٥ .

«مفسدون في الارض» معناه : يأكلـون الناس . وقال قوم : معناه سيفسدون ذهب اليه قتادة .

فصل : قوله«آتوني زبر الحديد» الاية : ٩٦ .

الزبرة : الجملة المجتمعة من الحديد والصفر ونحوهما ، وأصله الاجتماع ومنه الزبور ، وزبرت الكتاب اذاكتبته لانك جمعت حروفه .

والصدفان جبلان ، في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وابراهيم .

فصل : قوله « وتركنا بعضهم يـومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور » الاية : ٩٩ .

الترك في الحقيقة لايجوز على الله الا أنه يتوسع فيه ، فيعبر به عن الاخلاص بالشيء بالترك .

وقوله«ونفخ في الصور»فالنفخ اخراج الريح من الجوف باعتماد . والصور قال عبدالله بن عمر وفي حديث يرفعه أنه قـرن ينفخ فيه . ومثله روي عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري. وقال الحسن : الصور جمع صورة فيحيون بأن ينفخ في الصور الارواح ، وهو قول أبي عبيدة .

فصل: قوله«ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً» الاية : ١٠٤ .

أي: يظنون أنهم يفعلون الافعال الجميلة. والحسبان هو الظن وهو ضد العلم.

وفي الاية دلالة على أن المعارف ليست ضرورية، لانهم لو عرفوا الله تعالى ضرورة لما حسبوا غير ذلك ، لان الضروريات لايشك فيها .

سورة مريم

فصل : قوله «قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الـرأس شيباً ولم أكن

بدعائك رب شقياً * واني خفت الموالي من ورائي»الاية : ٤ ـ ٥.

انما أضاف الوهن الى العظم [لان العظم] مع صلابته اذكبر ضعف وتناقص فكيف باللحم والعصب . وقيل : شكى البطش وهو لايكون الا بالعظم .

والال خاصة الرجل الذين يؤول أمرهم اليه، وقد يرجع اليه أمرهم بالقرابة تارة وبالصحبة أخرى وبالدين والموافقة فيه ، مثل آل النبي .

والجعل على أربعة أقسام :

أحدها : بمعنى الاحداث كقولهم«جعل البناء» أي : أحدثه .

والثاني : احداث ما يتغير به ،كقولهم «جعل الطين خزفاً»أي: أحدث ما به يتغير .

الثالث : أن يحدث فيه حكماً ،كقولهم «جعل فلاناً فاسقاً» أي : بما أحدث من حكمه .

الرابع : أن يدعوه الى أن يفعل ،كقولهم «جعل يقتل زيداً» أي : بماأمره به ودعاه الى قتله .

ومعنى «واجعله رب رضياً» اجعل ذلك الولي الذي يرثني مرضياً عندك ممتثلا لامرك عاملا لطاعتك .

وفي الاية دلالة على أن الانبياء يورثون المال ، بخلاف مايقول مخالفنا أنهم لايورثون ، لان زكريا صرح بدعائه وطلبه من يرثه ويحجب بني عمه وعصبه من الولد .

وحقيقة الميراث انتقال ملك المورث الى ورثته بعد موته بحكم الله ،وحمل ذلك على العلم والنبوة خلاف الظاهر ، على أن العلم والنبوة لايورثان ، لان النبوة تابعة للمصلحة لامدخل للنسب فيها ، والعلم موقوف على من يتعرض له ويتعلمه .

على أن زكريا انما سأل ولياً من ولده يحجب مواليه من بني عمه وعصبته من الميراث ، وذلك لايليق الا بالمال ، لان النبوة والعلم لايحجب الولد عنهما بحال ، على أن اشتراطه أن يجعله رضياًلايليق بالنبوة ، لان النبي لايكون الارضياً معصوماً ، فلامعنى لمسألته ذلك، وليس كذلك المال ،لانه يرثه الرضا وغير الرضا.

واستدل المخالف بهذه الاية على أن البنت لاتحوز المال دون بني العم والعصبة ، لان زكريا طلب ولياً يمتنع مواليه ولم يطلب ولية .

وهذا ليس بشيء ، لان زكريا انما طلب ولياً ، لان من طباع البشر الرغبة في الذكور دون الاناث من الاولاد لذلك ، على أنه قيل : لفظ «ولي» يقع على الذكر والانثى ، فلانسلم أنه طلب الذكر، بل الذي يقتضي الظاهر أنه طلب ولداً، سواء كان ذكراً أوأنثى .

فصل : قوله « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » الاية : ٩ .

أي: لم تك موجوداً، ومن نفي المعدوم استدل بذلك ، فقال : لوكان المعدوم شيئاًلما نفى أن يكون شيئاًقبل ذلك ، وحمل قوله «ان زلزلة الساعة شيء عظيم»[1] على المجاز . والمعنى أنها اذا وجدت كانت شيئاً عظيماً .

ومن قال : المعدوم شيء قال : أراد ولم يك شيئاً موجوداً ، ولم يكن قوله «أنى يكون لي ولد» على وجه الانكار ، بل كان ذلك على وجه التعجب من عظيم قدرة الله .

فصل : قوله «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً» الاية :١٥.

قال قوم: معناه أمان له وسلامه يوم ولد من عبث الشيطان به وأهوانه اياه، ويوم يموت من عذاب القبر وهول المطلع ، ويوم يبعث حياً من عقاب النار وأهوال المحشر .

---

(١) سورة الحج : ١ .

فصل : قوله « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » الاية : ١٧ .

قال الحسن وقتادة والسدي وابن جريح ووهب بن منبة: يعني جبرئيل عليه السلام وسماه الله روحاً لانه روحاني لايشوبه[1] شيء من غير الروح، وخص بهذه الصفة تشريفاً له.

وقيل: لانه تحيا به الارواح بما يؤديه اليهم من أمر الاديان والشرائع .

فان قيل : كيف تعوذت منه ان كان تقياً ؟ والتقي لايحتاج أن يتعوذ منه ،وانما يتعوذ من غير التقي ؟ .

قيل : المعنى في ذلك أن التقي للرحمن اذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط الله ، ففي ذلك تخويف وترهيب ،كما يقول القائل : ان كنت مؤمناً فلا تظلمني وتكون هي غير عالمة بأنه تقي أم لا .

فقالت مريم عند ذلك متعجبة من قول جبرئيل « أنى يكون لي غلام » أي : كيف يكون ذلك .

«ولم يمسسني بشر» بالجماع على وجه الزوجية .

«ولم أك بغياً» أي : لم أك زانية ، في قول السدي وغيره ، وهي التي تطلب الزنا ، لان معنى تبغيه تطلبه .

وأصله لم أكن ، لانه من كان يكون . وانما حذفت النون لاستخفافها على ألسنتهم ولكثرة استعمالهم لها ،كما حذفوا الالف من لم أبل ، وأصله لم أبالي، لانه من المبالاة ، وكقولهم «لاأدر» وكقولهم «أيش» وأصله أي شيء ومثله كثير .

فصل : قوله « قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » الاية : ٢٣ .

قالت هذا استحياء من الناس«وكنت نسياً منسياً» فالنسيء المتروك حتى ينسى بالفتح والكسر .

وقيل : النسيء خرقة الحيض التي تلقيها ، قال الشاعر :

---

(١) في التبيان : لايشبه .

كأن لها في الارض نسيا تقصه اذا ماغدت وان تكلمك[1]تبلت

أي : شيئاً تركته .

وقيل : لم يكن للنخلة رأس وكان في الشتاء ، فجعله الله تعالى آيـة ، وانما تمنت الموت قبل تلك الحال التي قد علمت أنها من قضاء الله ، لكراهتها أن يعصى الله بسببها اذا كان الناس يتسرعون الى القول فيها بما يسخط الله .

وقال قوم : انما قالت ذلك بطبع البشرية خوف الفضيحة .

فصل : قوله « فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسياً » الاية: ٢٦ .

قال الجبائي : كان الله تعالى أمرها بأن تنذر لله الصمت ، فـاذا كلمها انسان تؤمي بأنها نذرت صمتاً ، لانه لايجوز أن يأمرها بأنها نذرت ولم تنذر ، لان ذلك كذب .

وقال أنس بن مالك وابن عباس والضحاك : يريد بالصوم الصمت ، وانما أمرها بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرىء به ساحتها ، في قول ابن مسعود وابن زيد ووهب بن منبة .

وقيل : كان من صام في ذلك الوقت لايكلم الناس ، فأذن لها في هذا المقدار من الكلام ، في قول السدي .

فان قيل : كيف تكون نذرت الصمت وأن لاتكلم أحداً مع قولها واخبارها عن نفسها بأنها نذرت ؟ وهل ذلك الا تناقض ؟ .

قيل: من قال: انه أذن لها في هذا القدر فحسب يقول: انها نذرت ألاتكلم بما زاد عليه . ومن قال : انها نذرت نذراً عاماً أو مت بذلك ولم تلفظ به .

وقيل : أمرها أن تشير اليهم بهذا المعنى وأنه ولدته بناحية بيت المقدس في

---

(١) في التبيان : تكالمك .

موضع يعرف ببيت لحم .

فقال لها قومها « ياأخت هارون » قيل : في هارون الذي نسبت اليه بالاخوة أربعة أقوال :

فقال قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي ﷺ أنه كان رجلا صالحاً في بني اسرائيل ينسب اليه من عرف بالصلاح .

وقال السدي : نسبت الى هارون أخي موسى ، لانها كانت من ولده ، كما يقال ياأخابني فلان .

وقال قوم : كان رجلا فاسقاً معلناً بالفسق فنسبت اليه .

وقال الضحاك : كان أخاها لابيها وأمها .

فصل : قوله «فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم* أسمع بهم وأبصر » الاية: ٣٧ - ٣٨ .

المعنى في الاية اختلف الاحزاب من أهل الكتاب في عيسى ﷺ ، في قول قتادة ومجاهد .

فقال قوم : هو الله وهم اليعقوبية .

وقال آخرون : هو ابن الله وهم النسطورية .

وقال قوم : هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية .

وقال قوم : هو عبدالله وهم المسلمون .

وقوله « اسمع بهم وأبصر » معناه : ماأسمعهم وأبصرهم على وجه التعجب والمعنى في ذلك أنهم حلوا في ذلك محل من يتعجب منه .

وقال الحسن وقتادة : المعنى لئن كانوا في الدنيا صماً عمياً عن الحق ، فما أسمعهم به وأبصرهم به يوم القيامة .

فصل: قوله « واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً* اذ قال لابيه يا

أبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغني عنك شيئاً » الاية : ٤١ – ٤٢ .

قال قوم : هذه المخاطبة من ابراهيم كان لابيه الذي هو والده ، والذي يقوله أصحابنا : انه كان جده لامه، لان آباء النبي عليه السلام كانوا مسلمين الى آدم ولم يكن فيهم من يعبد غير الله ، لقوله : لم يزل الله ينقلني من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات .

والكافر لايوصف بالطهارة ، لقوله تعالى «انما المشركون نجس »[1] قالوا: وأبوه الذي ولده كان اسمه تارخ ، وهذا الخطاب منه كان لازر .

فصل : قوله « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » الاية : ٥٩ .

فالخلف ـ بفتح اللام ـ يستعمل في الصالح ، وبتسكين اللام الطالح ، قال لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

قال الفراء والزجاج : يستعمل كل واحد منهما في الاخر . قال القرطبي : تركوها .

وقال ابن مسعود وعمر بن عبدالعزيز: أخروها عن مواقيتها ، وهو الذي رواه أصحابنا .

والغي الشر والخيبة ، في قول ابن عباس وابن زيد ، قال الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغولا يعدم على الغي لائماً

أي : من يخب . وقال عبدالله بن مسعود : الغي واد في جهنم .

فصل: قوله «جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً* لايسمعون فيها لغواً الا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً » الاية : ٦١ – ٦٢.

---

(١) سورة التوبة : ٢٩ .

الوعد الاخبار بما يتضمن فعل الخير ، ونقيضه الوعيد ، وهو الخبر عن فعل الشر، وقد يقال: وعدته بالخير ووعدته بالشر، وأوعدته لايكون الا في الشر.

وقوله « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً » قيل : معناه في مقدار اليوم من أيام الدنيا، فذكر بالغداة والعشي ليدل على المقدار، لانه ليس في الجنة ليل ولانهار.

فصل : قوله « وان منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً » الاية : ٧١ .

واختلفوا في كيفية ورودهم اليها، فقال قوم وهو الصحيح: ان ورودهم وصولهم اليها واشرافهم عليها من غير دخول منهم فيها ، لان الورود في اللغة هو الوصول الى المكان ، واصله ورود الماء ، وهو خلاف الصدور عنه .

والدليل على أن الورود هو الوصول الى الشيء من غير دخول فيه قوله تعالى « ولماورد ماء مدين »[1] وأراد وصل اليه . وقال زهير :

فلما وردن الماء زرقا جمامة وضعن عصي الحاظر المتخيم[2]

والاثاث المتاع . والرئي المنظر ، وهو قول ابن عباس.

فصل: قوله «ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات » الاية :٧٦.

زيادة الهدى بايمانهم بالناسخ والمنسوخ .

« الباقيات الصالحات » هي فعل جميع الطاعات واجتناب جميع المعاصي.

وقيل : هي قول « سبحان الله والحمدلله ولااله الا الله والله أكبر ولله الحمد » .

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أن الباقيات الصالحات القيام آخر الليل لصلاة الليل والدعاء في الاسحار . وسميت باقيات بمعنى أن منافعها تبقى وتنفع أهلها في الدنيا والاخرة ، بخلاف مانفعه مقصور على الدنيا فقط .

قوله « أم اتخذ عند الرحمن عهداً » قال قتادة : معناه اتخذ عهداً بعمل

---

(١) سورة القصص : ٢٣ .

(٢) ديوان زهير ص ٧٨ .

صالح قدمه . وقال غيره : معناه اتخذ عندالرحمن عهداً ، أي قولا قدمه اليه بما ذكرتم .

ومعنى « نرثه مايقول » قال ابن عباس وقتادة وابن زيد : نرثه نحن المال والولد بعد اهلاكنا اياه وابطالنا ماملكناه . والمقام بضم الميم مصدر الاقامة ، وبفتحها المكان ، كقوله «مقام ابراهيم» .

فصل: قوله « ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً » الاية : ٨٣.

أي : لماسلط الكفار الشياطين على نفوسهم وقبلوا منهم واتبعوهم ، خلينا بينهم وبينهم حتى أغووهم ، ولم نخل بينهم بالالجاء ولابالمنع ، وعبر عن ذلك بالارسال على ضرب من المجاز .

ومثله قوله « فيمسك الذي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى »[1] أي : تخليها الى أجل مسمى .

ومعنى « تؤزهم أزاً » أي : تزعجهم ازعاجاً . والاز الازعاج الى الامر ، أزه أزاً وأزيزاً اذا هزه بالازعاج الى أمر من الامور.

فصل : قوله « لقد جئتم شيئاً اداً » الاية : ٨٩ .

أخبر عن الكفار بأنهم« قالوا اتخذالله ولداً »كما قال النصارى : انالمسيح ابن الله ، واليهود قالت: عزيرابن الله ، فقال لهم الله على وجه القسم .

« لقد جئتم » بهذا القول « اداً » أي : منكراً عظيماً ، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد ، قال الراجز :

لقد لقى الاعداء مني منكراً داهية دهياء اداً امراً

سورة طه

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد : معنى «طه» بالسريانية يا

(١) سورة الزمر : ٤٢ .

رجل ، ومنهم من قال بالنبطية .

وقال الحسن : هو جواب المشركين لماقالوا : انه شقي ، فقال الله تعالى : يارجل ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى .

وقيل : ان «طه» بمعنى يارجل لغة في عك ، وأنشد لمتمم بن نويرة :

فقلت[1] بطه في القتال فلم يجب فخفت عليهم أن يكونوا موائلا

وقال آخر :

ان السفاهة طه من خلائقكم لابارك الله في القوم الملاعين

فصل: قوله « له مافي السماوات ومافي الارض ومابينهما ومانحت الثرى* وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى » الاية : ٦ ـ ٧ .

اجتزىء بذكر بعض الاشياء عن ذكر بعض لدلالته عليه ، كما قال « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم »[2] ولم يقل وعلى ظهورهم ، لان المفهوم أنهم يذكرون الله على كل حال .

ومثله قوله « والله ورسوله أحق أن يرضوه »[3] لماكان رضا أحدهما رضا الاخر ومثله قوله «والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله »[4] ولم يقل ولاينفقونهما لدلالته على ذلك .

وقوله «وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى » معناه: وان تجهر بالقول فلحاجتك لا لتسمع الله بجهرك ، لانه تعالى يعلم السر وأخفى من السر، ولم يقل وأخفى منه لانه دال عليه، كمايقول القائل: فلان كالفيل أوأعظم ، وهذا كالحبة أو

(١) في التبيان : هتفت .

(٢) سورة آل عمران : ١٩١ .

(٣) سورة التوبة : ٦٣ .

(٤) سورة التوبة : ٣٥ .

أصغر .

والجهر رفع الصوت، يقال: جهر يجهر جهراً فهو جاهر والصوت مجهور وضده المهموس. والسر ماحدث به الانسان غيره في خفي، وأخفى منه ماأضمره في نفسه ممالم يحدث به غيره، هذا قول ابن عباس .

وقال قتادة وابن زيد وسعيد بن جبير : السر ماأضمره العبد في نفسه ، وأخفى منه مالم يكن ولاأضمره أحد .

ومعنى « اني آنست ناراً» أي : رأيت ناراً . والايناس وجدان الشيء الذي يؤنس به، لانه من الانس، وكان موسى في شتاء وقد امتنع عليه القدح وضل عن الطريق، فلذلك قال: «أوأجد على النار هدى» .

والقبس الشعلة ، وهو نار في طرف عود أوقصبة ، أي : لعلي آتيكم بنار تصطلمون بها ، أوأجد من يدلني على الطريق الذي أضللناه ، أو مااستدل به عليه .

فصل: قوله «فلما أتاها نودي ياموسى*اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى* وأنااخترتك فاستمع لمايوحى*انني أنا الله لااله الاأنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري * ان الساعة آتية» الاية:١١ ـ ١٥ .

قيل : في السبب الذي لاجله أمر بخلع النعلين قولان: أحدهما ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس ، في قول علي عليه السلام والحسن وابن جريح. وقال كعب وعكرمة: لانهماكانا من جلد حمار ميت .

وحكى البلخي أنه أمر بذلك على وجه الخضوع والتواضع ، لان التحفي في مثل ذلك أعظم تواضعاً وخضوعاً .

والمقدس المبارك . وقيل: هو المطهر .

وقيل: في معنى «طوى» قولان : قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد : هو اسم

الوادي. وقال الحسن: لانه طوى بالبركة مرتين .

«وأقم الصلاة لذكري» أي: لتذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم، في قول الحسن ومجاهد .

وقيل: معناه لان اذكرك بالمدح والثناء .

وقيل : ان المعنى متى ذكرت ان عليك صلاة كنت في وقتها ، أو فات وقتها فأقمها .

فصل : قوله « واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى» الاية : ٢٢ .

قيل: في معناه قولان: أحدهما ـ الى جنبك، قال الراجز :

* أضمه للصدر والجناح *

الثاني: الى عضدك. وقال أبوعبيدة: الجناحان الناحيتان .

«تخرج بيضاء من غير سوء» أي: من غير برص .

ومعنى «اشرح لي صدري» أي: وسع لي صدري، ومنه شرح المعنى، أي بسط القول فيه .

فصل: قوله « وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني* اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولاتحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً» الاية : ٣٩ ـ ٤٠ .

معنى «القيت عليك محبة مني» معناه: اني جعلت من رآك أحبك حتى أحبك فرعون، فسلمت من شره، وأحبتك آسية بنت مزاحم فتبنتك .

وقوله «ولتصنع على عيني» قال قتادة: معناه لتغتذي على محبتي وارادتي ، وتقديره وأنا أراك يجري أمرك على ماأريد بك من الرفاهة في غذائك ، كما يقول القائل لغيره: أنت مني بمرآى ومسمع أي: أنا مراع لاحوالك .

وقوله « اذ تمشي اختك فتقول هل أدلكم على من يكفله » قيل: ان موسى امتنع أن يقبل ثدي مرضعة الا ثدي أمه ، لما دلتهم عليها أخته ، فلذلك قال « فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولاتحزن» .

وقوله « وقتلت نفساً فنجيناك من الغم » . وروي عن النبي أن قتله النفس كان خطئاً. وقال جماعة من المعتزلة : انه كان صغيرة .

وقال أصحابنا : انه كان ترك مندوب اليه، لان الله تعالى قد كان حكم بقتله ، لكن ندبه الى تأخير قتله الى مدة غير ذلك، وانما نجاه من الفكر في قتله، وكيف لم يؤخره الى الوقت الذي ندبه اليه .

وقال قوم : أراد نجيناك من القتل، لانهم طلبوه ليقتلوه بالقبطي .

وقوله « وفتناك فتوناً » أي : اختبرناك اختباراً ، والمعنى انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرسالة .

فصل: قوله « والسلام على من اتبع الهدى* انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى*قال فمن ربكما ياموسى* قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» الاية : ٤٧ ـ ٥٠ .

قوله «والسلام على من اتبع الهدى » يعني السلامة والرحمة على من اتبع طريق الحق .

وقوله « فمن ربكما ياموسى»وقيل: انه قال: فمن ربكما؟ على تغليب الخطاب والمعنى فمن ربك وربه ياموسى ، فقال موسى مجيباً له « ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» ومعناه: أعطى كل شيء حي صورته التي قدر له، ثم هداه الى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه، الى غير ذلك من ضروب هدايته .

وقيل: معناه أعطى كل شيء مثل خلقه من روحه، ثم هداه لمنكحه من غير ان رأى ذكراً أتى أنثى .

فصل : قوله « فمابال القرون الاولى* قال علمها عند ربي في كتاب لايضل ربي ولاينسى» الاية: ٥١ ـ ٥٢ .

قال الزجاج: القرن: أهل كل عصر فيهم نبي أوامام، أوعالم يقتدى به، وان لم يكن واحد منهم لم يسم قرناً .

حكى الله تعالى ماقال فرعون لموسى «مابال القرون » وهي الامم الماضية وكان هذا السؤال منه معاياة لموسى، فأجابه موسى بأن قال « علمها عند ربي » لانه لايخفى عليه شيء من المعلومات .

وقوله «ان في ذلك لايات لاولي النهى» أي : ان في جميع ماعددناه دلالات لاولى العقول، والنهى جمع نهية ، وانما خص أولي النهى لانهم أولي الفكر والاعتبار وأهل التدبير والاتعاظ .

وقيل : لانهم ينهون النفوس عن القبائح . وقيل: لانه ينتهي الى رأيهم .

فصل : قوله «ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » الاية: ٥٦ .

تقديره: أريناه آياتنا التي أعطيناها موسى وأظهرناها عليه «كلها» لمايقتضيه حال موسى عليه السلام معه، ولم يرد جميع آيات الله التي يقدر عليها ولا كل آية خلقها لان من المعلوم أنه لم يرد جميعها به .

والسحر حيلة يخفى سببها ويظن بها المعجزة، ولذلك يكفر المصدق بالسحر لانه لايمكنه العلم بصحة النبوة، فان الساحر يأتي بسحره .

وقوله « مكاناً سوى» أي : عدنا مكاناً يجتمع فيه ووقتاً يأتى فيه مكاناً سوى عدلا بيننا وبينك ، في قول قتادة والسدي ، ذكره ابن زيد، وفيه اذا قصر لغتان : كسر السين وضمها، واذا فتحت السين مددته، نحو قوله «الى كلمة سواء بيننا وبينكم»[1] .

(١) سورة آل عمران : ٦٤ .

فصل: قوله «قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب» الاية : ٦١ .

معناه : لاتكذبوا عليه كذباً بتكذيبي وتقولون: ان ماجئت به السحر .

والافتراء اقتطاع الخبر الباطل بادخاله في جملة الحق ، وأصله القطع من فراه يفريه فرياً وافترا افتراءاً، والافتراء والافتعال والاختلاف واحد .

وقوله « فيسحتكم بعذاب » قال قتادة وابن زيد والسدي: معناه فيستأصلكم بعذاب .

والسحت استقصاء الحلق سحته يسحته سحتاً ، وأسحته اسحاتاً لغتان، قال الفرزدق :

وعض زمان يابن مروان لم يدع من المال الا مسحتاً أو محلف

وقوله « وقد أفلح من استعلى » معناه : قد فاز اليوم من علا على صاحبه بالغلبة، انما أمرهم موسى بالالقاء ، وهو كفر منهم ، لانه ليس بأمر ، وانما هو تهديد ، ومعناه الخبر بأن من كان القاؤه منكم حجة عنده ابتداءاً بالالقاء ، ذكره الجبائي .

وقال قوم: يجوز أن يكون ذلك أمراً على الحقيقة أمرهم بالالقاء على وجه الاعتبار لاعلى وجه الكفر. وقيل :كان عدة السحرة سبعين ألفاً .

فصل : قوله «فأوجس في نفسه خيفة موسى» الاية : ٦٧ .

قيل: في وجه خيفته قولان : أحدهما ـ قال الجبائي والبلخي: خاف أن يلتبس على الناس أمرهم، فيتوهموا أنه بمنزلة ماكان من امر عصاه .

الثاني: انه خاف بطبع البشرية لمارأى من كثرة مايخيل من الحيات العظام فقال الله تعالى « لاتخف انك انت الاعلى » أي : انك أنت الغالب لهم والقاهر لامرهم .

فصل : قوله « فان له جهنم لايموت فيها ولايحيى» الاية: ٧٤ .

أي: لايموت فيها فيستريح من العذاب ، ولايحيى حياة فيها راحة، بل هو معاقب بأنواع العقاب .

فصل: قوله «فغشيهم من اليم ماغشيهم» الاية :٧٨ .

يعني: الذي غشيهم. وقيل : معناه تعظيم للامر لان غشيهم قددل على ماغشيهم وانما ذكره تعظيماً، وقيل: ذكره تأكيداً .

وقال قوم: معناه فغشيهم الذي عرفتموه، كما قال أبو النجم :

* أنا أبو النجم وشعري شعري * [1]

وقال الزجاج : وغشيهم من اليم ما غرقهم .

وقوله«وأضل فرعون قومه وما هدى»معناه: انه دعاهم الى الضلال وأغواهم فضلوا عنده فنسب اليه الضلال .

فصل: قوله«واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى»الاية: ٨٢.

أخبر الله تعالى عن نفسه أنه غفار، أي: ستار لمن تاب من المعاصي، فأسقط وأستر معاصيه اذا أضاف الى ايمانه الاعمال الصالحات .

«ثم اهتدى»قال قتادة : معناه ثم لزم الايمان الى أن يموت ،كأنه قال : ثم استمر على الاستقامة ، وانما قال ذلك لئلا يتكل الانسان على أنه قد كان أخلص الطاعة .

وفي تفسير أهل البيت ان معناه : ثم اهتدى الى ولاية أوليائه الذين أوجب الله طاعتهم والانقياد لامرهم . وقال ثابت البنائي : ثم اهتدى الى ولاية أهل بيت النبي عليه السلام .

قوله«فانا قد فتنا قومك من بعدك»أي : عاملناهم معاملة المختبر ، بأن شددنا

---

(١) امالى الشريف المرتضى ١/ ٣٥٠ .

عليهم في التعبد بأن ألزمناهم عند اخراج العجل أن يستدلوا على أنه لايجوز أن يكون الهاً ولا أن يحله الاله ، فحقيقة الفتنة تشديد العبادة .

وقوله«وأضلهم السامري»معناه أنه دعاهم الى عبادة العجل، فضلوا عند ذلك فنسب الله الاضلال اليه لما ضلوا بدعائه .

فصل : قوله«فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا»الاية : ٨٦ .

الغضب ضد الرضا، وهو ما يدعو الى فعل العقاب . والاسف أشد الغضب وقال ابن عباس : معنى«أسفاً»حزيناً ، وبه قال قتادة والسدي .

والاسف يكون بمعنى الغضب ويكون بمعنى الحزن ، قال الله تعالى «فلما آسفونا انتقمنا منهم»[1] أي : أغضبونا .

قوله فقالوا جواباًلموسى«ماأخلفنا موعدك بملكنا»أي: قال المؤمنون لم نملك أن نرد عن ذلك السفهاء . قال قتادة والسدي : معنى«بملكنا»بطاقتنا .

وقوله«ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم»معناه : انا حملنا أثقالا من حلي آل فرعون ، وذلك أن موسى أمرهم أن يستعيروا من حليهم ، في قول ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد .

وقيل : «أوزاراً» أي : أثقالا من حلي آل فرعون لما قذفهم البحر أخذوها منهم .

فصل: قوله«قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى*قال ياهارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعني أفعصيت أمري»الايات : ٩١ ـ ٩٣ .

العكوف لزوم الشيء مع القصد اليه على مرور الوقت ، ومنه الاعتكاف في المسجد قال موسى لهارون«ما منعك ألا تتبعني»قال ابن عباس : معناه بمن معك ممن أقام على ايمانه .

---

(١) سورة الزخرف : ٥٥ .

ومعنى «ألا تتبعني» ما منعك أن تتبعني ، فـ«لا»زائدة ،كما قال«ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك»[١].

قوله«لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي»قيل : في وجه ذلك قولان :

أحدهما : أن عادة ذلك الوقت أن الواحد اذا خاطب غيره قبض على لحيته كما يقبض على يده في عادتنا والعادات تختلف ، ولم يكن ذلك على وجه الاستخفاف به .

الثاني : أنه أجراه مجرى نفسه اذا غضب في القبض على لحيته .

فصل : قوله « قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي»الايات : ٩٦ ـ ١٠٠ .

فنبذتها في العجل على ما أطعمتني[٢] نفسي من انقلابه حيواناً .

وقال ابن زيد : معنى«سولت لي نفسي»حدثتني . وقيل : معناه زينت لي .

فان قيل : لم جاز انقلابه حيواناً مع أنه معجز لغير نبي ؟

قلنا : في ذلك خلاف، فمنهم من قال : انه كان معلوماً معتاداً في ذلك الوقت أنه من قبض من أثر الرسول قبضة فألقاها على جماد صار حيواناً ، ذكره أبوبكر ابن الاخشاذ ، فعلى هذا لايكون خرق عادة بل كان معتاداً . وقال الحسن : صار لحماً ودماً .

وقال الجبائي : المعنى أنه سولت له نفسه ما لا حقيقة له ، وانما جاز بحيلة جعلت فيه من خروق اذا دخلها الريح سمع له خوار منه .

فقال له موسى عند ذلك «فاذهب» ياسامري «فان لك في الحياة أن تقول لا مساس» واختلفوا في معناه ، فقال قوم : معناه أن تقول لا أمس ولا أمس ، وكان

---

(١) سورة الاعراف : ١١ .

(٢)كذا في النسخ الثلاث ، وفي التبيان : أطمعتني .

موسى أمربني اسرائيل أن لايؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه فيما ذكر .

وقال الجبائي : معناه أنه لا مساس لاحد من الناس، لانه جعل يهيم في البرية مع الوحوش والسباع .

فصل : قوله«ونحشر المجرمين يومئذ زرقا»الايات : ١٠٢ - ١٠٧ .

قيل : معناه أنه أزرقت عيونهم من شدة العطش. وقيل: معناه عمياء كما قال «ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياء»[١] كأنها ترى زرقا ، وهي عمياء .

وقيل : المعنى في زرقاً تشويه الخلق ووجوههم سوداء وأعينهم زرق .

ومعنى«يتخافتون بينهم» معناه : يتشاورون بينهم ، في قول ابن عباس، ومنه قوله«ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها»[٢] ومعناه لاتعلن صوتك بالقراءة في الصلاة كل الاعلان ولا تخفها كل الاخفاء وابتغ بين ذلك سبيلا .

قوله«قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولا أمتاً»قال الكلبي: الصفصف ما لاتراب فيه . قال ابن عباس : الصفصف الموضع المستوي الذي لانبات فيه .

والقاع هو الارض الملساء ، قال الشاعر :

كأن أيديهن بالقاع القرق أيدي جوار يتعاطين الورق

«لاترى فيها عوجاً ولا أمتاً»يعني : وادياً ولا رابية، في قول ابن عباس ، يقال مد حبله حتى ماترى فيه أمتاً وملاءسقاه حتى ماترك فيه أمتاً أي انثناء قال الشاعر:

ما في انجذاب سيره من أمت

فصل : قوله «وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً» الايات ١١١ - ١١٥ .

أي : خضعت وذلت خضوع الاسير في يد القاهر له والعاني الاسير ، وقد

---

(١) سورة الاسراء : ٩٧ .

(٢) سورة الاسراء : ١١٠ .

يكون العنوة عن تسليم وطاعة ، لانه على طاعة الذليل للعزيز ، قال الشاعر :

هل أنت مطيعي أيها القلب عنوة

وقال آخر :

فما أخذوها عنوة عن مودة ولكن بضرب المشرفي استقالها

والقيوم قيل : في معناه قولان :

أحدهما : أنه العالم بما يستقيم به تدبير جميع الخلق ، فعلى هذا لم يزل قيوماً .

الثاني : أنه القائم بتدبير جميع الخلق وهي مثل صفة حكيم .

وقال الجبائي : القيوم القائم بأنه دائم لايبيد ولا يزول .

أصل الهضم النقص ، يقال : هضمني فلان حقي ، أي : نقصني ، وامرأة هضيم الحشا أي : ضامرة الكشحين ، ومنه هضمت المعدة الطعام ، أي : نقصته مع تغييرها له .

وقوله«ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه»أي : لاتسأل انزاله قبل أن يأتيك وحيه .

وقيل : معناه لاتلقه الى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله .

وقيل : لاتعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرئيل من أدائه اليك .

وقوله«ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً»قال ابن عباس ومجاهد : معناه عهد الله اليه بأن أمره به ووصاه به «فنسي» أي : ترك . وقيل : انما أخذ الانسان من أنه عهد اليه فنسي ، في قول ابن عباس .

وقوله«ولم نجد له عزماً»أي : عقداً ثابتاً .

وقال قتادة: يعني صبراً. والعزم الارادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل .

فصل : قوله«واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس أبى * فقلنا ياآدم ان هذا عدو لك» الايات : ١١٦ - ١٢٠ .

قدبينا فيما تقدم أن أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لادم يدل على تفضيله عليهم وان كان السجود لله تعالى لالادم ، لان السجود عبادة لايجوز أن يفعل الا لله تعالى فأما المخلوقات فلايستحق شيئاً من العبادة بحال ، لانها تستحق بأصول النعم وبقدر من النعم لايوازيها نعمة منعم . وقال قوم : ان سجود الملائكة لادم كان كما يسجد الى الكعبة ، وهو قول الجبائي .

والصحيح الاول ، لان التعظيم الذي هو في أعلى المراتب حاصل لله لالادم باسجاد الملائكة له ، ولو لم يكن الامر على ماقلناه من أن في ذلك تفضيلا لادم عليهم لما كان لامتناع ابليس من السجود له وجه ، ولما كان لقوله « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين »[1] وجه .

فلما احتج ابليس بأنه أفضل من آدم وان أخطأ في الاحتجاج، علمنا أن موضوع الامر بالسجود لادم على جهة التفضيل ، والا كان يقول الله لابليس : اني ما فضلته على من أمر به بالسجود لادم وانما السجود لي ، وهو بمنزلة القبلة ، فلاينبغي أن يأنف من ذلك .

وقدمنا أيضاً أن الظاهر في روايات أصحابنا أن ابليس كان من جملة الملائكة وهو المشهور من قول ابن عباس ، وذكره البلخي ، فعلى هذا يكون استثناء ابليس من جملة الملائكة استثناء متصلا .

ومن قال : ان ابليس لم يكن من جملة الملائكة ، قال : هو استثناء منقطع.

قوله « فتشقى » قيل : معناه تشقى أي : تتعب بأن تأكل من كديدك وماتكسبه لنفسك .

---

(١) سورة الاعراف : ١١ .

ومعنى « لاتضحى » أي : لايصيبك حر الشمس، وهو قول ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة ، وقال عمر بن أبي ربيعة :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيخضر[1]

أي : يخضر من البرد . وقيل : ليس في الجنة شمس انما فيها نور وضياء وانما الشمس في سماء الدنيا خاصة .

وضحى الرجل يضحي ضحاً اذا برز للشمس .

فصل : قوله « فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى » الايات : ١٢١ ـ ١٢٥ .

أخبر الله تعالى عن آدم وحواء أنهما أكلا من الشجرة التي نهى الله عن اكلها وعندنا أن النهي كان على وجه التنزيه والاولى، وعلى جهة الندب دون نهي الحظر والتحريم، لان الحرام لايكون الاقبيحاً ، والانبياء لايجوز عليهم شيء من القبائح لاكبيرها ولاصغيرها .

وقال الجبائي: لاتقع معاصي الانبياء الاسهواً ، فأما العلم بأنها معاصي فلاتقع.

وقال قوم آخرون أيضاً : انه وقع من آدم أكل الشجرة خطأ ، لانه كان نهى عن جنس الشجرة ، فظن أنه نهى عن شجرة بعينها ، فأخطأ في ذلك، وهذا خطأ لانه تنزيه له من وجه من المعصية .

ونسبه اليه من وجهين : أحدهما ـ أنه فعل القبيح . والثاني : أنه أخطأ في الاستدلال .

وقال قوم: انها وقعت منه عمداً وكانت صغيرة وقعت محبطة ، وقد بينا أن ذلك لايجوز عليهم عندنا بحال .

وقوله « وعصى آدم ربه فغوى » معناه : خالف ما أمره الله به فخاب ثوابه

---

(١) ديوانه ص ١٢١ .

والمعصية مخالفة الامر ، سواء كان واجباً أوندباً ، قال الشاعر :

أمرتك أمراً جازماً فعصيتني

ويقال أيضاً : أشرت عليك بكذا فعصيتني ، ويقال : غوى يغوي غواية وغياً اذا خاب ، قال الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغي لائماً

أي : من يخب . ومعنى « طفقا » يعني ظلا يفعلان وجعلا يفعلان .

وقوله « يخصفان عليهما » قيل انهما كانا يطبقان ورق الجنة بعضه على بعض ويخيطان بعضه الى بعض ليسترا به سوآتهما .

وقوله « ونحشره يوم القيامة أعمى » قيل معناه نحشر يوم القيامة أعمى البصر وقيل : أعمى الحجة .

وقيل : أعمى من جهات الخير لايهتدى اليها . والاول هو الظاهر اذا أطلق.

فصل: قوله «كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »الايات: ١٢٦ – ١٣٠ .

« فنسيتها » أي : تركتها ولم تعتبر بها وفعلت معها مايفعله الناسي الذي لم يذكرها أصلا ، ومثل ذلك اليوم تترك من ثواب الله ورحمته وتخلى[1] من نعمه، وتصير بمنزلة من قد ترك في المنسي بعذاب لايفنى .

ثم قال : ومثل ذلك « نجزي من أسرف » على نفسه بارتكاب المعاصي وترك الواجبات ولم يصدق بآيات ربه وحججه .

ثم قال « ولعذاب الاخرة » بالنار «أشد وأبقى» لانه دائم وعذاب القبر، وعذاب الدنيا يزول ، وهذا يقوي قول من قال : ان قوله « معيشة ضنكا » أراد به عذاب القبر .

---

(١) في التبيان : وتحرم .

ولايجوز أن يكون المراد بقوله « فنسيتها » النسيان الذي ينافي العلم ، لان ذلك من فعل الله لايعاقب العبد عليه ، اللهم الا أن يراد أن الوعيد على التعرض لنسيان آيات الله ، فأجرى في الذكر على نسيان الايات ، للتحذير من الوقوع فيه .

وقوله « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس » يعني : صلاة الفجر « وقبل غروبها » يعني: صلاة العصر « ومن آناء الليل » يعني صلاة المغرب والعشاء « وأطراف النهار » صلاة الظهر في قول قتادة ، وآناء الليل ساعات الليل واحدها اني، وقال السعدي :

حلو ومر كعصف القدح مرته بكل اني حذاه الليل ينتعل

سورة الانبياء

فصل : قوله « اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون * مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه » الايات ١ ـ ٥ .

قوله « وهم في غفلة معرضون » فالغفلة السهو ، وهو ذهاب المعنى عن النفس ونقيضها اليقظة، ونقيض السهو الذكر، وهو حضور المعنى للنفس، والنسيان فهو غروب المعنى عن النفس بعد حضوره .

وقوله « مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون » معناه : أي شيء من القرآن محدث بتنزيله سورة بعد سورة وآية بعد آية « الا استمعوه وهم يلعبون » أي : كل ماجدد لهم الذكر استمروا على الجهل .

وفي هذه الاية دلالة على أن القرآن محدث ، لانه تعالى أخبر أنه ليس يأتيهم ذكر محدث من ربهم الا استمعوه وهم لاعبون . والذكر هو القرآن، قال الله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »[1] وقال « وأنزلنا اليك الذكر لتبين

(١) سورة الحجر : ٩ .

للناس مانزل اليهم »[١] يعنى القرآن، ويقويه فى الاية قوله «الااستمعوه» والاستماع لايكون الافى الكلام ، وقد وصفه بأنه محدث ، فيجب القول بحدوثه .

فصل : قوله « وماأرسلنا قبلك الارجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » الاية : ٧ .

اختلفوا فى المعنى بأهل الذكر ، فروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: نحن أهل الذكر، ويشهد لذلك ان الله تعالى سمى نبيه ذكراً بقوله «ذكراً رسولا »[٢].

وقال الحسن وقتادة : أهل التوراة والانجيل. وقال ابن زيد : أراد أهل القرآن لان الله تعالى سمى القرآن ذكراً فى قوله « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون».

وقيل : في وجه الامر بسؤال الكفار عن ذلك قولان :

أحدهما : لانه يقع العلم الضروري بخبرهم اذا كانوا متواترين ، وأخبروا عن مشاهدة ، هذا قول الجبائي .

والثانى : أن الجماعة الكثيرة اذا أخبرت عن مشاهدة حصل العلم بخبرها اذا كانوا بشروط المتواترين ، وان لم يوجب خبرهم العلم الضروري . وقال قوم : أراد من آمن منهم ولم يرد الامر بسؤالهم[٣].

فصل: قوله « وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين * لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا » الاية : ١٦ ـ ١٧ .

اللعب الفعل الذي يدعو اليه الجهل بما فيه من النقص ، لان العلم يدعو الى أمر والجهل يدعو الى خلافه ، فالعلم يدعو الى الاحسان والجهل يدعو الى الاساءة لتعجيل الانتفاع .

---

(١) سورة النحل : ٤٤ .

(٢) سورة الطلاق : ١٠ ـ ١١ .

(٣) فى التبيان : بسؤال غير المؤمن .

واللعب يستحيل فى صفة القديم تعالى ، لانه عالم لنفسه بجميع المعلومات غنى عن جميع الاشياء ، ولايمتنع وصفه بالقدرة عليه ، كما نقول فى سائر القبائح وان كان المعلوم أنه لايفعله لما قدمناه .

ثم قال تعالى «لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا» قال الحسن ومجاهد: اللهو المرأة . وقال قتادة : اللهو المرأة بلغة أهل اليمن .

ثم قال تعالى « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه » معناه : انا نلقي الحق على الباطل فيهلكه. والمرادبه أن حجج الله تعالى الدالة الحق تبطل شبهات الباطل ويقال : دمغ الرجل اذا شج شجة تبلغ أم الدماغ فلايحيى صاحبها بعدها .

وقوله « فاذا هو زاهق » أي : هالك مضمحل ، وهو قول قتادة، زهق زهوقاً اذا هلك .

فصل: قوله « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش » الاية: ٢٢ .

يعني : في السماء والارض «آلهة» أي : من يحق له العبادة «غير الله لفسدتا» لانه لو صح الهان أو آلهة لصح بينهما التمانع، فكان يؤدي ذلك اذا أراد أحدهما فعلا وأراد الاخر ضده ـ أما أن يقع مرادهما ، فيؤدي الى اجتماع الضدين ، أو لايقع مرادهما فينقض كونهما قادرين، أو يقع مراد أحدهما فيؤدي الى نقض كون الاخر قادراً ، وكل ذلك فاسد، فاذن لايجوز أن يكون الاله الا واحداً، وهذا مشروح في كتب الاصول .

وقوله « فسبحان الله رب العرش » وانما أضافه الى العرش ، لانه أعظم المخلوقات ، ومن قدر على أعظم المخلوقات كان قادراً على مادونه .

ثم قال تعالى « لايسأل عما يفعل » لانه لايفعل الا ماهو حكمة وصواب، فلا يقال للحكيم : لم فعلت الصواب ؟ وهم يسألون لانه يجوز عليهم الخطأ .

فصل : قوله « يعلم مابين أيديهم ومـا خلفهم ولايشفعون الا لمن ارتضى » الاية : ٢٨ .

قال ابن عباس : معناه يعلم ماقدموا وماأخروا من أعمالهم « ولايشفعون الا لمن ارتضى » قال : أهل الوعيد ، معناه لايشفع هؤلاء الملائكة الا لمن ارتضى جميع عمله .

قالوا : وذلك يدل على أن أهل الكبائر لايشفع فيهم ، لان أعمالـهم ليست رضا لله، وهذاالذي ذكروه ليس في الظاهر، بل لايمتنع أنيكون المرادلايشفعون الالمن رضي أن يشفع فيه ،كما قال تعالى «من ذا الذي يشفع عنده الاباذنه »[١] والمراد أنهم لايشفعون الا بعد اذن الله لهم في من يشفعون .

ولو سلمنا أن المراد الا لمن رضي عمله، لجاز لنا أن نحمل على أنه رضي ايمانهوكثيراً من طاعاته ، فمن أين أنه أراد الا لمن رضي جميع أعماله .

ثم قال «أولم يعلموا أن السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما » وقيل : في معناه أقوال :

قال الحسن وقتادة :كانتا رتقاً ،أي ملتزقتين[٢] ففصل الله بينهما بهذاالهواء.

وقيل :كانتا رتقا السماء لاتمطر والارض لاتنبت ، ففتق الله السماء بـالمطر والارض بالنبات ، ذكره ابن زيد وعكرمة ، وهوالمروي عـن أبي جعفر وأبـي عبد الله عليهما السلام .

فصل : قوله « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كـل في فلك يسبحون » الاية : ٣٣.

أخبر أن جميع ذلك في فلك يسبحون ، فالفلك هو المجرى الـذي تجري

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) في التبيان : ملتصقتين .

فيه الشمس والقمر بدورانهما عليه ، في قول الضحاك .

وقال قوم : هو موج مكفوف تجريان فيه .

وقال الحسن : الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل . والفلك في اللغة كل شيء دار وجمعه أفلاك ، قال الراجز :

باتت تناصي الفلك السدوارا حتى الصباح تعمل الاقتارا

ومعنى «يسبحون» يجرون ، في قول ابن جريج . وانما قال «يسبحون» على فعل مايعقل ،لانه أضاف اليها الفعل الذي من العقلاء ،كما قال «والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين» [١] وقال «لقد علمت ماهؤلاء ينطقون» [٢] وقال النابغة :

تمززتها والديك يدعو صباحه اذا مابنو نعش دنوا فتصوبوا

وقوله «ونبلوكم» أي : نختبركم معاشر العقلاء «بالشر والخير» يعني :بالمرض والصحة والرخص والغلاء ، وغيرذلك من أنواع الخير والشر «فتنة» أي :اختباراً مني لكم وتكليفاً لكم .

ثم قال «والينا ترجعون» يوم القيامة ، فيجازى كل انسان على قدر عمله .

فصل : قوله « خلق الانسان من عجل » الاية : ٣٧ .

قال قتادة : معناه خلق الانسان عجولا، والمراد به جنس الانسان .وقال السدي: المعنى به آدم عليه السلام.

وقال مجاهد : خلق على تعجيل قبل غروب الشمس يوم الجمعة .

وقال أبوعبيدة : معناه خلقت العجلة من الانسان على القلب . وهذا ضعيف، لانه لاوجه لحمله على القلب لاجله .

وقال قوم : معناه على حب العجلة ، لانه لم يخلقه من نطفة ومن علقة ، بل

---

(١) سورة يوسف : ٤ .

(٢) سورة الانبياء : ٦٥ .

خلقه دفعة واحدة ، والذي قاله قتادة أقوى الوجوه .

وقال قوم : العجل الطين الذي خلق آدم منه ، قال الشاعر :

والنبع ينبت بين الصخر ضاحية والنخل ينبت بين الماء والعجل

والاستعجال طلب الشيء قبل وقته الذي حقه أن يكون فيه دون غيره . والعجلة تقديم الشيء قبل وقته ، وهو مذموم . والسرعة تقديم الشيء في أقرب أوقاته ، وهو محمود .

فصل : قوله « ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزؤن » الاية: ٤١ .

معنى «فحاق» أي: حل بهم عقوبة ماكانوا يسخرون منهم يحيق حيقاً، ومنه قوله « ولايحيق المكر السيء الا بأهله»[1] أي : يحل وبال القبيح بأهله الذين يفعلونه .

والفرق بين الهزء والسخرية ، أن في السخرية معنى الذلة ، لان التسخير التذليل ، والهزء يقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول .

قوله « أفلا يرون» أي : ألا يعلمون « انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها » قيل : بخرابها . وقيل : بموت أهلها . وقيل : بموت العلماء .

فصل : قوله « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً » الاية : ٤٧ .

قال قتادة : معناه نضع العدل في المجازاة بالحق ، فكل أحد على قدر استحقاقه، فلا يبخس المثاب بعض مايستحقه ، ولا يفعل بالمعاقب فوق مايستحقه .

وقال الحسن : هو ميزان له كفتان ولسان يذهب الى أنه علامة جعلها الله للعباد يعرفون بها مقادير الاستحقاق .

---

(١) سورة فاطر : ٤٣ .

وقال قوم : هو ميزان ذو كفتين توزن بها صحف الاعمال . وقال بعضهم : يكون في احدى الكفتين نور وفي الاخرى ظلمة ، فأيهما رجح علم بـه مقدار مايستحقه ويكون الوجه[1] في ذلك مافيه من اللطف والمصلحة في دار الدنيا .

فصل : قوله « قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم انكانوا ينطقون »الاية :٦٣.

انما جاز أن يقول « بل فعله كبيرهم هذا» ومافعل شيئاً لاحد أمرين :

أحدهما:أنه قيده بقوله «انكانوا ينطقون» فقدفعله كبيرهم ، وقوله«فاسألوهم» اعتراض بين الكلامين كما يقول القائل : عليه الدراهم فاسأله ان أقر .

الثاني: انه خرج مخرج الخبر وليس بخبر، وانماهو الزام يدل على تلك الحال، كأنه قال : بل ماينكرون فعله كبيرهم هذا ، والالزام تارة يأتي بلفظ السؤال، وتارة بلفظ الامر ، كقوله «فأتوا بسورة مثله»[2] وتارة بلفظ الخبر ، والمعنى فيه أنه من اعتقد كذا لزمه كذا .

ولايجوز على الانبياء القبائح ، ولايجوز عليهم التعمية في الاخبار، ولا النقية في أخبارهم ،لانه يؤدي الى التشكيك في أخبارهم ، فلايجوز ذلك عليهم على وجه.

فأما ماروي عن النبي ﷺ أنه قال: لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات كلها في الله . فانه خبر لاأصل له ، لان الكذب يشكك في اخبار الكاذب ، ولو حسن الكذب على وجه كما يتوهم بعض الجهال لجاز من القديم ذلك .

فصل : قوله « يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » الاية : ٦٩ .

قيل : فيه قولان :

أحدهما :أنه تعالى أحدث فيها برداً بدلامن شدة الحرارة التي فيها فلم تؤذه.

والثاني :أنه تعالى حال بينها وبين جسمه فلم تصل اليه ، ولولم يقل وسلاماً

---

(١) في التبيان : المعرفة .

(٢) سورة يونس : ٣٨ .

لاهلكه بردها ، ولم يكن هناك أمر على الحقيقة . والمعنى أنه فعل ذلك كماقال «كونوا قردة خاسئين»[١] أي : صيرهم كذلك من غير أن أمرهم بذلك .

فصل :قوله « ووهبناله اسحاق ويعقوب نافلة وكلاجعلنا صالحين»الاية:٧٢.

معنى «نافلة» عطية زائدة على ماتقدم من النعمة ، في قول مجاهد وعطاء . والنفل النفع الذي يجب الحمد مما زاد على حد الواجب ، ومنه صلاة النافلة ، أي : فضلا على الفريضة .

وقوله «وكلا جعلنا صالحين» يحتمل أمرين :

أحدهما : أنه جعلها بالتسمية على وجه المدح بالصلاح ، أي : سميناهم صالحين .

والثاني : انا فعلنا بهم من اللطف الذي صلحوا به .

وقوله« وأقام الصلاة » أي: وبأن يقيموا الصلاة بحدودها ، وانما قال «وأقام الصلاة » بلاهاء ، لان الاضافة عوض الهاء .

فصل: قوله « وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين » الاية : ٧٨ .

النفش لايكون الا ليلا على ماقاله شريح .

وقال الزهري : الهمل بالنهار والنشر بالنهار. والحرث الذي حكما فيه .

قال قتادة : هو زرع وقعت فيه الغنم ليلا فأكلته .

وقيل :كرم قد نبتت عناقيده ، في قول ابن مسعود وشريح .

وقيل : ان داودكان يحكم بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان غير هذا يا نبي الله ، قال : وماذاك ؟ قال : يدفع الكرم الى صاحب الغنم ، فيقوم عليه حتى يعود كماكان ، وتدفع الغنم الى صاحب الكرم ، فيصيب منها حتى اذا عاد الكرم

---

(١) سورة البقرة : ٦٥ .

كماكان دفع كل واحد الى صاحبه ، ذكره ابن مسعود ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام .

وقال أبوعلي الجبائي : أوحى الله الى سليمان بمانسخ به حكم داود الذي كان يحكم به قبل ، ولم يكن ذلك عن اجتهاد ، لان الاجتهاد لايجوز أن يحكم به الانبياء . وهذا هو الصحيح عندنا .

قال الجبائي : أكمل الله تعالى عقول الطيور حتى فهمت ماكان سليمان يأمرها به وينهاها عنه ومايتوعدها به متى خالفت .

قوله « وكنا لحكمهم شاهدين » انما جمعه في موضع التثنية لان داود وسليمان كان معهما المحكوم عليه ومن حكم له ، فلايمكن الاستدلال به ، على أن أقل الجمع اثنان.

ومن قال : انه كناية عن الاثنين ، قال : هو يجري مجرى قوله « فان كان له اخوة »[1] في موضع فان كان له أخوان. وهذا ليس بشيء ، لان ذلك علمناه بدليل الاجماع ، ولذلك خالفا فيه ابن عباس ، فلم يحجب بأقل من ثلاثة .

وقوله « وعلمناه » يعني داود « صنعة لبوس لكم » أي : علمناه كيف يصنع الدرع . وقيل : ان اللبوس عند العرب هو السلاح كله ، درعاً كان أوجوشناً .

فصل : قوله « ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين » الايات : ٨٢ ـ ٨٥ .

أي : وسخرنا لسليمان قوماً من الشياطين يغوصون له في البحر .

« ويعملون عملا دون ذلك » قال الزجاج : معناه سوى ذلك .

« وكنا لهم حافظين » أي : يحفظهم الله من الافساد لماعملوه . وقيل : كان يحفظهم لئلا يهربوا من العمل .

---

(١) سورة النساء : ١٠ .

وقال الجبائي : كشف[1] الله أجسام الجن حتى تهيألهم تلك الاعمال معجزاً لسليمان عليه السلام ، قال : لانهم كانوا يبنون له البنيان والغوص في البحار ، واخراج ما فيها من اللؤلؤ وغيره ، وذلك لايتأتى مع رقة أجسامهم، قال : وسخرله الطير بأن قوى أفهامها حتى صارت كصبياننا الذين يفهمون التخويف والترغيب .

اختلفوا في ذي الكفل، فقال أبوموسى الاشعري وقتادة ومجاهد : كان رجلا صالحاً كفل لنبي بصوم النهار وقيام الليل، وألا يغضب ويقضي بالحق ، فوفى لله بذلك فأثنى الله عليه .

وقال قوم: كان نبياً كفل بأمروفى به. وقال الحسن : هو نبي اسمه ذوالكفل. وقال الجبائي : هو نبي .

ومعنى وصفه بالكفل أنه ذوالضعف، أي: ضعف ثواب غيره ممن في زمانه لشرف عمله .

فصل : قوله « وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لااله الا أنت » الايات : ٨٧ ـ ٩٠ .

النون الحوت ، وصاحبها يونس بن متى ، غضب على قومه ، في قول ابن عباس والضحاك ، فذهب مغاضباً لهم، فظن أن الله لايطيق عليه، لانه كان ندبه الى الصبر عليهم والمقام فيهم ، من قوله « ومن قدر عليه رزقه »[2] أي : ضيق ، وقوله « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر »[3] أي : يضيق ، وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وأكثر المفسرين .

ومن قال : ان يونس عليه السلام ظن أن الله لايقدر عليه من القدرة فقد كفر. وقيل:

---

(١) في « ق » : كشف .

(٢) سورة الطلاق : ٧ .

(٣) سورة الرعد : ٢٨ .

انما عوتب على ذلك ، لانه خرج مغاضباً لهم قبل أن يؤذن له ، فقال قوم : كانت خطيئة من جهة تأويله أنه يجوز له ذلك، وقد قلنا: انه كان مندوباً الى المقام، فلم يكن ذلك محظوراً وانما كان ترك الاولى .

قوله « فنادى في الظلمات » قيل: انها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ، على ماقاله ابن عباس وقتادة .

وقوله « اني كنت من الظالمين » أي : كنت من الباخسين نفسي ثوابها لو أقمت، لانه كان مندوباً اليه، ومن قال بجواز الصغائر على الانبياء ، قال : كان ذلك صغيرة نقصت ثوابه .

فأما الظلم الذي هو كبيرة ، فلايجوزها عليهم الا الحشوية الجهال الذين لايعرفون مقادير الانبياء الذين وصفهم الله بأنه اصطفاهم واختارهم .

فصل : قوله « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين » الاية : ٩١ .

الاحصان احراز الشيء من الفساد ، فمريم أحصنت فرجها بمنعه من الفساد، فأثنى الله عليها ورزقها ولداً عظيم الشأن .

وقوله « فنفخنا فيها من روحنا » معناه أجرينا فيها روح المسيح ، كما يجري الهواء بالنفخ ، وأضاف الروح الى نفسه تعالى على وجه الملك تشريفاً له في الاختصاص بالذكر .

وقيل : ان الله تعالى أمر جبرئيل بنفخ الروح في فرجها وخلق المسيح في رحمها .

وقوله « وجعلناها وابنها آية للعالمين » معناه انا جعلنا مريم وابنها عيسى آية للعالمين . وانما قال « آية » ولم يثن، لانه في موضع دلالة لهما، فلايحتاج أن يثني .

فصل : قوله « يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب» الاية : ١٠٤ .

السجل الصحيفة تطوى على مافيها من الكتابة، فشبه الله تعالى طي السماء يوم القيامة بطي الكتاب ، في قول ابن عباس ومجاهد .

وقال ابن عمر والسدي : السجل ملك يكتب أعمال العباد .

وقال ابن عباس : في رواية السجل كاتب كان لرسول الله ﷺ .

سورة الحج

فصل: قوله « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » الاية: ٢ .

قال الفراء والكوفيون : يجوز أن يقال: مرضع بلاهاء، لان ذلك لايكون في الرجال فهو مثل حائض وطامث .

وقال الزجاج وغيره من البصريين : اذا أجريته على الفعل قلت أرضعت فهي مرضعة ، فاذا قالوا مرضع ، فالمعنى انها ذات رضاع . وقيل : في قولهم حائض وطامث معناه انها ذات حيض وطمث .

وقال قوم : اذا قلت مرضعة، فانه يرادبها أم الصبي المرضع ، واذا أسقطت الهاء فانه يراد بها المرأة التي معها صبي مرضعة لغيرها .

والمعنى : ان الزلزلة شيء عظيم فى يوم ترون فيها الزلزلة على وجه «تذهل كل مرضعة » أي : يشغلها عن ولدها اشتغالا بنفسها ومايلحقها من الخوف .

وقال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل لغير تمام.

فصل: قوله « ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة » الاية : ٥ .

قال الحسن : المعنى خلقنا آدم من تراب الذي هو أصلكم وأنتم نسله .وقال قوم : أراد به جميع الخلق ، لانه أرادبه خلقهم من نطفة ، والنطفة يجعلها الله من

الغذاء، والغذاء ينبت من التراب، فكان أصلهم كلهم التراب ، ثم أحالهم بالتدريج الى النطفة ، ثم أحال النطفة علقة، وهى القطعة من الدم جامدة ، ثم أحال العلقة مضغة ، وهى شبه قطعة من اللحم ممضوغة، والمضغة مقدار مايمضغ من اللحم.

وقوله «مخلقة وغير مخلقة» قال قتادة : تامة الخلق وغير تامة وقيل: مصورة وغير مصورة وهي السقط، في قول مجاهد .

وقوله « ومنكم من يرد الى أرذل العمر» قيل: معناه أهونه وأخسه عند أهله وقيل: أحقره . وقيل: هي حال الخرف ، وانما قيل أرذل العمر ، لان الانسان لايرجو بعده صحة وقوة، وانما يترقب الموت والفناء ، بخلاف حال الطفولية .

وقوله « لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » معناه : ان رددناه الى أرذل العمر لكيلا يعلم ، لانه يزول عقله من بعد أن كان عاقلا عالماً بكثير من الاشياء ينسى جميع ذلك .

فصل: قوله «وأن الله ليس بظلام للعبيد» الاية: ١٠ .

انما ذكره بلفظ المبالغة وان كان لايفعل القليل من الظلم لامرين :

أحدهما: أنه خرج جواباً للمجبرة ورداً عليهم ، لانهم ينسبون كل ظلم في العالم اليه تعالى، فبين أنه لو كان كما قالوا لكان ظلاماً وليس بظالم .

الثاني: أنه لو فعل أقل قليل الظلم كان عظيماً منه، لانه يفعله من غير حاجة اليه فهو أعظم من كل ظلم فعله فاعله لحاجته اليه .

فصل: قوله «ومن الناس من يعبد الله على حرف» الاية : ١١ .

ان في الناس من يوجه عبادته الى الله على ضعف في العبادة، كضعف القيام على حرف جرف، وذلك من اضطرابه في استيفاء النظر المؤدي الى المعرفة ، فأدنى شبهة تعرض له ينقاد لها ولايعمل في حلها .

والحرف والطرف والجانب نظائر ، والحرف منتهى الجسم ، ومنه الانحراف

والانعدال الى الجانب، وقلم محرف قد عدل بقطته عن الاستواء الى جانب .

وقال مجاهد: معنى على حرف على شك. وقال الحسن: يعبدالله على حرف يعني المنافق يعبده بلسانه دون قلبه .

وقيل: على حرف الطريقة لايدخل فيه على تمكين .

وقوله «فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه» قال ابن عباس :كان بعضهم اذا قدم المدينة ، فان صح جسمه ونتجت فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته غلاماً رضي به واطمأن اليه ، وان أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة قال: ماأصبت منذ كنت على ديني هذا الا شراً وكل ذلك عدم البصيرة .

فصل : قوله « ان الله على كل شيء شهيد * ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب» الاية : ١٧ – ١٨ .

قوله « ان الله على كل شيء شهيد » أي : عالم بمامن شأنه أن يشاهد، فالله تعالى يعلمه قبل أن يكون، لانه علام الغيوب .

وقوله « يسجد له من في السماوات ومن في الارض» من العقلاء « و » يسجد له «الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب » فسجود الجماد هو مافيه من ذلة الخضوع التي تدعو العارفين الى السجود سجود العبادة لله المالك للامور ، وسجود العقلاء هو الخضوع له تعالى .

وقوله « من في السماوات ومن في الارض » وان كان ظاهره العموم فالمراد به الخصوص ، اذا حملنا السجود على العبادة والخضوع ، لانا علمنا أن كثيراً من الخلق كافرون بالله تعالى ، ولذلك قال «وكثير من الناس حق وكثير حق عليه

العذاب » .

وقوله « يصهر به مافي بطونهم » فالصهر الاذابة ، والمعنى يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم، قال الشاعر :

تروي لقى ألقى في صفصف تصهره الشمس فماينصهر[1]

فصل : قوله « سواء العاكف فيه والباد » الآية : ٢٥ .

معناه : سواء فيه بالنزول فيه. وقال مجاهد : معناه انهم سواء في حرمته وحق الله عليهما فيه .

واستدل بذلك قوم على أن أجرة المنازل في أيام الموسم محرمة . وقال غيرهم: هذا ليس بصحيح، لان المراد به سواء العاكف فيه والبادي فيمايلزمه من فرائض الله فيه ، فليس لهم أن يمنعوه من الدور والمنازل فهي لملاكها ، وهو قول الحسن .

فصل: قوله « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا » الاية : ٢٦ - ٢٧ .

قوله « وطهر بيتي » يعني : من عبادة الاوثان . وقيل: من الادناس. وقيل: من الدماء والفرث والاقذار التي كانت ترمى حول الكعبة ويلطخون به البيت اذا ذبحوا .

« للطائفين » يعني حول البيت « والقائمين والركع السجود » يعني: طهر حول البيت للذين يقومون هناك للصلاة والركوع والسجود ، فقال عطاء : والقائمين في الصلاة، وقال: اذا طاف فهو من الطائفين، واذا قعد فهو من العكف واذا صلى فهو من الركع السجود .

---

(١) اللسان « صهر » .

وفي الاية دلالة على جواز الصلاة في الكعبة .

قال الحسن وقتادة : الايام المعلومات عشر ذي الحجة ، والايام المعدودات أيام التشريق .

وقال أبو جعفر عليه السلام : الايام المعلومات أيام التشريق والمعدودات العشر لان الذكر الذي هو التكبير في أيام التشريق، وانما قيل لهذه الايام معدودات لقلتها وقيل لتلك معلومات للحرص على عملها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها.

وقوله «على ما رزقهم من بهيمة الانعام» يعني : مما يذبح من الهدي . وقال ابن عمر: الايام المعلومات أيام التشريق، لان الذبح فيها الذي قال تعالى «ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام» .

وقوله «فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير» قال مجاهد وعطاء : أمر بأن يأكل من الهدي وليس بواجب ، وهو الصحيح غير أنه مندوب اليه .

وقوله «ثم ليقضوا تفثهم» فالتفث مناسك الحج من الوقوف والطواف والسعي ورمي الجمار والحلق بعد الاحرام من الميقات .

وقال ابن عباس وابن عمر : التفث جميع المناسك . وقيل : التفث قشف الاحرام وقضاؤه بحلق الرأس والاغتسال ونحوه .

وقوله « وليطوفوا بالبيت العتيق » قال ابن زيد : سمي البيت عتيقاً ، لانه أعتق من أن تملكه الجبابرة عن آدم . وقيل : لانه أعتق من الغرق أيام الطوفان فغرقت الارض كلها الا موضع البيت والطواف المأمور به وهو ركن بلاخلاف.

وروى أصحابنا أن المراد هاهنا طواف النساء الذي يستباح به وطىء النساء وهو زيادة على طواف الزيارة .

وقوله «وأحلت لكم الانعام الا مايتلى عليكم» يعني: الا مايتلى عليكم في كتاب الله ، من الميتة والدم ولحم الخنزير والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل

السبع وما ذبح على النصب .

وقيل : وأحلت لكم الانعام من الابل والبقر والغنم في حال احرامكم الا ما يتلى عليكم من الصيد ، فانه يحرم على المحرم .

وقوله«فاجتنبوا الرجس من الاوثان» معنى«من» لتبيين الصفة، والتقدير: فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان. وروى أصحابنا أن المراد به اللعب بالشطرنج والنرد وسائر أنواع القمار«واجتنبوا قول الزور» يعني الكذب. وروى أصحابنا أنه يدخل فيه الغناء وسائر الاقوال الملهية بغير حق .

قوله«ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب» فالشعائر علامات مناسك الحج كلها ، منها رمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة .

وقال مجاهد : هي البدن وتعظيمها استسمانها ، والشعيرة العلامة التي يشعر بما جعلت له وأشعرت البدن اذا علمتها بما يشعر أنها هدي .

ثم قال«لكم فيها منافع الى أجل مسمى» قال ابن عباس ومجاهد: ذلك ما لم يسم هدياً أو بدناً. وقال عطاء : ما لم يقلد. وقيل : منافعها ركوب ظهرها وشرب ألبانها اذا احتاج اليها، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام. وقوله«الى أجل مسمى» قال عطاء بن أبي رياح : الى أن تنحر .

وقوله «ثم محلها الى البيت العتيق» معناه : ان محل الهدي والبدن الكعبة وعند أصحابنا ان كان الهدي في الحج فمحله منى ، وان كان في العمرة المفردة فمحله مكة قبالة الكعبة بالحزورة . وقيل : الحرم كله محل لها، والظاهر يقتضي أن المحل البيت العتيق .

قال الحسن : المنسك المنهاج جعله الله لكل أمة من الامم السالفة «منسكاً» أي: شريعة .

وقال مجاهد: منسكاً يعني عبادة في الذبح، والنسكة الذبيحة، يقال: نسكت

الشاة أي ذبحتها ، فكأنه المذبح ، وهو الموضع الذي تذبح فيه .

فصل : قوله«والبدن جعلناها لكم من شعائر الله»الاية : ٣٦ .

البدن جمع بدنة ، وهي الابل المبدنة بالسمن .

قال الزجاج: يقولون بدنت الناقة اذا سمنتها، ويقال لها بدنة من هذه الجهة.

وقيل: أصل البدن الضخم، وكل ضخم بدن، وبدن بدناً اذا ضخم، وبدن تبديناً فهو ثقل لحمه للاسترخاء .

وقال عطاء : البدن البقرة والبعير .

وقيل : البدنة اذا نحرت عقلت يد واحدة ، فكانت على ثلاث فكذلك تنحر وعند أصحابنا تشد يداها الى ابطيها وتطلق رجلاها، والبقر تشد يداها ورجلاها ويطلق ذنبها ، والغنم تشد ثلاثة أرجل منها وتطلق فرد رجل .

وقوله«فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر»فقال قوم: الاكل والاطعام واجبان وقال آخرون : الاكل مندوب والاطعام واجب .

وقال قوم : لو أكل جميعه جاز، وعندنا يطعم ثلثه ويعطي ثلثه للقانع والمعتر ويهدي الثلث .

والقانع الذي يقنع بما أعطي أوبما عنده ولا يسأل. والمعتر الذي يتعرض لك أن تطعمه من اللحم. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة : المعتر يسأل ، والقانع لا يسأل .

وقال الحسن وسعيد بن جبير : القانع الذي يسأل .

ثم قال«لن ينال الله لحومها»والمعنى لن يتقبل الله اللحوم ولا الدماء، ولكن يتقبل التقوى فيها وفي غيرها ، بأن يوجب في مقابلتها الثواب .

فصل : قوله«وبئر معطلة وقصر مشيد»الاية : ٤٥ .

معناه : وكم من بئر معطلة أي لاأهل لها ، والتعطيل ابطال العمل بالشيء

ولذلك قيل للدهري : معطل ، لانه أبطل العمل بالعلم على مقتضى الحكمة .

ومعنى«وقصر مشيد»أي : مجصص. والشيد الجص في قول عكرمة ومجاهد وقال قتادة : معناه رفيع وهو المرفوع بالشيد ، قال امرء القيس :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أجماً الا مشيداً بجندل

قوله «اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته» قال البلخي : يجوز أن يكون النبي سمع هاتين الكلمتين من قومه وحفظهما ، فلما قرأ النبي عليه السلام وسوس بهما اليه الشيطان وألقاهما في فكره، فكاد أن يجريهما على لسانه ، فعصمه الله ونبهه ونسخ وسواس الشيطان وأحكم آياته ، بأن قرأها النبي عليه السلام محكمة سليمة مما أراد الشيطان وقال بعض المفسرين : ان المراد بالتمني في الاية تمني القلب .

والمعنى أنه ما من نبي ولا رسول الا وهو يتمني بقلبه ما يقربه الى الله من طاعاته، وأن الشيطان يلقي في أمنيته بوسوسته واغوائه ما ينافي ذلك ، فينسخ الله ذلك عن قلبه ، بأن يلطف له ما يختار عنده ترك ما أغواه .

فصل : قوله«ما قدروا الله حق قدره»الاية : ٧٤ .

اختلفوا في معنى «ما قدروا الله حق قدره » فقال الحسن: معناه ما عظموه حق عظمته اذ جعلوا له شريكاً في عبادته ، وهو قول المبرد والفراء . وقال قوم : ما عرفوه حق معرفته .

سورة المؤمنون

فصل : قوله « قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون» الاية ١ ـ ٢ .

معنى خاشعين مقبلين على الصلاة بالخضوع والتذلل لربهم .

وقيل : معناه خائفون .

وقال مجاهد: هو غض الطرف وخفض الجناح. وقيل: أن ينظر الى موضع سجوده .

ثم قال«والذين هم للزكاة فاعلون»أي : يؤدون ما يجب عليهم في أموالهم من الصدقات ، وسمي زكاة لانه يزكو بها المال عاجلا وآجلا .

ثم قال « والذين هم لفروجهم حافظون » قيل : عنى بالفروج هاهنا فروج الرجال خاصة، بدلالة قوله «الا على أزواجهم أوماملكت أيمانهم» .

ثم استثنى من الحافظين لفروجهم من لايحفظ فرج زوجته ، أوماتملك يمينه من الاماء على ماأباحه الله له، لان التزويج ينبغي أن يكون على وجه اباحة الله تعالى .

وملك اليمين في الاية المراد به الاماء ، لان الذكور من المماليك لاخلاف في وجوب حفظ الفرج منهم، ومن ملك الايمان من الاماء لايجمع بين الاختين في الوطىء، ولابين الام والبنت، وكل مالم يجز الجمع بينهم في العقد، فلايجوز الجمع بينهما في الوطىء بملك اليمين .

ولايخرج من الاية وطىء المتمتع بها ، لانها زوجة عندنا ، وان خالف حكمها حكم الزوجات في أحكام كثيرة ، كما أن حكم الزوجات مختلف في نفسه .

وانما قيل للجارية: ملك يمين، ولم يقل في الدار ملك يمين، لان ملك الجارية أخص من ملك الدار ، اذ له نقض بنية الدار، وليس له نقض بنية الجارية وله عارية الدار وليس له عارية الجارية ، حتى توطىء بالعارية ، فلذلك خص الملك في الامة .

وانما قال «الا على أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين» مع تحريم وطئها على وجوه ، كتحريم وطىء الزوجة ، والامة في حال الحيض ، ووطىء

الجارية اذاكان لها زوج، أوكانت في عدة من زوج. وتحريم وطىء المظاهرة قبل الكفارة ، لان المراد بذلك على مايصح ويجوز مما بينه الله وبينه رسوله في غير هذا الموضع وحذف لانه معلوم .

فصل : قوله « ولقدخلقنا الانسان من سلالة من طين » الاية : ١٢ .

قال ابن عباس ومجاهد : المراد بالانسان كل انسان، لانه يرجع الى آدم الذي خلق من سلالة .

وقال قتادة : المراد بالانسان آدم، لانه استل من أديم الارض .

وقيل: استل من طين . والسلالة صفوة الشيء التي تخرج منه ،كأنها تستل منه .

وفي الاية دلالة على أن الانسان هو هذا الجسم المشاهد، لانه المخلوق من نطفة والمستخرج من سلالة دون مايذهب اليه قوم من أنه الجوهر البسيط أوشيء لايصح التركيب والانقسام، على مايذهب اليه معمر وغيره .

فصل: قوله «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين » الاية : ٢٠ .

من كسر السين من سيناء ، فلقوله « طور سينين » [1] والسيناء والسينين الحسن ، وكل جبل ينبت الثمار فهوسينين . ومن فتح السين فلانه لغتان، وأصله سرياني .

وقوله « وصبغ للاكلين » أي : وجعلناه مما يتأدم به الانسان ويصطبخون به من الزيت والزيتون . والاصطباغ أن يغمز فيه ثم يخرجه ويأكله .

فصل: قوله « وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها » الاية : ٢١ .

قال بعضهم : سقيت وأسقيت لغتان، والصحيح أن سقيت للشفه ، وأسقيت

(١) سورة التين : ٢ .

للانهار والانعام .

وانماقال هاهنا «ممافي بطونها » وفي النحل «بطونه»[١] لانه اذا أنث فلاكلام لرجوع ذلك الى الانعام ، واذا ذكر فلان النعم والانعام بمعنى واحد ، ولان التقدير: ونسقيكم من بعض مافي بطونه .

الانعام هي الماشية التي تمشي على نعمة في مشيها خلاف الحافر في وطئها وهي الابل والبقر والغنم .

فصل: « فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا» الاية :٢٧ .

قيل : في معناه قولان :

أحدهما : بحيث نراها كما يراها الرائي من عبادنا بعينه ليتذكر أنه يصنعها والله عزوجل يراه .

الثاني : بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين ، فانهم يحرسونك من منع مانع لك .

وقوله «ووحينا» أي: باعلامنا اياك كيفية فعلها .

فصل: قوله «هيهات هيهات لماتوعدون» الاية :٣٦ .

ومعنى «هيهات» بعد الامر جداً هو بمنزلة صه ومه .

وقال ابن عباس : معنى هيهات بعيد بعيد ، والعرب تقول : هيهات لماتبتغي وهيهات ماتبتغي، قال جرير :

فهيهات هيهات العقيق ومن بـه وهيهات وصل بالعقيق نواصله[٢]

فصل: قوله «وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين» الاية:٥١ .

الربوة التي أويا اليها هي الرملة في قول أبي هريرة. وقال سعيد بن المسيب

---

(١) سورة النحل : ٦٦ .

(٢) ديوان جرير ص ٣٨٥ .

هي دمشق. وقال ابن زيد: هي مصر . وقال قتادة: هي بيت المقدس .

و « ذات قرار ومعين » أي : ماء جار طاهر .

سورة النور

فصل : قوله « سورة أنزلناها وفرضناها » الاية: ١ .

السورة : المنزلة الشريفة ، قال الشاعر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب[1]

فسميت السورة من القرآن بذلك لهذه العلة. والفرض هو التقدير في اللغة ، وفصل بينه وبين الواجب ، بأن الفرض واجب بجعل جاعل، لانه فرضه على صاحبه، كما أنه أوجبه عليه .

والواجب قد يكون واجباً من غير جعل جاعل، كوجوب شكر المنعم فجرى مجرى دلالة الفعل على الفاعل في أنه يدل من غير جعل جاعل له يدل، كما تجعل العلامة الوضعية تدل، الا أن الله تعالى لا يوجب على العبد الا ماله صفة الوجوب في نفسه، كما لا يرغبه الا فيما هو مرغوب فيه في نفسه .

ومعنى الابيات الدلالات على مايحتاج الى علمه مما قد بينه الله في هذه السورة .

فصل: قوله « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون » الاية : ٢ .

أمر الله تعالى في هذه الاية أن يجلد الزاني والزانية اذا لم يكونا محصنين « كل واحد منهما مائة جلدة » واذا كانا محصنين أو أحدهما كان على المحصن الرجم بلا خلاف .

---

[1] ديوان الذبياني ص ١٨ .

وعندنا أنه يجلد أولا مائـة جلدة ثم يرجـم ، وفي أصحابنا من خص ذلك بالشيخ والشيخة اذا زنـيا وكانا محصنين، فاما أذا كانا شابين محصنيـن لم يكن عليهما غير الرجم، وهو قول مسروق، وفي ذلك خلاف ذكرناه في الخلاف .

والاحصان الذي يوجب الرجـم هو أن يكون له فرج[1] يغدو اليـه ويروح على وجه الدوام وكان حراً ، فأما العبد فلايكون محصناً ، وكذلك الامة لاتكون محصنة ، وانما عليهما نصف الحد خمسون جلدة .

والحر متى كان عنده زوجة حرة يتمكن من وطئها مخلى بينه وبينها، سواء كانت حرة أو أمة ، أوكانت عنده أمة يطأها بملك اليمين ، فانه متى زنـا وجب عليه الرجم .

ومتى كان غائباً عن زوجتـه شهراً فصاعداً ، أوكان محبوساً ، أوهي محبوسة هذه المدة ، فلا احصان . ومن كان محصناً على ماقدمناه ، ثم ماتت زوجتـه أو طلقها، بطل احصانه. وفي جميع ذلك خلاف بين الفقهاء ، ذكرناه في الخلاف.

والخطاب بهذه الاية وان كان متوجهاً الى الجماعة، فالمراد بـه الائمة بلا خلاف، لانه لاخلاف أنه ليس لاحد اقامة الحدود الا للامام، أومن يوليه الامام ، ومن خالف فيه لايعتد بخلافه .

والزنا هو وطىء المرأة في الفرج من غير عقد شرعي ولا شبهة عقد مع العلم بذلك أوغلبة الظن ، وليس كل وطىء حرام زنا ، لانه قد يطأ في الحيض والنفاس وهو حرام ولايكون زنا وكذلك لووجد امرأة على فراشه، فظنها زوجته أوأمته فوطأها لم يكن ذلك زنا لانه شبهة .

وقوله « ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله » قال مجاهد وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير وابراهيم : معناه لاتمنعكم الرأفة والرحمة من اقامة الحد . وقال

---

(١) في التبيان : زوج .

الحسن وسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وحماد : لايمنعكم ذلك من الجلد الشديد .

وقوله « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » قال مجاهد وابراهيم : الطائفة رجل واحد. وعن أبي جعفر عليه السلام أن أقله رجل واحد. وقال عكرمة: الطائفة رجلا فصاعداً . وقال قتادة والزهري: هم ثلاثة .

وقال الجبائي : من زعم أن الطائفة أقل من ثلاثة ، فقد غلط من جهة اللغة ، ومن جهة المراد بالاية من احتياطه بالشهادة .

وقوله «الزاني لاينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها الا زان أومشرك» الاية. قيل: انها نزلت على سبب، وذلك أنه استأذن رجل من المسلمين النبي عليه السلام أن يتزوج امرأة من أصحاب الرايات كانت تسافح ، فأنزل الله تعالى الاية .

وروي ذلك عن عبدالله بن عمر وابن عباس وقال : حرم الله نكاحهن على المؤمنين ، فلا يتزوج بهن الا زان أو مشرك .

وقال مجاهد وقتادة والزهري والشعبي: ان التي استؤذن فيها مهزول .

وقيل : النكاح هاهنا المراد به الجماع ، والمعنى الاشتراك في فعل الزنا ، يعني أنهما يكونان جميعاً زانيين ، ذكر ذلك عن ابن عباس ، وقد ضعف الطبري ذلك ، وقال :لافائدة في ذلك ، ومن قال بالاول قال :الاية وان كان ظاهرها الخبر، فالمراد به النهي .

وقال سعيد بن جبير : معناه أنها زانية مثله ، وهو قول الضحاك وابن زيد .

وقال سعيد بن المسيب: وكان هذا حكم كل زان وزانية ثم نسخ بقوله «وأنكحوا الايامى منكم والصالحين»[1] وبه قال أكثر الفقهاء .

وقال الرماني : وجه التأويل أنهما شريكان في الزنا ، لانه لاخلاف أنه ليس

---

(١) سورة النور : ٣٢ .

لاحد من أهل الصلاة أن ينكح زانية ، وأن الزانية من المسلمات حرام على كل مسلم من أهل الصلاة ، فعلى هذا له أن يتزوج بمن كان زنا بها .

وعن أبي جعفر : أن الاية نزلت في أصحاب الرايات ، وأما غيرهن فانه يجوز أن يتزوجها ، وان كان الافضل غيرها ويمنعها من الفجور ، وفي ذلك خلاف بين الفقهاء .

فصل: قوله «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون *الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » الايتان : ٤ ـ ٥ .

قال سعيد بن جبير: هذه الاية نزلت في عائشة . وقال الضحاك : هي في نساء المؤمنين ، وهو الاولى لانه أعم فائدة ، وان كان يجوز أن يكون سبب نزولها في عائشة ، لكن لاتقصر الاية على سببها .

يقول الله تعالى «ان الذين يرمون المحصنات» أي : يقذفون العفائف من النساء بالزنا والفجور ، وحذف قوله «بالزنا» لدلالة الكلام عليه ولم يقيموا على ذلك أربعة من الشهود، فانه يجب على كل واحد منهم ثمانون جلدة . وقال الحسن: يجلد وعليه ثيابه ، وهو قول أبي جعفر عليه السلام .

ويجلد الرجل قائماً والمرأة قاعدة . وقال ابراهيم : ترمى عنه ثيابه وعندنا ترمى عنه ثيابه في حد الزنا .

وقوله «ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً» نهي من الله تعالى عن قبول شهادة القاذف على التأبيد ، وحكم عليهم بأنهم فساق .

ثم استثنى من ذلك «الذين تابوا من بعد ذلك» واختلفوا في الاستثناء الى من يرجع ، فقال قوم : انه من الفاسقين[1] ، فاذا تاب قبلت شهادته حداً ولم يحد ،

---

(١) في التبيان : الفساق .

وهوقول سعيدبن المسيب ، وقال : ان عمرقال لابي بكرة :ان تبتقبلتشهادتك، فأبى أبوبكرةأن يكذبنفسه ، وهوقول مسروق والزهري والشعبي وعطاءوطاووس ومجاهد وسعيد بن جبير وعمربن عبد العزيزوالضحاك، وهوقول أبي جعفروأبي عبد الله عليهما السلام ، وبه قال الشافعي من الفقهاء وأصحابه وهو مذهبنا .

وقال الزجاج : يكون تقديره : ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً الا الذين تابوا .

ثم وصفهم بقوله «وأولئك هم الفاسقون» وقال شريح وسعيد بن المسيب والحسن وابراهيم : الاستثناء من الفاسقين دون قوله «ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً».

وبه قال أهل العراق ، قالوا : فلايجوزقبول شهادة القاذف أبداً ، ولاخلاف في أنه اذالم يجد بأن تموت المقذوفة ولم يكن هناك مطالب ثم تاب أنه يجوز قبول شهادته، وهذا يقتضي من المعنيين على تقدير «وأولئك هم الفاسقون» في قذفهم مع امتناع قبول شهادتهم الا التائبين منهم . والحد حق للمقذوفة لايزول بالتوبة .

وقال قوم : توبته متعلقة باكذابه نفسه ، وهو المروي في أخبارنا ، وبه قال الشافعي .

وقال أبو حنيفة : ومتى كان القاذف عبداً أو أمة ، فعليه أربعون جلدة .

وقد روى أصحابنا أن الحد ثمانون في الحر والعبد ، فظاهر العموم يقتضي ذلك ، وبه قال عمر بن عبد العزيز والقاسم بن عبد الرحمن .

فصل : قوله «والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الاأنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين * والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين * ويدرأعنها العذاب أن تشهدأربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين » الاية : ٦ ـ ٩ .

معنى الاية :ان من قذف محصنة حرة مسلمة بفاحشة من الزنا ولم يأت بأربعة شهداء جلد ثمانين ، ومن رمى زوجته بالزنا تلاعنا .

والملاعنة أن يبدأ الرجل فيحلف بالله الذي لا اله الا هو أنه صادق فيما رماها به، ويحتاج أن يقول: أشهد بالله أني صادق، لان شهادته أربع مرات يقوم مقام أربعة شهود في دفع الحد عنه ، ثم تشهد الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به .

واذا جحدت المرأة ذلك شهدت أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين فيما رماها به ، وتشهد الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ، ثم يفرق بينهما ولا يجتمعان أبداً ، كما فرق رسول الله ﷺ من هلال بن أمية وزوجته ، وقضى أن الولد لها ولا يدعى لاب ، ولا ترمى هي ولا يرمى ولدها .

وقال ابن عباس : متى لم تحلف رجمت ، وان لم يكن دخل بها جلدت الحد ولا ترجم اذا لم تلتعن ، وعند أصحابنا أنه لا لعان بينهما ما لم يدخل بها ، فمتى رماها قبل الدخول وجب عليه حد القاذف ولا لعان بينهما .

وفرقة اللعان تحصل عندنا بتمام اللعان من غير حكم الحاكم ، وتمام اللعان انما يكون اذا تلاعن الرجل والمرأة معاً. وقال قوم: تحصل بلعان الزوج الفرقة. وقال أهل العراق : لا تقع الفرقة الا بتفريق الحاكم بينهما .

ومتى رجمت عند النكول ورثها الزوج ، لان زناها لا يوجب التفرقة بينهما، واذا جلدت اذا لم يكن دخل بها فهما على الزوجية ، وذلك يدل على أن الفرقة انما يقع بلعان الرجل والمرأة معاً .

قال الحسن: وان تمت الملاعنة بينهما ولم يكن دخل بها، فلها نصف الصداق لان الفرقة جاءت من قبله ، واذا تم اللعان اعتدت عدة المطلقة عند جميع الفقهاء ولا يتزوجها أبداً بلا خلاف .

فصل : قوله « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة » الاية : ١٩ .

أخبر الله تعالى «أن الذين يحبون» ويؤثرون « أن تشيع الفاحشة » أي: تظهر الافعال القبيحة « في الذين آمنوا لهم عذاب أليم » أي : موجع جزاءاً على ذلك « في الدنيا » باقامة الحد عليه « و » في « الاخرة » بعذاب النار «والله يعلم» ذلك وغيره « وأنتم لاتعلمون » ان الله تعالى يعلم ذلك .

وفي الاية دلالة على أن العزم على الفسق فسق ، لانه اذا ألزمه الوعيد على محبته بشياع الفاحشة من غيره ، فاذا أحبها من نفسه وأرادها كان أعظم .

فصل: قوله «ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم » الاية : ٢٣ .

قال قوم : هي في عائشة خاصة لما رأوها نزلت فيها توهموا أن الوعيد خاص في من قذفها .

وهذا ليس بصحيح ، وذلك أن عند أكثر العلماء المحصلين أن الاية اذا نزلت على سبب لايجب قصرها عليه ، كآية اللعان وآية القذف ، وآية الظهار وغير ذلك ومتى حملت على العموم دخل من قذف عائشة في جملتها .

فصل: قوله «الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات » الاية : ٢٦ .

قيل في معنى الاية أربعة أقوال :

أحدها: قال ابن عباس ومجاهد والحسن والضحاك : معناه الخبيثات من الكلم للخبيثين من الرجال ، أي : صادرة منهم .

الثاني : في رواية أخرى عن ابن عباس : أن الخبيثات من السيئات للخبيثين من الرجال .

الثالث : قال ابن زيد : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، كأنه ذهب الى اجتماعهما للمشاكلة بينهما .

الرابع: قال الجبائي: الخبيثات من النساء للزواني الخبيثين من الرجال الزناة على التعبد الاول .

والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات عكس ذلك على السواء في الاقوال الاربعة.

والخبيث الفاسد الذي يتزائد في الفساد تزائد النامي في النبات ، ونقيضه الطيب ، والحرام كله خبيث ، والحلال كله طيب .

فصل : قوله « يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » الاية : ٢٧.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين ينهاهم أن يدخلوا بيوتاً لايملكونها وهي ملك غيرهم الابعد أن يستأنسوا . ومعناه يستأذنوا .

وقال مجاهد: حتى تستأنسوا بالتنحنح والكلام الذي يقوم مقام الاستئذان .

وقوله « فان لم تجدوا فيها أحداً » يعني ان لم تعلموا في البيوت أحداً يأذن لكم في الدخول « فلاتدخلوها » لانه ربما كان فيها مالايجوز أن تطلعوا عليه، الا بعد أن يأذن أربابها في ذلك .

وقوله «وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا» أي: لاتدخلوا اذا قيل لكم لاتدخلوا.

ثم قال « ليس عليكم جناح » أي : حرج واثم « أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم » أي : منافع .

وقيل : في معنى هذه البيوت أربعة أقوال :

أحدها : قال قتادة : هي الخانات ، فان فيها استمتاعاً لكم من جهة نزولها ، لا من جهة الاثاث الذي لكم فيها .

وقال محمد بن الحنفية : هي الخانات التي تكون في الطريق مسبلة. ومعنى « غير مسكونة » أي : لاساكن لها معروف .

وقال عطاء هي الخرابات للغائط والبول .

وقال قوم : هو جميع ذلك حمله على عمومه ، لان الاستئذان انما جاء لئلا يهجم على مالايجوز من العورة ، وهو الاقوى لانه أعم فائدة .

فصل: قوله «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الاماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن الالبعولتهن أو آبائهن » الاية: ٣١ .

لما أمر الله الرجال المؤمنين في الاية الاولى بغض أبصارهم من عورات النساء وأمرهم بحفظ فروجهم عن ارتكاب الحرام ، أمر المؤمنات في هذه الاية أيضاً من النساء بغض أبصارهن عن عورات الرجال ومالايحل النظر اليه، وأمرهن أن يحفظن فروجهن الامن أزواجهن على ماأباحه الله لهم، ويحفظن أيضاً اظهارها بحيث ينظر اليها ، ونهى[1] عن ابداء زينتهن .

« الاماظهر منها » قال ابن عباس : يعني القرطين والقلادة والسوار والخلخال والمعضد والمنحر، فانه يجوز لها اظهار ذلك لغير الزوج. فأما الشعر فلايجوز أن تبديه الالزوجها .

فالزينة المنهي عن ابدائها زينتان : فالظاهرة الثياب ، والخفية الخلخالان والقرطان والسواران ، في قول ابن مسعود .

وقال ابراهيم : الظاهر الذي أبيح الثياب فقط ، وعن ابن عباس في رواية أخرى أن الذي أبيح الكحل والخاتم والحذاء والخضاب في الكف . وقال قتادة الكحل[2] والسوار والخاتم. وقال عطاء : الكفان والوجه. وقال الحسن : الوجه والثياب .

وقال قوم : كل ما ليس بعورة يجوز اظهاره ، وأجمعوا أن الوجه والكفين

---

(١) في التبيان : ونهاهن .

(٢) في التبيان : الحذاء .

ليسا من العورة ، لجواز اظهاره في الصلاة ، والاحوط قول ابن مسعود والحسن وبعده قول ابراهيم .

وقوله«وليضربن بخمرهن»فالخمار غطاء رأس المرأة المنسبل على جبينها وجمعه خمر .

ثم كرر النهي عن اظهار الزينة تأكيداً وتغليظاً ، واستثنى من ذلك الازواج وآباءالنساء وان علواوآباء الازواج وأبناءهم أو اخوانهن أو بني أخوانهن أوبني أخواتهن أو نسائهن يعني نساء المؤمنين دون نساء الكافرين ، الا اذا كانت أمة وهو معنى قوله «أو ما ملكت أيمانهن»أي : من الاماء في قول ابن جريح ، فانه لابأس باظهار الزينة لهؤلاء المذكورين لانهم محارم .

وقوله«أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال» قال ابن عباس : هو الذي يتبعك ليصيب من طعامك ولاحاجة له في النساء وهو الابله. وقال قوم: هو الطفل الذي لا ارب له في النساء لصغره .

وقيل : هو العنين ، ذكره عكرمة والشعبي . وقيل : هو المجبوب .

وقيل : هو الشيخ الهم . والاربة الحاجة ، وهي فعلة من الارب كالمشية من المشي ، والجلسة من الجلوس ، وقد أربت لكذا آرب له أرباً اذا احتجت اليه .

فصل: قوله«وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم واماائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم»الاية : ٣٢ .

هذا خطاب من الله تعالى للمكلفين من الرجال يأمرهم الله تعالى أن يزوجوا الايامى اللواتي لهم عليهن ولاية، وأن يزوجوا الصالحين المستورين الذين يفعلون الطاعات من المماليك والاماء اذا كانوا ملكاً لهم .

والايامى جمع أيم ، وهي المرأة التي لا زوج لها، سواء كانت بكراً أو ثيباً

ويقال للرجل الذي لا زوجة له : أيم أيضاً . ووزن أيم فعيل بمعنى فعيلة فجمعت كجمع يتيمة ويتامى ، وقال جميل :

أحب الايامى اذ بثينة أيم وأحببت لما أن غنيت الغوانيا[1]

وقال قوم: الايم التي مات زوجها، ومنه قوله ﷺ «والايم أحق بنفسها» يعني الثيب ومعنى «أنكحوا» زوجوا ، يقال : نكح اذا تزوج ، وأنكح غيره اذا زوجه .

وقيل : ان الامر بتزويج الايامى اذا أردن ذلك أمر فرض ، والامر بتزويج الامة اذا أرادت ندب ، وكذلك العبد .

وقوله «ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم» معناه: لاتمتنعوا من انكاح المرأة أوالرجل اذا كانا صالحين لاجل فقرهما وقلة ذات أيديهم، فانهم وان كانوا كذلك ، فان الله يغنيهم من فضله ، فان الله واسع المقدور كثير الفضل عليم بأحوالهم .

وقال قوم معناه: ان يكونوا فقراء الى النكاح يغنهم الله بذلك عن الحرام، فعلى الاول تكون الاية خاصة في الاحرار ، وعلى الثاني عامة في الاحرار والمماليك.

وقوله «وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله» أمر من الله تعالى لمن لا يجد السبيل الى أن يتزوج بأن لا يجد طولا له من المهر ، ولا يقدر على القيام بما يلزمه[2] من النفقة والكسوة أن يتعفف ولا يدخل في الفاحشة ويصبر حتى يغنيه الله من فضله .

وقوله «والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم» معناه: ان الانسان اذا كانت له أمة أو عبد يطلب المكاتبة ، وهي أن يقوم على نفسه وينجم عليه ليؤدي قيمة نفسه الى سيده ، فانه يستحب للسيد أن يجيبه الى ذلك ويساعده عليه ، لدلالة

---

(١) ديوان جميل ص٤٨ .

(٢) فى التبيان : يلزمها .

قوله«فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً»وهذا أمر ترغيب، بلاخلاف عند الفقهاء. وقال عمرو بن دينار وعطاء والطبري : هو واجب عليه اذا طلب .

وصورة المكاتبة أن يقول الانسان لعبده أو أمته : قد كاتبتك على أن تعطيني كذا وكذا ديناراً أو درهما في نجوم معلومة ، على أنك اذا أديت ذلك فأنت حر فيرضى العبد بذلك ويكاتبه عليه، ويشهد بذلك على نفسه . فمتى أدى مال الكتابة في النجوم التي سماها صار حراً ، وان عجز عن أداء ذلك كان لمولاه أن يرده في الرق .

وعندنا ينعتق منه بحساب ما أدى ، ويبقى مملوكاً بحساب ما بقي عليه اذا كانت الكتابة مطلقة، فان كانت مشروطة فانه متى عجز رده في الرق ، فمتى عجز جاز له رده في الرق .

والخير الذي يعلم منه هو القوة على التكسب وتحصيل مايؤدي به مال الكتابة.

واختلفوا في الامر بالكتابة مع طلب المملوك لذلك وعلم مولاه أن فيه خيراً فقال عطاء : هو على الفرض .

وقال مالك والثوري وابن زيد : هو على الندب ، وهو مذهبنا .

فصل : قوله«الله نور السماوات والارض»الاية : ٣٥ .

قيل : في معناه قولان :

أحدهما : الله هادي أهل السماوات والارض ، ذكره ابن عباس في رواية وأنس .

والثاني : أنه منور السماوات والارض بنجومها وشمسها وقمرها .

ضرب الله المثل لنوره الذي هو هدايته في قلوب المؤمنين بالمشكاة ، وهي الكوة التي لا منفذ لها اذا كان فيها مصباح وهو السراج .

فقال«توقد من شجرة مباركة زيتونة»أي: يشتعل من دهن شجرة مباركة وهي

الزيتونة[الشامية]قيل : لان زيتون الشام أبرك. وقيل : وصفه بالبركة لان الزيتون يورق من أوله الى آخره .

وقوله«لا شرقية ولا غربية»قال ابن عباس في رواية : معناه لاشرقية بشروق الشمس عليها فقط ، ولا غربية بغروبها عليها فقط ، بل هي شرقية وغربية يأخذ حظها من الامرين ، فهو أجود لزيتها . وقيل : معناه انها وسط الشجر[1]. وقال قتادة : هي ضاحية للشمس .

فصل : قوله«يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار»الاية : ٣٧ .

أي:يخافون أهوال يوم تتقلب فيه القلوب من عظم أهواله والابصار من شدة مايعاينه.

وقيل : تتقلب القلوب ببلوغها الحناجر ، وتتقلب الابصار بالعمى بعد البصر.

وقال البلخي : معناه: ان القلوب تنتقل من الشك التي كانت عليه الى اليقين والايمان ، وأن الابصار تتقلب عما كانت عليه لانها تشاهد من أهوال ذلك اليوم ما لم تعرفه ، ومثله قوله«لقد كنت في غفلة من هذا»[2] الاية .

ثم أخبر تعالى بأنه يرزق من يشاء بغير حساب أي: من كثرته لايحسب، ويجوز أن يكون المراد بغير مجازاة على عمل ، بل تفضل منه تعالى ، والثواب لايكون الا بحساب ، والتفضل يكون بغير حساب .

وقوله «والله سريع الحساب» أي : سريع المجازاة ، لان كل ما هو آت قريب سريع .

وقال الجبائي : لانه يحاسب الجميع في وقت واحد ، وذلك يدل على أنه لايتكلم بآلة وأنه ليس بجسم، لانه لو كان متكلماً بآلة لما يأتي ذلك الا في أزمان كثيرة ثم شبه تعالى أفعال الكافر بمثال آخر ، فقال«أو كظلمات في بحر لجي» .

---

(١) في التبيان : البحر .

(٢) سورة ق : ٢٢ .

فصل : قوله«وينزل من السماء من جبال فيها من برد»الاية : ٤٣ .

معنى«من»الاولى لابتداء الغاية ، لان السماء ابتداء الانزال بالمطر ، والثانية للتبعيض ، لان البرد بعض الجبال التي في السماء ، والثالثة لتبيين الجنس ، لان جنس الجبال جنس البرد .

وقيل : في السماء جبال برد مخلوقة في السماء .

وقال البلخي: يجوز أن يكون البرد يجتمع في السحاب كالجبال ثم ينزل منها.

فصل: قوله«والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء ان الله على كل شيء قدير» الاية : ٤٥ .

أخبر الله تعالى أنه خالق كل شيء يدب من الحيوان من ماء ثم فصله ، فقال «منهم من يمشي على بطنه»كالحياة والسمك والدود وغير ذلك .

«ومنهم من يمشي على رجلين»كالطير وابن آدم وغير ذلك«ومنهم من يمشي على أربع»كالبهائم والسباع وغير ذلك ، ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع لانه كالذي يمشي على أربع في مرأى العين، فترك ذكره لان العبرة تكفي بذكر الاربع.

وقال البلخي : لان عند الفلاسة أن مازاد على الاربع لايعتمد عليها ، واعتماده على أربع فقط . وانما قال « من ماء » لان أصل الخلق من ماء ، ثم قلب الى النار فخلق الجن منها ، والى الريح فخلقت الملائكة منها ، ثم الى الطين فخلق آدم عليه السلام منه .

ودليل أن أصل الحيوان كله الماء قوله « وجعلنا من الماء كل شيء حي»[1] وانما قال « منهم » تغليباً لما يعقل على مالايعقل . وقيل : « من ماء » أي من نطفة .

فصل: قوله« ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد

---

(١) سورة الانبياء : ٣٠ .

ذلك وماأولئك بالمؤمنين * واذادعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون * وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله » الايات : ٤٧ ـ ٥٠ .

فهؤلاء المنافقون دعوا الى رسول الله ليحكم الله بينهم في شيء اختلفوا فيه فامتنعوا ظلماً لانفسهم وكفراً بنبيهم ، ففضحهم الله بما أظهر من جهلهم ونفاقهم.

وقيل : انها نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومة فدعاه اليهودي الى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق الى كعب الاشرف .

وقيل : انها نزلت في علي عليه السلام ورجل من بني أمية ، دعاه علي الى رسول الله ودعاه الاموي الى اليهودي ، وكان بينهما منازعة في ماء وأرض .

وحكى البلخي أنه كانت بين علي وعثمان منازعة في أرض اشتراها من علي فخرجت فيها أحجار وأراد ردها بالعيب ، فلم يأخذها ، فقال : بيني وبينك رسول الله ، فقال الحكم بن أبي العاص : ان حاكمته الى ابن عمه حكم له ، فلاتحاكمه اليه ، فأنزل الله الاية .

فصل: قوله «وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً » الاية : ٥٥ .

استدل الجبائي ومن تابعه على امامة الخلفاء الاربعة بهذه الاية ، بأن قال : الاستخلاف المذكور في الاية لم يكن الالهؤلاء ، لان التمكين المذكور في الاية انما حصل في أيام أبي بكر وعمر ، لان الفتوح كانت في أيامهم ، فأبو بكر فتح بلاد العرب وطرفاً من بلاد العجم ، وعمر فتح مدائن كسرى الى حد خراسان وسجستان وغيرها .

واذا كان التمكين والاستخلاف هاهنا ليس هو الالهؤلاء الائمة وأصحابهم،

علمنا أنهم محقون .

والكلام على ذلك من وجوه :

أحدها: أن الاستخلاف هاهنا ليس هو الامارة والخلافة ، بل المعنى هو ابقاؤهم في أثر من مضى من القرون ، وجعلهم عوضاً منهم وخلفاً ، كما قال « وهو الذي جعلكم خلائف في الارض »[١] وقال « عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض »[٢] وقال «وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء »[٣].

واذا ثبت ذلك فالاستخلاف والتمكين الذي ذكره الله في الاية كانا في أيام النبي عليه السلام حين قمع الله أعداءه وأعلى كلمته ونشر ولايته وأظهر دعوته وأكمل دينه ونعوذ بالله أن نقول: لم يمكن الله دينه لنبيه في حياته حتى تلافى ذلك متلاف بعده.

وليس كل التمكين كثرة الفتوح والغلبة على البلدان ، لان ذلك يوجب أن دين الله لم يتمكن بعد الى يومنا ، هذا لعلمنا ببقاء ممالك للكفر كثيرة لم يفتتحها بعد المسلمون ، ويلزم على ذلك امامة معاوية وبني أمية ، لانهم تمكنوا أكثر من تمكن أبي بكر وعمر ، وفتحوا بلاداً لم يفتحوها .

ولو سلمنا أن المراد بالاستخلاف الامامة ، للزم أن يكون منصوصاً عليهم ، وذلك ليس بمذهب أكثر مخالفينا ، وان استدلوا بذلك على صحة امامتهم ، احتاجوا أن يدلوا على ثبوت امامتهم بغير الاية ، وأنهم خلفاء للرسول حتى تتناولهم الاية.

فان قالوا : المفسرون ذكروا ذلك .

قلنا : لم يذكر جميع المفسرين ذلك ، فان مجاهداً قال: هم أمة محمد عليه السلام

---

(١) سورة فاطر : ٣٩ .

(٢) سورة الاعراف : ١٢٨ .

(٣) سورة الانعام : ١٣٣ .

وعن ابن عباس وغيره قريب من ذلك .

وقال أهل البيت عليهم السلام : ان المراد بذلك المهدي عليه السلام ، لانه يظهر بعد الخوف ويتمكن بعد أن كان مغلوباً ، وليس في ذلك اجماع المفسرين .

وقد استوفينا مايتعلق بالاية في كتاب الامامة ، فلانطول بذكره هاهنا .

فصل : قوله « ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات » الاية : ٥٨ .

يقول الله تعالى : مروا عبيدكم وامائكم أن يستأذنوا عليكم اذا أرادوا الدخول الى مواضع خلواتكم .

وقال ابن عباس وأبو عبدالرحمن : الاية في النساء والرجال من العبيد . وقال ابن عمر : هي في الرجال خاصة .

وقال الجبائي : الاستئذان واجب على كل بالغ في كل حال ، ويجب على الاطفال في هذه الاوقات الثلاثة بظاهر هذه الاية .

ثم قال « والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحاً » يعني المسنات من النساء اللاتي قعدن عن التزويج ، لانه لايرغب في تزويجهن . وقيل : هن اللاتي ارتفع حيضهن وقعدن عن ذلك لايطمعن في النكاح ، أي : لايطمعن في جماعهن لكبرهم .

« فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن » وقيل : هو القناع الذي فوق الخمار ، وهو الجلباب والرداء . وقوله « غير متبرجات بزينة » أي : لايقصدن بوضع الجلباب اظهار محاسنها وماينبغي أن تستره .

فصل : قوله « ليس على الاعمى حرج ولاعلى الاعرج حرج ولاعلى المريض حرج ولاعلى أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أوبيوت آبائكم أوبيوت أمهاتكم » الاية : ٦١ .

قال الجبائي : الاية منسوخة بقوله «ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه»[١] وبقول النبي عليه السلام «لايحل مال امرء مسلم الاعن طيب نفس منه» والذي روي عن أهل البيت عليهم السلام أنه لابأس بالاكل لهؤلاء من بيوت من ذكره[٢] الله بغير اذنهم قدر حاجتهم من غير اسراف .

وقوله « ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم » قال الفراء : لما نزل قوله «لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة»[٣] ترك الناس مؤاكلة الصغير والكبير ممن أذن الله في الاكل معه ، فقال : وليس عليكم في أنفسكم وفي عيالكم أن تأكلوا منهم ومعهم ـ الى قوله «أوصديقكم» أي : بيوت صديقكم « أوماملكتم مفاتحه» أي : بيوت عبيدكم وأموالهم .

وقال ابن عباس : معنى «ماملكتم مفاتحه» هو الوكيل ومن جرى مجراه .

وقوله « فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم » قال الحسن : معناه ليسلم بعضهم على بعض .

وقال ابراهيم : اذا دخلتم بيتاً ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

وقال قوم : أراد بالبيوت المساجد .

والاولى حمله على عمومه ، فأما رد السلام فهو واجب على المسلمين .

وقال الحسن : يجب الرد على المعاهد ولايقول ورحمة الله .

فصل : قوله « لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة »الاية:٦٣.

---

(١) سورة الاحزاب : ٥٣ .

(٢) في التبيان : ذكرهم .

(٣) سورة النساء : ٢٨ .

قيل: في معناه قولان :أحدهما ـ احذروا دعاءه عليكم اذا أسخطتموه، فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره ، ذكره ابن عباس .

وقال مجاهد وقتادة : ادعوه بالخضوع والتعظيم وقولوا يارسول الله يانبي الله ولاتقولوا يامحمد ،كما يقول بعضكم لبعض .

وقوله « قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً » معناه : انه اذا تسلل واحد منكم من عند النبي ﷺ فان الله عالم به . وقال الحسن : معنى «لواذاً» فرارا من الجهاد .

ثم حذرهم من مخالفة رسوله بقوله « فليحذر الذين يخالفون عن أمره» وانما دخلت «عن» في قوله «عن أمره» لان المعنى يعرضون عن أمره .

وفي ذلك دلالة على أن أوامر النبي ﷺ على الايجاب ، لانها لو لم تكن كذلك لما حذر من مخالفته ، وليس المخالفة هو أن يفعل خلاف ماأمره ، لان ذلك ضرب من المخالفة ، وقد يكون مخالفاً بأن لايفعل ماأمره به ، ولوكان الامر على الندب لجاز تركه وفعل خلافه .

وقوله «ان تصيبهم فتنة» أي : بلية تظهر مافي قلوبهم من النفاق . والفتنة شدة في الدين تخرج ما في الضمير.

سورة الفرقان

فصل : قوله « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده » الاية : ١ .

معنى « تبارك » تقدس وجل بما لم يزل عليه من الصفات ، ولايزال كذلك ولايشاركه فيها غيره . وأصله من بروك الطير على الماء ، فكأنه قال : ثبت فيما لم يزل ولايزال الذي نزل الفرقان .

وقال ابن عباس : تبارك تفاعل من البركة ، فكأنه قال : ثبت بكل بركة أوحل

بكل بركة .

وقال الحسن : معناه الذي تجيء البركة من قبله ، والبركة الخير الكثير . والفرقان هو القرآن، يسمى فرقاناً لانه يفرق بين الصواب والخطأ والحق والباطل بما فيه .

فصل : قوله « ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا » الاية : ١٨ .

أي : هلكى فاسدين . والبور الفاسد ، يقال : بارت السلعة تبور بوراً اذا بقيت لاتشترى بقاء الفاسد الذي لايراد .

والبائر الباقي على هذه الصفة . والبور مصدر كالزور لايثنى ولايجمع ولايؤنث. وقيل : هو جمع بائر ، قال ابن الزبعري :

يارسول الله المليك ان لساني راتق مافتقت اذ أنا بور

ونعوذ بالله من بوار الاثم .

فصل : قوله « ويقولون حجراً محجوراً * وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً * أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا » الايات : ٢٢ - ٢٤ .

أي : حراماً محرماً ، وأصل الحجر الضيق ، يقال : حجر عليه يحجر حجراً أي ضيق ، والحجر الحرام لضيقه بالنهي عنه ، قال المتلمس :

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام ألا تلك الدهاريس

ومنه حجر القاضي عليه يحجر ، وحجر فلان على أهله ، ومنه حجر الكعبة لانه لايدخل اليه في الطواف ، وانما يطاف من ورائه لتضيقه بالنهي عنه . وقوله « لذي حجر»[1] أي : لذي عقل لما فيه من التضييق في القبيح .

---

(١) سورة الفجر : ٥ .

ومعنى « وقدمنا » قال البلخي : قدم أحكامنا بذلك . وقال مجاهد : معنى «قدمنا» عمدنا .

والهباء غبار كالشعاع لايمكن القبض عليه . وقال الحسن ومجاهد وعكرمة: هو غبار يدخل الكوة في شعاع الشمس .

وقوله « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا » معناه : ان الذين يحصلون في الجنة مثابين منعمين في ذلك اليوم مستقرهم خير من مستقر الكفار في الدنيا والاخرة .

وقيل : انما قال ذلك على وجه المظاهرة ، بمعنى أنه لو كان لهم مستقر خير ومنفعة لكان هذا خيراً منه .

«وأحسن مقيلا»معناه : أحسن موضع قائله وان لم يكن في الجنة نوم الا أنه من تمهيده يصلح للنوم ، لانهم خوطبوا بما يعرفون ،كما قال«ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً»[1] على ما اعتادوه .

وقال البلخي: معنى«خير مستقراً وأحسن مقيلا»أنه خير في نفسه وحسن في نفسه لا أنه أفضل من غيره ،كما قال «وهو أهون عليه»[2]أي : هو هين عليه .

فصل : قوله«وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين»الاية : ٣١ .

قيل : فيه قولان :

أحدهما : قال ابن عباس: جعل لمحمد ﷺ عدواً من المجرمين،كما جعل لمن قبله .

والثاني: كما جعلنا النبي يعادي المجرم مدحاله وتعظيماً،كذلك جعلنا المجرم يعادي النبي ذماً له وتحقيراً . والمعنى ان الله تعالى حكم بأنه على هذه الصفة .

---

(١) سورة مريم : ٦٢ .

(٢) سورة الروم : ٢٧ .

وقيل: جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ببياننا أنهم أعداء، وهو كما يقال جعله لصاً أو خائناً .

وقوله «ورتلناه ترتيلا» فالترتيل التبيين في تثبت وترسل .

فصل: قوله «وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً» الاية : ٣٨.

معناه : وأهلكنا هؤلاء ايضاً ، يقال : هم القوم الذين بعث الله اليهم هوداً وثمود هم الذين بعث الله اليهم صالحاً.

وأصحاب الرس قال عكرمة: الرس هو بئر رسوا فيها نبيهم، أي: ألقوه فيها.

وقال قتادة : هي قرية باليمامة ، يقال لها : فلج، وقال أبو عبيد : هو المعدن قال الشاعر :

سبقت الى فرط باهل تنابلة يحفرون الرساسا

أي : المعادن . وقيل : الرس البئر التي لم تطو بحجارة ولا غيرها . وقيل أصحاب الرس أصحاب ياسين بانطاكية الشام ، ذكره النقاش .

وقال الكلبي : هم قوم بعث الله اليهم نبياً فأكلوه وهم أول من عمل نساؤهم السحر ، وعن أهل البيت انهم قوم كانت نساؤهم سحاقات .

فصل : قوله «ألم تر الى ربك كيف مد الظل» الاية : ٤٥ .

قال أبو عبيدة: الظل بالغداة والفيء بالعشي، لانه يرجع بعد زوال الشمس.

فصل : قوله «وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً» الاية : ٤٧ .

أي : جعل نومكم ممتداً طويلا تكثر به راحتكم وهدوؤكم .

وقيل : انه أراد جعله قاطعاً للاعمال التي يتصرف فيها. والسبات قطع العمل ومنه يوم السبت وهو يوم ينقطع العمل .

فصل : قوله «وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج» الاية : ٥٣ .

معناه : أرسلهما في مجاريهما كما ترسل الخيل في المرج فهما يلتقيان، فلا ينبغي الملح على العذب ، ولا العذب على الملح بقدرة الله .

والعذب الفرات وهو الشديد العذوبة .

والملح الاجاج يعني : المر .

وقوله«وجعل بينهما برزخاً»يعني حاجزاً يمنع كل واحد منهما من تغيير الاخر.

فصل : قوله«واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»الاية : ٦٣ .

واذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهونه أو يثقل عليهم قالوا في جوابه«سلاماً» أي : سداداً من القول ، ذكره مجاهد .

وقيل : معناه انهم قالوا قولا يسلمون من المعصية لله .

فصل : قوله«والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً» الاية : ٦٧ .

قال ابن عباس : الاسراف الانفاق في معصية الله قل أوكثر . والاقتار منع حق الله من المال .

وقال ابراهيم: السرف مجاوزة الحد في النفقة. والاقتار التقصير عما لابد منه.

والقوام بفتح القاف العدل وبكسرها السداد .

سورة الشعراء

فصل : قوله«لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين»الاية : ٣ .

قال ابن عباس وقتادة : لعلك قاتل نفسك .

وقال ابن زيد : مخرج نفسك من جسدك . والبخع القتل، قال ذو الرمة :

ألا أيها الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادير

فصل : قوله«وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين * قال فعلتها اذاً

وأنا من الضالين»الاية : ٩ ـ ٢٠ .

قيل : في معناه قولان :

أحدهما ـ قال ابن زيد : أنت من الجاحدين لنعمتنا .

الثاني : قال السدي : أرادكنت على ديننا هذا الذي تعيبه كافراً بالله . وقال الحسن : وأنت من الكافرين بي انى الهك . وقيل : من الكافرين لحق تربيتي .

فقال له موسى في الجواب عن ذلك«فعلتها»يعني قتل القبطي«وأنا من الضالين» قال قوم : يعني من الضالين أي الجاهلين بأنها تبلغ القتل .

وقال الجبائي : وأنا من الضالين عن العلم بأن ذلك يؤدي الى قتله .

وقال قوم: معناه وأنا من الضالين عن طريق الصواب لاني ما تعمدته، وانما وقع مني خطأ ،كما يرمي انسان طائراً فيصيب انساناً .

فصل : قوله«وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل»الاية : ٢٢ .

قيل : في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها : ان اتخاذك بني اسرائيل عبيداً قد أحبط ذلك وان كانت نعمة علي .

الثاني : انك لما ظلمت بني اسرائيل ولم تظلمني اعتددت بها نعمة علي .

الثالث : انه لا يوثق بأنها نعمة منك مع ظلمك بني اسرائيل في تعبيدهم وفي كل ذلك دلالة وحجة عليه وتقريع له .

فصل : قوله«فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين»الاية : ٣٢ ـ ٣٣ .

وصفه تعالى للعصى ها هنا بأنه صار مثل الثعبان لا ينافي قوله «كأنها جان» من وجوه :

أحدها : أنه تعالى لم يقل فاذا هي جان كما وصفها بأنها ثعبان ، وانما يشبهها

بالجان ، ولا يجوز أن تكون مثله على كل حال .

والثاني : أنه وصفها بالثعبان في عظمها، وبالجان في سرعة حركتها ، فكأنها مع كبرها في صفة الجان بسرعة الحركة ، وذلك أبلغ في الاعجاز .

وثالثها : أنه أراد أنها صارت مثل الجان في أول حالها ، ثم تدرجت الى أن صارت مثل الثعبان ، وذلك أبلغ أيضاً في الاعجاز .

ومعنى«ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين»بياضاً نورياً ، كالشمس في اشراقها للناظرين اليها من غير برص .

وقوله«أرجه وأخاه»أي : أخرهما ، فالارجاء التأخير تقول : أرجأت الامر أرجأنه ارجاءاً ، وهم المرجئة لانهم قالوا بتأخير حكم الفساق في لزوم العقاب .

فصل : قوله«وأزلفنا ثم الاخرين»الاية : ٦٤ .

قال ابن عباس وقتادة : معناه قربنا الى البحر فرعون ، ومنه قوله«وأزلفت الجنة للمتقين»[1]أي : قربت وأدنيت ، قال العجاج :

ناج طواه الاين مما وجفى طي الليالي زلفاً فزلفاً

أي : منزلة تقرب من منزله ، ومنه قيل : ليلة المزدلفة .

وقال أبو عبيدة : معنى«أزلفنا»جمعنا ، وليلة مزدلفة ليلة جمع .

والاخر بفتح الخاء الباقي[2] من قسمي أحد، كقولك نجى الله أحدهما وغرق الاخر. وبكسر الخاء هو الثاني من قسمي الاول، كقولك نجى الاول وهلك الاخر.

فصل : قوله«قالوا نعبد أصناماً»الاية : ٧١ .

العبادة خضوع بالقلب في أعلى مراتب الخضوع ، ولاتستحق الا بأصول النعم ، وبما كان في أعلى المراتب من الانسان .

---

(١) سورة الشعراء : ٩٠ .

(٢) كذا وفي التبيان : الثاني .

فصل: قوله«والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين»الاية : ٨١ – ٨٢ .

هذا انقطاع منه عليه السلام الى الله تعالى دون أن يكون له خطيئة يحتاج أن يغفر له يوم القيامة لان عندنا أن القبائح كلها لاتقع منهم عليهم السلام، وعند المعتزلة الصغائر التي تقع،منهم تقع محبطة ، فليس شيء منها ليس بمغفور يحتاج أن يغفر لهم يوم القيامة .

وقيل : ان الطمع ها هنا بمعنى العلم دون الرجاء .

قوله«واغفر لابي انه كان من الضالين» الاية : ٨٦ .

عند أصحابنا أن أباه الذي استغفر له كان جده لامه ، لان أبا النبي عليه السلام الى آدم كلهم مؤمنون بأدلة ليس هذا موضع ذكر الدلالة عليه .

فصل : قوله«أتبنون بكل ريع آية»الاية : ١٢٨ .

الريع الارتفاع من الارض ، وجمعه أرياع وريعة ، قال ذو الرمة :

طراق الخزامي مشرف فوق ريعة بذي ليلة في ريشه يترقرق

ومنه الريع في الطعام ، وهو ارتفاعه بالزيادة والنماء .

فصل : قوله « قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون » الاية : ١١١ .

حكى الله عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح حين دعاهم الله: أنصدقك فيما تدعونا اليه وقد اتبعك الارذلون . يعني السفلة وأوضاع الناس .

وقيل : انهم نسبوهم الى صناعات دنيئة ،كالحياكة والحجامة .

فصل : قوله « في جنات وعيون * وزروع ونخل » الاية : ١٤٧ – ١٤٨ .

زروع هو جمع زرع ، وهو نبات الحب الذي يبذر في الارض زرعه ، أي بذره في الارض كما يزرع البذر .

فالبذر المبدد في الارض على وجه مخصوص يسمى زرعاً .

«ونخل طلعها هضيم» فالهضيم اللطيف في جسمه ، ومنه هضيم الحشى أي: لطيفة الحشى ، ومنه هضمه حقه اذا نقصه .

فصل : قوله « وتذرون ماخلق لكم من أزواجكم » الاية : ١٦٦ .

الزوجة المرأة التي وقع عليها العقد بالنكاح الصحيح ،يقال : زوجة وزوج .

فصل : قوله « وزنوا بالقسطاس المستقيم » الاية : ١٨٢ .

الوزن وضع الشيء بازاء المعيار بما يظهر منزلته منه في ثقل المقدار ، اما بالزيادة أو النقصان أو التساوي .

والقسطاس العدل في التقويم على المقدار. وقال الحسن : القسطاس القبان. وقال غيره : الميزان .

فصل : قوله « نزل به الروح الامين » الاية : ١٩٣ .

هو جبرئيل عليه السلام في قول ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وابن جريح، ووصف بأنه روح من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه تحيى به الارواح بما ينزل من البركات .

الثاني : لان جسمه روحاني .

الثالث : أن الحياة أغلب عليه وكأنه روح كله .

فصل : قوله « وأنذر عشيرتك الاقربين » الاية : ٢١٤ .

قيل : انما خص في الذكر انذار عشيرته الاقربين ، لانه يبدأ بهم ثم الذين يلونهم ،كما قال تعالى « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار »[1] لان ذلك هو الذي يقتضيه حسن الترتيب .

وقيل : ذكر عشيرته الاقربين أي عرفهم انك لاتغني عنهم من الله شيئاً ان عصوه.

وقوله «الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين» أي تصرفك في المصلين

(١) سورة التوبة : ١٢٤ .

بالركوع والسجود والقيام والقعود ، في قول ابن عباس وقتادة ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن معناه أنه أخرجك من نبي الى نبي حتى أخرجك نبياً .

وقال قوم من أصحابنا : أنه أراد تقلبه من آدم الى أبيه عبد الله في ظهور الموحدين لم يكن فيهم من سجد لغير الله .

فصل : قوله « والشعراء يتبعهم الغاوون » الاية : ٢٢٤ .

قيل : ان الشعراء المراد به القصاص الذين يكذبون في قصصهم ويقولون مايخطر ببالهم .

وقوله « ألم ترأنهم في كل واد يهيمون » أي : هم لما يغلب عليهم من الهوى كالبهائم على وجهه في كل واد يعن له، وليس هذا من صفة من عليه السكينة والوقار، ومن هو موصوف بالحكم والعقل . والمعنى أنهم يخوضون في كل فن من الكلام والمعاني التي تعن لهم .

وقال ابن عباس وقتادة : في كل لغو يخوضون ويمدحون ويذمون بفنون [٢] بالباطل .

وقال الجبائي: معناه يصغون الى ما يلقيه الشيطان اليهم على جهة الوسوسة.

وقيل : انما صار الاغلب على الشعراء الغي باتباع الهوى ، لان الذي يثبت الشعر في الاكثر العشق ، ولذلك يفتتح بالتشبيب ، مع أن الشاعر يمدح للصلة ويهجو على جهة الحمية ، فيدعوه ذلك الى الكذب ووصف الانسان بماليس فيه من الفضائل والرذائل .

سورة النمل

فصل : قوله « ان الذين لايؤمنون بالاخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون » الاية : ٤ .

---

(١) في التبيان : يعنون .

قيل : في معناه قولان :

أحدهما ـ قال الحسن والجبائي : زينا لهم أعمالهم التي أمرناهم بها ، فهم يتحيرون بالذهاب عنها .

الثاني: زينا لهم أعمالهم بخلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية لهم الى فعل المعاصي ليجتنبوا المشتهى ، فهم يعمهون عن هذا ، أي : يتحيرون بالذهاب عنها .

فصل : قوله «واذ قال موسى لاهله اني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس » الاية : ٧ .

انما قال لامرأته «لعلي آتيكم» لانه أقامها مقام الجماعة في الانس بها والسكون اليها في الامكنة الموحشة .

فصل : قوله « وورث سليمان داود » الاية : ١٦ .

أخبر الله تعالى أن سليمان ورث داود، واختلفوا فيما ورث منه ، فقال أصحابنا: انه ورثه المال والعلم . وقال مخالفونا : انه ورثه العلم ، لقول النبي عليه السلام :نحن معاشر الانبياء لانورث .

وحقيقة الميراث هو انتقال تركة الماضي بموته الى الثاني من ذوي قرابته ، وحقيقة ذلك في الاعيان . فاذا قيل ذلك في العلم كان مجازاً ، وقولهم « العلماء ورثة الانبياء» مجاز لما قلناه، والخبر المروي عن النبي عليه السلام خبر واحد لايجوز أن يخص به عموم القرآن ولانسخه به .

فصل: قوله « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون* حتى اذا أتوا على وادالنمل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده » الاية :١٧ ـ ١٨ .

قال محمد بن كعب القرظي :كان عسكره مائة فرسخ ، خمسة وعشرون من الانس ، وخمسة وعشرون من الجن ، وخمسة وعشرون من الطيور ، وخمسة

وعشرون من الوحش .

وقوله «فهم يوزعون» قال ابن عباس : يمنع أولهم على آخرهم .

قيل كانت معرفة النملة لسليمان على سبيل المعجزة الخارقة للعادة له عليه السلام على غيره ، لانه لايمتنع أن تعرف البهيمة هذا الضرب، كما تعرف كثيراً مما فيه نفعها وضرها ، فمن معرفة النملة أنها تكسر الحبة بقطعتين لئلا تنبت، الا الكربزة فانها تكسرها بأربع قطع ،لانها تنبت اذا كسرت بقطعتين، فمن هداها هو الذي يهديها الى مايحطمها .

فصل : قوله « وتفقد الطير فقال مالي لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين » الاية : ٢٠ .

قيل : كان سبب تفقده الهدهد أنه احتاج اليه في سيره ليدله على الماء، لانه يقال : انه يرى الماء في بطن الارض كما نراه في القارورة ، ذكره ابن عباس .

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : تعذيب الهدهد نتف ريشه وطرحه في الشمس .

قال الجبائي :لم يكن الهدهد عارفاً بالله ، وانما أخبر بذلك كما يخبر مراهقوا صبياننا ، لانه لاتكليف الا على الملائكة والانس والجن .

وهذا الذي ذكره خلاف الظاهر ، لان الاحتجاج الذي حكاه عن الهدهد احتجاج عارف بالله ، وبما يجوز عليه ومالا يجوز ، لانه قال « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » .

ولايجوز أن يفرق بين الحق في السجود لله وبين الباطل الذي هو السجود للشمس، وأن أحدهما حسن والاخر قبيح، الا من كان عارفاً بما يجوز عليه ومالا يجوز وذلك ينافي حال الصبيان ، ثم نسب تزيين عملهم الى الشيطان ، وهذا قول من عرفه وعرف مايجوز عليه في عدله ، وأن القبيح لايجوز عليه .

ومعنى الخبء مايخرجه من العدم الى الوجود ، فهو بهذه المنزلة ، فخبأ السماء الامطار والرياح ، وخبأ الارض النبات والاشجار .

فصل: قوله «اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذايرجعون» الاية : ٢٨ .

قيل : في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره : فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم. وهذا لايحتاج اليه ، لان الكلام صحيح على ماهو عليه من الترتيب.

والمعنى : فألقه اليهم ثم تول عنهم قريباً فانظر ماذا يرجعـون ، على ماقال وهب بن منبه وغيره، فانهم قالوا: معنى «تول عنهم» استتر منهم .

ومعنى «كتاب كريم» قيل: انه كان مختوماً، فلذلك وصفه بأنه كريم .

وقيل: أرادت بكريم أنه من كريم يطيعه الانس والجن والطير .

فصل: قوله «قالت ياأيها الملاء أفتوني في أمري ماكنت» الاية: ٣٢ .

أي: أشيروا عليّ . والفتيا هي الحكم بماهو صواب بدلا من الخطأ، وهو الحكم بمايعمل عليه ، كمايسأل العامي العالم ليعمل على مايجيبه به .

ثم حكى أنهاقالت «اني مرسلة اليهم بهدية» فادبر الامر في ذلك لانظرماعند القوم فيمايلتمسون من خير أوشر .

وقيل: انها أرسلت بوصائف وغلمان على زي واحد، فقالت : ان ميز بينهم ورد الهدية اباءاً الا المتابعة على دينه فهو نبي، وان قبل الهدية فانماهومن الملوك وعندنا مايرضيه، ذكره ابن عباس .

فصل: قوله « قال ياأيها الملاء أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين* قـال عفريت من الجن أنـا آتيك بـه قبل أن تقوم من مكانـك واني عليه لقوي أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » الاية: ٣٨ ـ ٤٠ .

معنى عفريت مارد قوي داهية .

وقوله « أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك» أي: من مجلسك الذي تقضي فيه، في قول قتادة .

«واني عليه» يعني : على الاتيان به في هذه المدة .

«لقوي أمين» وفي الاية دلالة على بطلان قول من يقول القدرة مع الفعل ، لانه أخبر أنه قوي عليه ولم يجيء بعد بالعرش . وقال ابن عباس: أمين على فرج المرأة .

فقال عند ذلك « الذي عنده علم من الكتاب » قال ابن عباس وقتادة : هو رجل من الانس كان عنده علم اسم الله الاعظم الذي اذا دعى به أجاب .

وقيل: هو «يا الهنا واله كل شيء ياذا الجلال والاكرام» .

وقال الجبائي : الذي عنده علم من الكتاب سليمان عليه السلام قال ذلك للعفريت ليريه نعمة الله عليه. والمشهور عند المفسرين الاول .

وقوله «أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك» قيل: في معناه قولان :

أحدهما: قال مجاهد: ان ذلك على وجه المبالغة في السرعة .

الثاني: قال قتادة معناه قبل أن يرجع اليك مايراه طرفك .

وقيل: قبل أن يرجع اليك طرفك خاسئاً اذا فتحتها وأدمت فتحها .

وقال قوم : يجوز أن يكون الله أعدمه ثم أوجده في الثاني بلافصل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب .

سورة القصص

فصل: قوله «تلك آيات الكتاب المبين * نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون» الاية : ٢ ـ ٣ .

قيل : في معنى « المبين » قولان : أحدهما ـ قال قوم : المبين أنه من عند الله .

وقال قتادة: المبين عن الرشد من الغي ، وأضاف الايات الى الكتاب وهي الكتاب كماقال « انه لحق اليقين »[1] .

والتلاوة الاتيان بالثاني بعد الاول في القراءة تلاه يتلوه تلاوة فهو تال لمقدم والمقدم والتالي مثل الاول والثاني .

والنبأ الخبر عماهو عظيم الشأن .

والحق هو مايدعو اليه العقل، ونقيضه الباطل وهو ماصرف عنه الحق .

ثم وعد تعالى وحكم بأنه يريد أن يمن على الذين استضعفوا في الارض ، وهو عطف على قوله « يستضعف طائفة » ونحن نريد أن نمن .

وقال قتادة : يعني من بني اسرائيل « ونجعلهم أئمة » يقتدى بهم « ونجعلهم الوارثين » لمن تقدمهم من قوم فرعون .

وروى قوم من أصحابنا أن الاية نزلت في شأن المهدي عليه السلام وأن الله يمن عليه بعد أن استضعف، ويجعله اماماً ممكناً ويورثه ماكان في أيدي الظلمة .

فصل: قوله «وأوحينا الى أم موسى» الاية : ٧ .

أي : ألهمناها وقذفنا في قلبها وليس بوحي نبوة [2] ، في قول قتادة وغيره .

وقال الجبائي : كان الوحي رؤيا منام عبر عنه من يوثق به من علماء بني اسرائيل .

وقوله «فالتقطه آل فرعون» والالتقاط اصابة الشيء من غير طلب، ومنه اللقطة

---

(١) سورة الحاقة : ٣١ .

(٢) في التبيان : نوم .

قال الراجز :

ومنهـل وردتـه التقاطـا لم ألـق اذ وردتـه فراطـا

وقوله « ليكون لهم عدواً وحزناً » اللام لام العاقبـة ، لانهم لم يلتقطوه لان يصير لهم عدواً وحزناً، بل التقطوه ليكون قرة عين لهما ، ومثله قول الشاعر :

* لـدوا للمـوت وابنـوا للخراب *

ومثله قوله «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً»[١].

وقوله « وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً » قال ابن عباس وقتادة والضحاك : معناه فارغاً من كل شيء الا من ذكر موسى .

وقيل: فارغاً من الحزن لعلمها بأن ابنها ناج، سكوناً الى ماوعدها الله به .

وقوله « انكادت لتبدي به » قال ابن عباس وقتادة والسدي : معناه انكادت لتبدي بذكر موسى وتقول: يا ابناه. وقيل: انكادت لتبدي بالوحي .

فصل: قوله « وقالت لاخته قصية » الاية : ١١ .

معنى « قصية » أي : اتبعـي أثره يقال : قصه يقصه قصاً اذا اتبع أثره، ومنه القصص لانه حديث يتبع فيه الثاني للاول، والاقتصاص اتباع الجاني في الاخذ بمثل جنايته .

وقوله « فبصرت به عن جنب » معنى « فبصرت به » أي : رأتـه عن بعد ، ومثله أبصرته عن جنابة، قال الاعشى :

أتيت حريثاً تائباً عن جنابـة فكان حريث عن عطائي جامدا[٢]

أي : عن بعد .

قوله « فوكزه موسى فقضى عليه » أي : دفع في صدره بجمع كفه ، ومثله

(١) سورة الاعراف : ١٧٨ .

(٢) ديوان الاعشى ص٤٣ .

لكزه ولهزه » فقضى عليه » أي: مات .

فقال عند ذلك موسى « هذا من عمل الشيطان » أي: من اغوائه حتى زدت من الايقاع به وان لم أقصد قتله .

وقيل : ان الكناية عن المقتول، فكأنه قال : ان المقتول من عمل الشيطان أي عمله عمل الشيطان ، ثم وصف الشيطان بأنه عدو للبشر .

فصل: قوله « قال رب اني ظلمت نفسي فاغفرلي فغفرله انه هو الغفور الرحيم» الاية : ١٦ .

حكى الله تعالى عن موسى أنه حين قتل القبطي ندم على ذلك ، وقال: يارب اني ظلمت نفسي بقتله وسأله أن يغفرله ، وعند أصحابنا أن قتله القبطي لم يكن قبيحاً وكان الله قد أمره بقتله ، لكن الاولى تأخيره الى وقت آخر لضرب من المصلحة ، فلما قدم قتله كان ترك الاولى والافضل ، فاستغفر من ذلك ، لا أنه فعل قبيحاً .

وقوله « رب اني ظلمت نفسي » على الوجه الاولى، أي : بخست نفسي حقها بأن لم أفعل ماكنت أستحق به ثواباً زائداً ، وعلى المذهب الثاني من يقول بالموازنة يقول : لانه نقص من ثوابه ، فكان بذلك ظالماً نفسه .

فأما من قال : ان ذلك كان كبيرة منه وظلماً فخارج عما نحن فيه ، لان أدلة العقل دلت على أن الانبياء لايجوز عليهم شيء من القبائح ، لاكبيرها ولاصغيرها.

قوله « فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه » أي : يطلب نصرته ، فقال له موسى « انك لغوي مبين » أي : عادل عن الرشد ظاهر الغواية ، ومعناه : انك لغوي في قتالك من لاتطيق رفع شره عنك من أصحاب فرعون خائب فيماتقدر.

فصل : قوله « فأوقدلي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع الى اله موسى » الاية : ٣٨ .

الصرح البناء العالي كالقصر ، ومنه التصريح شدة ظهور المعنى ، قال الشاعر :

بهن نعام بناء الرجال تحسب اعلامهن الصروحا

جمع صرح وهن القصور. قال قتادة: أول من طبخ الاجر وبنى به فرعون.

فصل : قوله « وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون » الاية : ٤١ .

أخبر الله تعالى أنه جعل فرعون وقومه أئمة يدعون الى النار ، قيل : في معناه قولان :

أحدهما : أناعرفنا الناس أنهم كانوا كذلك ، كما يقال: جعله رجل سوء بتعريفه حاله .

والثاني: أناحكمنا عليهم بذلك ، كما قال« ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة»[١] وكما قال « وجعلوا لله شركاء الجن »[٢] وانما أراد أنهم حكموا بذلك وسموه .

فصل : قوله « ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون » الاية : ٥١ .

يقول الله تعالى : أناوصلنا لهؤلاء الكفار القول . وقيل : في معناه قولان :

أحدهما : قال ابن زيد : وصلنالهم القول في الخبر عن أمر الدنيا والاخرة .

الثاني : قال الحسن : وصلنا لهم القول بما أهلكنا من القرون قرناً بعد قرن، فأخبرناهم أنا أهلكنا قوم نوح بكذا وقوم هود بكذا وقوم صالح بكذا ، لعلهم يتذكرون ، فيخافوا أن ينزل بهم مانزل بمن قبلهم . وأصل التوصيل من وصل الجبال .

ثم أخبر أن هؤلاء الذين وصفهم يعطيهم الله أجرهم ، يعني ثوابهم على ما

(١) سورة المائدة : ١٠٦ .

(٢) سورة الانعام : ١٠٠ .

صبروا في جنب الله مرتين : أحدهما لفطهم الطاعة . والثاني : للصبر عليها لما يوجبه العقل من التمسك بها .

والصبر حبس النفس عما ينازع اليه مما لا يجوز أن يتخطىء اليه ، ولذلك مدح الله الصابرين . والصبر على الحق مر الا أن يؤدي الى الثواب الذي هو أحلى من الشهد .

فصل : قوله « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » الاية : ٥٦ .

هذه الاية نزلت لان النبي ﷺ كان يحرص على ايمان قومه ويوثر أن يؤمنوا كلهم ، ويجب أن ينقادوا له ويقروا بنبوته وخاصة أقاربه ، فقال الله تعالى له : انك لا تقدر على ذلك ، ولا في مقدورك ما تلطف لهم في الايمان ، بل ذلك في مقدور الله يفعله بمن يشاء اذا علم أنهم يهتدون عند شيء فعل بهم ، فلا ينفع حرصك على ذلك .

وروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم أنها نزلت في أبي طالب ، وعن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام أن أبا طالب مات مسلماً ، وعليه اجماع الامامية لا يختلفون فيه ، ولها على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم ليس هذا موضع ذكرها .

ثم قال حاكياً عن الكفار أنهم قالوا : ان نتبع محمداً ومايدعونا اليه ، ونقول انه هدى وموصل الى الحق « نتخطف من أرضنا » فقال الله لهم « أولم نمكن لهم حرماً آمناً » .

وقيل : في وجه جعله الحرم آمناً وجهان : أحدهما .. بما طبع النفوس عليه من السكون اليه وترك النفور مما ينفر عنه في غيره ، كالغزال مع الكلب والحمام مع الناس وغيرهم ، والوجه الاخر بما حكم به على العباد وأمرهم أن يؤمنوا من

يدخله ويلوذ به ولايتعرضوا لـه .

وفائدة الاية اناجعلناالحرم آمناً لحرمة البيت، مع أنهم كفار يعبدون الاصنام حين آمنوا على نفوسهم وأموالهم فلو آمنوا لكان أحرى بأن يؤمنهم الله وأولى بأن يمكن من مراداتهم .

وقوله « أم القرى » قيل: في معنى أمها قولان : أحدهما ـ مكة ، والاخرفي معظم القرى .

وقولـه « ثمرات كل شيء » قيل : ان كلا هـاهنا البعض ، لانا نعلم أنه ليس يجبى كثير من الثمرات الى مكة .

وقال قوم: ظاهر ذلك يقتضي أنه يجبى اليه جميع الثمرات امارطباً واما يابساً ولامانع يمنع منه .

فصل : قوله « فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لايتسائلون » الاية : ٦٦ .

معنى « فهم لايتسائلون» أي: هم لانسداد طريق الاخبار عليهم لم يجيبوا عما سئلوا عنه ، ولايسأل بعضهم بعضاً عنه لانقطاعهم عن الحجة .

ولاينافي قوله« فهم لايتسائلون » قوله في موضع آخر « وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون »[1] لان يوم القيامة مواطن يختلف حالهم فيها ، فمرة يطبق عليهم الحيره فلايتساءلون، ومرة يفيقون فيتساءلون .

فصل: قوله « اذ قال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين »الاية : ٧٦ .

حكاية عما قال قـوم قارون لقارون حين خوفوه بالله ونهوه عن الفـرح بما آتاه الله من المال وأمروه بالشكر عليه .

والفرح المرح الذي يخرج الى الاشر وهو البطر ، ولذلك قال تعالى « ان الله لايحب الفرحين » لانه اذا أطلق صفة فرح ، فهو الخارج بالمرح الى البطر.

---

(١) سورة الصافات : ٢٧ .

فأما قوله « فرحين بما آتاهم الله من فضله »[١] فحسن جميل بهذا التقييد .

وقوله« ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون» قال الفراء: تقديره لايسأل المجرمون عن ذنوبهم ، فالهاء والميم للمجرمين ، كما قال « فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولا جان »[٢].

وقال الحسن: لايسأل عن ذنوبهم المجرمون ليعلم ذلك من قبلهم وان سئلوا سؤال توبيخ وتقريع .

قوله «الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » حكى الله ان الذين تمنوا مكانه بالامس حين خرج عليهم على زينته لما رأوه خسف الله به أصبحوا يقولون « ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » أي : يوسع رزقه على من يشاء ويضيق على من يشاء اعترفوا بذلك .

ومعنى « وي »التنبيه على أمر من الامور، وهي حرف مفصول من كأن، في قول الخليل وسيبوية واختيار الكسائي .

وقيل: ويكأنه » بمنزلة ألا كأنه ، وأما كأنه .

وقيل : هي ويك بأن الله كأنه قال تنبيهك بهذا الا أنه حذف ، قال عنترة :

ولقد شفى نفسي وابدا[٣] سقمها قتل الفوارس ويك عنتر أقدم[٤]

ثم قال تعالى « تلك الدار الاخرة » يعني الجنة « نجعلها للذين لايريدون علواً في الارض » وانما قبح طلب العلو في الارض ، لانه ركون اليها وترك طلب العلو في الاخرة ومعاملة لها بخلاف ماأراده الله بها من أن تكون دار ارتحال لادار مقام فيها.

---

(١) سورة آل عمران : ١٧٠ .

(٢) سورة الرحمن : ٣٩ .

(٣) في التبيان : وأذهب .

(٤) ديوان عنترة ص ٣٠ .

سورة العنكبوت

فصل : قوله « الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون» الاية : ١ ـ ٢ .

الحسبان والظن واحد، ومثله التوهم والتخيل « وهم لايفتنون» أي: لايظنون أنهم لايختبرون اذا قالوا آمنا .

والمعنى أنهم يعاملون معاملة المختبر لتظهر الافعال التي يستحق عليها الجزاء.

وقال مجاهد : معنى « يفتنون » يبتلون في أنفسهم وأموالهم .

وقيل : معنى « يفتنون » يصابون بشدائد الدنيا ، أي : ان ذلك لا يجب أن يرفع في الدنيا لقولهم آمنا .

فصل: قوله «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم» الاية :٧.

معنى ذلك أنهم اذا اعترفوا بما جاء به من عند الله « لنكفرن عنهم سيئاتهم » التي اقترفوها قبل ذلك .

ومن قال بالاحباط تبطل السيئة بالحسنة التي هي أكبر منها حتى يصير بمنزلة مالم يعمل ، كما قال « ان الحسنات يذهبن السيئات»[١] والاحباط هو ابطال الحسنة بالسيئة التي هي أكبر منها .

فصل : قوله « وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون » الاية : ١٣ .

معناه : انهم يسألون سؤال تعنيف وتوبيخ وتبكيت وتقريع، لاسؤال استعلام كسؤال التعجيز في الجدل ، كقولك للوثني : ماالدليل على جواز عبادة الاوثان؟ وكما قال تعالى « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »[٢].

الطوفان الماء الكثير الغامر ، لانه يطوف بكثرته في نواحي الارض .

---

(١) سورة هود : ١١٥ .

(٢) سورة البقرة : ١١١ .

فصل : قوله « فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي » الاية : ٢٦ .

حكى الله أنه صدق به لوط عليه السلام وآمن به، وكان ابن أخته وابراهيم خاله، وهو قول ابن عباس وابن زيد والضحاك وجميع المفسرين .

« وقال » لوط « اني مهاجر الى ربي » ومعناه : اني خارج من جملة الظالمين على جهة الهجر لهم لقبيح أفعالهم الى حيث أمرني ربي .

ومن هذا هجرة المسلمين من مكة الى المدينة والى أرض الحبشة ، لانهم هجروا ديارهم وأوطانهم لاذى المشركين لهم بأن يخرجوا عنها .

وقيل : هاجر ابراهيم ولوط من كوثى ، وهي من سواد الكوفة الى أرض الشام.

قوله « وآتيناه أجره في الدنيا» قال ابن عباس: الاجر في الدنيا الثناء الحسن والولد الصالح .

وقال الجبائي : هو ما أمر الله به المكلفين من تعظيم الانبياء .

قال البلخي : وذلك يدل على أنه يجوز أن يثيب الله في دار التكليف ببعض الثواب .

قوله « وتأتون في ناديكم المنكر » قال ابن عباس: كانوا يضرطون في مجالسهم.

وقال السدي : كانوا يحذفون من مربهم .

وقال مجاهد : كانوا يأتون الرجال في مجالسهم .

وقال الكلبي : منها الصفير ومضغ العلك والرمي بالبندق وحل ازرار القباء والقميص، وهي ثمانية عشرة خصلة .

فصل : قوله « ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى » الاية : ٣١ .

البشرى البيان والخبر بما يظهر سروره في بشرة الوجه .

وقيل : الاخبار بما يظهر سروره، أو غمه في البشرة بشرى، ويقوى ذلك قوله

« فبشرهم بعذاب أليم »[١] غير أنه غلب عليه البشارة بما يسر به .

فصل : قوله « وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل » الاية: ٣٨ .

في الايةدلالة علىبطلان قول المجبرة الذين ينسبون ذلك الى الله، ثمأخبر أن الشيطان صدهم ومنعهم عن طريق الحق .

« فهم لايهتدون » اليه لاتباعهم دعاء الشيطانوعدو لهم عن الطريقالواضح.

« وكانوا مستبصرين » أي : وكانوا عقلاء يمكنهم تمييز الحق من الباطل .

ثم أخبرأنه لم يظلمهمبما فعل معهم «ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» بجحودهم نعم الله واتخاذهم مع الله آلهة وطغيانهم وافسادهم في الارض ، وذلك يدل على بطلان قول المجبرة الذين قالوا : ان الظلم من فعل الله ، لانه لو كان من فعله لما كانوا هم الظالمين لنفوسهم، بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم .

فصل : قوله«مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت» الاية : ٤١ .

شبه الله تعالى حال من اتخذ من دونه أولياء ينصرونه عند الحاجة في الوهن والضعف بحال العنكبوت التي تتخذ بيتاً لتأوي اليـه ، فكما أن بيت العنكبـوت في غاية الوهن والضعف ، فكذلك حال من اتخذ من دون الله أولياء .

والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالاول .

قوله «وأقم الصلاة» بحدودها «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»يعني في فعلها لطف للمكلفي فعل الواجب والامتناع عن القبيح، فهي بمنزلة الناهي بالقول اذا قال : لاتفعل الفحشاء ولا المنكر ، وذلك لان فيها التكبير والتسبيح والقراءة وصنوف العبادة، وكل ذلك يدعو الى شكله ويصرف عن ضده ، كالامر والنهي بالقول .

---

(١) سورة آل عمران : ٢١ ، وغيرها .

وقوله«ولذكر الله أكبر» معناه : ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته .

وقيل: معناه ذكرالعبد لربه أفضل من جميع عمله، وهو قول قتادة وابن زيد.

فصل : قوله «ولا تخطه بيمينك»الاية : ٤٨ .

معناه : وماكنت أيضاً تخط بيمينك، وفيه اختصار وتقديره : ولوكنت تتلو الكتاب وتخطه باليمين«اذن لارتاب المبطلون» . وقال المفسرون : انه لم يكن النبي ﷺ يحسن الكتابة .

والايـة لاتدل على ذلك ، بل فيها أنه لم‌يكن يكتب الكتاب وقـد لايكتب الكتاب من يحسنه ، كمالايكتب من لايحسنه . وليس ذلك بنهي، لانه لوكان‌نهياً لكان الاجود أن يكون مفتـوحاً ، وان جاز الضم على وجه الاتباع لضمة الخاء كماتقول : رده ورده بالفتح والضم .

ثـم بين تعالى أنه انما لم يكتب ، لانه لوكتب لشك المبطلون فـي القرآن وقالوا: هو قراء الكتب أوهو يصنفـه ويضم شيئاً الى شيء فـي حال بعد حال ، فاذا لم‌يحسن الكتابة لم‌يسبق اليه الظن، ثم قال « بل هو آيات بينات» .

فصل: قوله «أولم‌يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب» الاية: ٥١ .

الكفاية بلوغ حد ينافي الحاجة، يقال :كفى يكفي كفاية فهوكاف .

وقيل: ان الاية نزلت في قوم كتبوا شيئاً من كتب أهل‌الكتاب شبه‌الخرافات فقال الله تعالى «أولم‌يكفهم» القرآن، تهديداً لهم ومنعاً من التعرض لغيره .

والشاهد والشهيد واحد، وفيه مبالغة، والشهادة هي‌الخبر بالشيء عن‌مشاهدة تقوم به الحجة في‌حكم من أحكام الشرع، ولذلك لم‌يكن خبر من لاتقوم به حجة في الزنا شهادة وكانوا قذفه .

فصل: قوله «وان الدار الاخرة لهي الحيوان» الاية : ٦٤ .

أي: الحياة على الحقيقة، لكونها دائمة باقية لو كانوا يعلمون صحة ما أخبرناك به . وقال أبو عبيدة : الحيوان والحياة واحد .

سورة الروم

فصل: قوله « الم * غلبت الروم * في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » الاية : ١ ـ ٣ .

السبب في ذلك معروف ، وهو أن الروم لما غلبهم فارس فرح مشركوا قريش بذلك، من حيث أن أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب وساء ذلك المسلمين فأخبر الله تعالى أن الروم وان غلبهم فارس ، فان الروم ستغلب فيما بعد فارس .

« في بضع سنين » أي: فيما بين ثلاث الى عشر، والبضع القطعة من العدد ما بين الثلاث الى العشر، اشتقاقه من بضعته اذا قطعته تبضيعاً، ومنه البضاعة القطعة من المال تدور في التجارة .

وقال المبرد : البضع ما بين العقدين في جميع الاعداد .

ثم أخبر تعالى بأن لله الامر من قبل ومن بعد، تقديره: من قبل غلبهم ومن بعد غلبهم، فكان كما أخبر، وكان ذلك معجزة ظاهرة باهرة للنبي عليه السلام .

وروي أن سبب ذلك أن الروم لما غلبتها فارس فرح المشركون بذلك وقالوا : أهل فارس لا كتاب لهم غلبوا أهل الروم وهم أهل كتاب، فنحن لا كتاب لنا نغلب محمداً الذي معه كتاب، فأنزل الله تعالى هذه الايات تسلية للنبي والمؤمنين، وأن الروم وان غلبها فارس، فانها ستغلب فارس فيما بعد .

فصل : قوله « وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون » الاية : ٦ ـ ٧ .

معنى «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» صحة ما أخبرنا به لجهلهم بالله وتفريطهم

في النظر المؤدي الى معرفته .

ولايناقض قوله « لايعلمون » لقوله « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » لان ذلك ورد مورد المبالغة لهم بالذم، لتضييعهم علم[1] مايلزمهم من أمر الله، كأنهم لايعلمون شيئاً. ثم بين حالهم فيماعقلوا عنه وماعلموه .

ومعنى « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » أي: عمران الدنيا متى يزرعون؟ ومتى يحصدون ؟ وكيف يبنون ؟ ومن أين يعيشون ؟ وهم جهال بحال الاخرة وله مضيعون ، ذكره ابن عباس . أي : عمروا الدنيا وأخربوا الاخرة .

والغفلة ذهاب المعنى عن النفس كحال النائم ، ونقيضه اليقظة وهي حضور المعنى للنفس كحال المنتبه، ونقيضه السهو .

ثم قال « فماكان الله ليظلمهم » بأن يهلكهم من غير استحقاق ابتداءاً .

وفي ذلك بطلان قول المجبرة: ان الله يبتدأ خلقه بالهلاك .

ثم قال « ولكن كانوا » هم « أنفسهم يظلمون » بأن جحدوا نعم الله .

ثم أخبر تعالى أنه الذي « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي» قال ابن عباس وابن مسعود : معناه يخرج الانسان وهو الحي من النطفة وهي الميتة، ويخرج الميتة وهي النطفة من الانسان وهي حي .

وقال قتادة: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن .

فصل: قوله « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها » الاية : ٢١ .

قال قتادة : المعنى هاهنا أنه خلقت حواء من ضلع آدم . وقال غيره : المعنى خلق لكم من شكل أنفسكم أزواجاً. وقال الجبائي: المعنى خلق أزواجكم من نطفكم .

---

(١) في التبيان : على .

قوله « واختلاف ألسنتكم وألوانكم » فالالسنة جمع لسان ، واختلافها ما بناها الله تعالى وهيأها مختلفة في الشكل والهيئة، وتأتي الحروف بها واختلاف مخارجها .

وقال قوم: المراد بالالسنة اختلاف اللغات .

وهذا جواب من يقول : ان اللغات أصلها من فعل الله دون المواضعة ، فأما من يقول: اللغات مواضعة ، فان تلك المواضعة من فعلهم.

فصل: قوله « وهو أهون عليه » الاية : ٢٧ .

حكى ابن عباس أنه قال: المعنى وهو أهون عليه عندكم، لانكم أقررتم بأنه بدأ الخلق، فاعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه. وروي عن ابن عباس أيضاً أن معناه وهو هين عليه، قال الشاعر :

لعمرك ماأدري واني لاوجل على أينا تعدو المنية أول

أي: اني لواجل والله أكبر بمعنى كبير .

ثم قال « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال مجاهد: فطرة الله الاسلام .

وقيل : فطر الناس عليها ولها وبها بمعنى واحد ، كمايقول القائل لرسوله : بعينك على هذا ولهذا وبهذا بمعنى واحد . ونصب « فطرة الله » على المصدر .

وقيل : تقديره اتبع فطرة الله التي فطر الناس عليها، لان الله تعالى خلق الخلق للايمان، ومنه قوله « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » ومعنى الفطر الشق ابتداءاً يقولون : انا فطرت هذا الشيء، أي : أنا ابتدأته. والمعنى خلق خلق الله للتوحيد والاسلام .

فصل: قوله « وان تصبهم سيئة بماقدمت أيديهم اذا هم يقنطون» الاية:٣٦ .

انما قال « بماقدمت أيديهم » ولم يقل بماقدموا على التغليب للاكثر الاظهر لان أكثر العمل وأظهره لليدين ، والعمل بالقلب وان كان كثيراً فهو أخفى وانما

يغلب الاظهر .

قوله «وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلايربوعند الله» قال الجبائي: وما آتيتم من ربالتربوا بذلك أموالكم «فلايربو» لانه لايملكه الرابي بل هو لصاحبه ولايربو عند الله ، لانه يستحق به العقاب .

فصل : قوله « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس » الاية : ٤١ .

قيل : فساد البر هو مايحصل فيها من المخاوف المانعة من سلوكه ، وفساد البحر اضطراب أمره حتى لايكون للعباد متصرف فيه .

وقال قتادة : المعنى ظهر الفساد في أهل البر والبحر، فأهل البر أهل البادية ، وأهل البحر أهل القرى الذين على الانهار العظيمة .

فصل : قوله « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون » الاية : ٥٥ .

قيل : في قسمهم بذلك مع أن معارفهم ضرورية قولان :

أحدهما: قال أبوبكر بن الاخشاذ ذلك يقع منهم قبل اكمال عقولهم ،ويجوز قبل الالجاء أن يقع منهم قبيح .

والثاني: قال الجبائي: ان المراد أنه منذ ما يقطع عنا عذاب القبر .

«كذلك كانوا يؤفكون» أي : يكذبون ، لانه اخبار عن غالب الظن بمالا يعلمون ، قال : ولايجوز ان يقع منهم القبيح في الاخرة ، لان معارفهم ضرورية .

سورة لقمان

فصل : قوله « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم » الاية : ٦ .

قيل : في معناه قولان :

أحدهما : أنه يشتري كتاباً فيه لهو الحديث .

الثاني : أنه يشتري لهو الحديث بحق[١] الحديث .

واللهو الاخذ فيما يصرف الهم من غير الحق. واللهو واللعب والهزل نظائر.

وقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد : لهو الحديث الغناء ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام .

فصل : قوله « يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أوفي السماوات أوفي الارض يأت بها الله » الاية : ١٦ .

تقديره : ان تلك الحبة لوكانت في جوف صخرة وهي الحجرة العظيمة ، أوتكون في السماوات أوفي الارض يأت بها ويحاسب عليها ويجازي عليه ، لانه لايخفى عليه شيء منها ولايتعذر عليه الاتيان بها أي موضع كانت، لانه قادر لنفسه .

انما أنث «مثقال حبة» لانه مضاف الى مؤنث وهي الحبة، كما : قيل ذهبت بعض أصابعه ، وكما قيل :

كما شرقت صدر القناة من الدم[٢]

والصخرة وان كانت في الارض أو في السماء ، فذكر السماوات والارض بعدها مبالغة ، كقوله « اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق » .

والمثقال مقدار يساوي غيره في الوزن ، فمقدار الحبة مقدار حبة في الوزن، وقد صار بالعرف عبارة عن وزن الدينار . فاذا قيل : مثقال كافور أوعنبر ، فمعناه مقدار الدينار الوازن[٣] .

قوله «ولاتصعر خدك للناس» معناه: لاتعرض بوجهك عن الناس تكبراً، ذكره ابن

---

(١) فى التبيان : عن .

(٢) ديوان الاعشى ص ١٨٣ .

(٣) فى التبيان : بالوزن .

عباس . وأصل الصعر داء يأخذ الابـل في أعناقها حتى تلتفت أعناقها ، فتشبه بـه الرجل المتكبر على الناس ، قال الشاعر وهو الفرزدق :

وكنا اذا الجبار صعر خـده أقمنا لـه مـن مثلـه فتقومـا

«ولاتمش في الارض مرحاً» أي : مختالا متكبراً .

«ان الله لايحب كـل مختال» فالاختيال مشية البطر . وقال مجاهـد : المختال المتكبر ، والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع ، يقال: فخر يفخر فخراً وفاخره مفاخرة ثم أخبر « ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » قال الفراء : معناه ان أشد الاصوات . وقال غيره : أقبح الاصوات ، في قول مجاهد .

فصل : قوله « ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور» الاية : ٣١ .

معناه: ألم تعلم أن الفلك وهي السفن تجري في البحر بنعمة الله عليكم ليريكم بعض أدلته الدالة على وحدانيته .

ووجه الدلالة في ذلك : أن الله تعالى يجري الفلك بالرياح التي يرسلها في الوجوه التي تريدون المسير فيها .

ولو اجتمع جميع الخلق أن يجروا الفلك في بعض الجهات مخالفاً لجهة الرياح لمـا قدروا عليه ، وفي ذلك أعظم دلالة على أن المجري لها بالرياح هو القادر الذي لايعجزه شيء ، وذلك بعض أدلته التي تدل على وحدانيته .

قوله«فمنهم مقتصد»قال قتادة: يعني منهم مقتصد في قوله مضمر لكفره . وقال الحسن : المقتصد المؤمن .

وقوله«وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور » فالختار الغدار بعهده أقبح الغدر وهو صاحب ختل وختر ، أي غدر ، وقال عمرو بن معدي كرب :

فانك لو رأيت أبا عميرة ملات يديك من غدر وختر

التعليق من الجزء الثامن من التبيان في تفسير القرآن يشتمل على سورة السجدة ، والاحزاب ، وسبأ ، والملائكة ، ويس ، والصافات ، وص ، والزمر ، والمؤمن ، وحم السجدة ، وحم عسق والزخرف ، وحم الدخان ، والجاثية ، الاحقاف ، سورة محمد عليه السلام ، الفتح ، الحجرات ، ق ، وبعض الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة السجدة

فصل : قوله « خلق السماوات والارض ومابينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش » الاية : ٤ .

أي : اخترعهما وأنشأهما ، وخلق مابينهما في ستة أيام ، أي : فيما قدره ستة أيام ، لانه قبل خلق الشمس لم يكن ليل ولانهار .

وقوله « ثم استوى على العرش » أي : استولى علية بالقهر والاستعلاء ، وقد فسرناه فيما مضى ودخلت «ثم» على «استوى على العرش» وان كان مستعلياً على الاشياء قبلها ، كما دخلت «حتى» في قوله «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم

والصابرين»[١] .

وتقديره : ثم صح معنى استولى على العرش باحداثه، وكذلك حتى يصح معنى«نعلم المجاهدين» أي: معنى وصفهم بهذا، وذلك لايكون الا بعدوجود الجهاد من جهتم .

وقوله «مالكم من دونه من ولي ولاشفيع» نفي منه تعالى أن يكون للخلق ناصر ينصرهم من دون الله، أوشفيع يشفع لهم ،كماكانوا يقولون «نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى» .

ثم قال «أفلا تتذكرون» فيما قلناه وتعتبرون به ، فتعلموا صحة مابيناه لكم .

وقوله « يدبر الامر من السماء الى الارض » معناه : أن الله الذي خلق السماوات والارض ومابينهما في هذه المدة يدبر الامور كلها ويقدرها على حسب ارادته مما بين السماء والارض ، وينزله مع الملك الى الأرض .

« ثم يعرج اليه » يعني : الملك يصعد الى المكان الذي أمره الله تعالى أن يعرج اليه ، كما قال ابراهيم «اني ذاهب الى ربي »[٢] أي : أرض الشام التي أمرني ربي ، ولم يكن الله بأرض الشام ، ومثله قوله « ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله »[٣] يريد الى المدينة ولم يكن الله في المدينة .

وقوله « في يوم كان مقداره ألف سنة مماتعدون » قال ابن عباس والضحاك: معناه في يوم كان مقداره لوساره غير الملك ألف سنة مما يعده البشر .

وقيل : معناه خمسمائة عام نزول وخمسمائة عام صعود فذلك ألف سنة .

وقيل : ان معناه ان كل يوم من الايام الستة التي خلق فيها السماوات ،كألف

(١) سورة محمد : ٣١ .

(٢) سورة الصافات : ٩٩ .

(٣) سورة النساء : ١٠٠ .

سنة من أيام الدنيا .

فصل : قوله : « الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين*ثم سواه ونفخ فيه من روحه» الاية: ٧-٩.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر « أحسن كل شيء خلقه » باسكان اللام ، الباقون بفتحها ، من سكن اللام فعلى تقدير الذي أحسن خلق كل شيء ، أي : جعلهم يحسنونه، والمعنى أنه ألهمهم جميع مايحتاجون اليه.

ومن فتح اللام جعله فعلا ماضياً، ومعناه: أحسن الله كل شيء خلقه على ارادته ومشيئته وأحسن الانسان وخلقه في أحسن صورة .

ومعنى ذلك في جميع ماخلقه الله تعالى وأوجده فيه وجه من وجوه الحكمة وليس فيه وجه من وجوه القبح ، وذلك يدل على أن الكفر والضلال وسائر القبائح ليست من خلقه .

ولفظة «كل» وان كانت شاملة للاشياء كلها ، فالمراد به الخصوص هاهنا، لانه أراد ماخلقه تعالى من مقدوراته دون مقدور غيره ، ونصب قوله«خلقه» بالبدل من قوله «كل شيء » كما قال الشاعر :

وظعني اليك الليل حضنيه انني لتلك اذا هاب الهدان فحول[1]

وقوله « ثم جعل نسله » يعني: نسل الانسان الذي هو آدم وولده «من سلالة» وهي الصفوة التي تنسل من غيرها خارجة ، قال الشاعر :

فجاءت به عضب الاديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين

فصل: قوله «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون» الاية : ١١ .

أي:يقبض أرواحكم. قال قتادة : يتوفاكم ومعه أعوان من الملائكة . والتوفي

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٣٠ .

أخذ الشيء على تمام ، قال الراجز :

ان بني أدرم ليسوا من أحد ولاتوفاهم قريش في العدد

ويقال : استوفى الدين اذا قبضه على كماله .

وقوله « يتوفاكم » يقتضي أن روح الانسان هي الانسان .

وقوله « فذوقوا بمانسيتم لقاء يومكم هذا » أي : بمافعلتم من نسي لقاء جزاء هذا اليوم ، فتركتم ماأمركم الله به وعصيتموه « انانسيناكم » أي : فعلنا معكم جزاءاً على ذلك فعل من نسيكم من ثوابه ، وتركككم من نعيمه . والنسيان الترك ومنه قوله « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي »[1].

فصل : قوله « فلاتعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين جزاءاً بماكانوا يعملون » الاية : ١٧ .

قولهم « قرت عيناه » أي : فرحها الله ، لان المستبشر الضاحك يخرج من عينه ماء بارد من شؤونه ، والباكي جزعاً يخرج من عينيه ماء سخن من الكبد ، ومنه قولهم « سخنت عينه » بكسر الخاء « جزاءاً بماكانوا يعملون » من الطاعات .

فصل : قوله « ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون » الاية : ٢١ .

قيل : العذاب الادنى هو العذاب الاصغر ، وهو عذاب الدنيا بالقتل ، والسبي والقحط ، والفقر ، والمرض ، والسقم ، وماجرى هذا المجرى . وقيل : هو الحدود . وقيل : عذاب القبر .

وعن جعفر بن محمد عليه السلام : ان العذاب الادنى هو القحط والاكبر خروج المهدي بالسيف .

والعذاب الاكبر عند المفسرين هو عذاب الاخرة بالنار التي يستفرغ الانسان

---

(١) سورة طه : ١١٥ .

بالالام .

وقوله « لعلهم يرجعون » اخبار منه تعالى أنه يفعل بهم ماذكره من العذاب الادنى، ليرجعوا عن معاصي الله الى طاعاته ويتوبوا منها ، وهو قول عبدالله وأبي العالية .

ثم أخبر تعالى فقال « ولقد آتينا موسى الكتاب » يعني : التوراة « فلاتكن في مرية » في شك « من لقائه » يعني لقاء موسى ليلة الاسراء بك الى السماء ، على ماذكره ابن عباس .

وقيل : فلاتكن في مرية من لقاء موسى في الاخرة .

فصل : قوله « أولم يروا أنانسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعاً» الاية : ٢٧ .

الارض الجرز هي الارض اليابسة التي ليس فيها نبات ، انقطع ذلك لانقطاع الامطار ، وهو مشتق من قولهم « سيف جراز » أي : قطاع لايلقي شيئاً الا قطعه، وناقة جراز اذا كانت تأكل كل شيء، لانها لاتبقي ظيئاً الا قطعته بفيها .

سورة الاحزاب

فصل : قوله « ماجعل الله لرجل من قلبين » الاية : ٤ .

قال ابن عباس :كان المنافقون يقولون : لمحمد قلبان فأكذبهم الله .

وقال مجاهد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس : انه كان رجل من قريش يدعى ذا القلبين من دهائه ، وهو أبومعمر جميل بن أسد ، فنزلت الاية فيه .

وقال الحسن :كان رجل يقول : لي نفس تأمرني ونفس تنهاني ، فأنزل الله فيه هذه الاية .

وقال الزهري : في ان هذا ممتنع كامتناع أن يكون ابن غيرك ابنك .

وروي عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوماً ويحب بهذا أعداءهم .

ولايمكن أن يكون لانسان واحد قلبان في جوفه ، لانه كان يمكن أن يوصل انسانان فيجعلان انساناً واحداً .

وقد يمكن أن يوصلا بما لا يخرجهما عن أن يكونا انسانين ، وليس ذلك الا من جهة القلب أو القلبين، لانه اذا جعل قلبان يريد أحدهما بقلبه مالا يريدالاخر ويشتهي ما لا يشتهي الاخر ، ويعلم ما لا يعلم الاخر ، فهما حيان لا محالة وليسا حياً واحداً .

وقوله«وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم»أي: ليس نساؤكم وأزواجكم اذا قلتم لهن : أنتن علي كظهر أمي. يصرن أمهاتكم على الحقيقة، لان أمهاتكم على الحقيقة من اللائي ولدنكم أو أرضعنكم .

وقال قتادة: اذا قال لزوجته أنت علي كظهر أمي، فهو مظاهر وعليه الكفارة وعندنا أن الظهار لايقع الا أن تكون المرأة طاهراً ولم يقربها بجماع ، ويحضر شاهدان رجلان مسلمان ، ثم يقول لها : أنت علي كظهر أمي ويقصد التحريم فاذا قال ذلك حرم عليه وطأها حتى يكفر ، وان اختل شيء من شرائطه فلا يقع ظهار أصلا .

وقوله «وما جعل أدعياءكم أبناءكم» قال قتادة ومجاهد وابن زيد : نزلت في زيد بن حارثة ، فانه كان يدعى ابن رسول الله .

والادعياء جمع دعي ، وهو الذي تبينا به الانسان ، وبين الله تعالى أن ذلك ليس بابن على الحقيقة ، ولذلك قال في آية أخرى «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» الاية .

فصل : قوله «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا

الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» الايات : ٦ ـ ١٠ .

أخبر تعالى أن النبي أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، بمعنى أحق بتدبيرهم، وبأن يختاروا ما دعاهم اليه ، وأحق بأن يحكم فيهم بما لايحكم به في نفسه، لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله ، وهو أولى في ذلك وأحق من نفس الانسان لانها ربما دعته الى اتباع الهوى، ولان النبي عليه السلام لايدعو الا الى طاعة الله، وطاعة الله أولى أن يختار على طاعة غيره .

وواحد الانفس نفس ، وهي خاصة الحيوان الحساسة التي هي أنفس ما فيه ويحتمل أن يكون اشتقاقه من التنفس وهو التروح، لان من شأنها التنفس. ويحتمل أن يكون مأخوذاً من النفاسة ، لانها أجل ما فيه وأكرمه .

ثم قال «وأزواجه أمهاتكم» والمعنى أنهن كالامهات في وجوب الحرمة وتحريم العقد عليهن .

ثم قال « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين» فأولوا الارحام أولوا الانساب ، لما ذكر الله أن أزواجه أمهاتهم في الحكم من جهة عظم الحرمة، قال « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض» أي: الا ما بين الله في كتابه ممايجوز[1] لازواج النبي عليه السلام أن يدعين أمهات المؤمنين .

وقال قتادة : كان الناس يتوارثون بالهجرة ، فلا يرث الاعرابي المسلم من المهاجر حتى نزلت الاية .

وقيل : انهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الاولة، ثم نسخ ذلك فبين الله تعالى أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض ، أي : من كان قرباه أقرب ، فهو أحق بالميراث من الابعد .

وظاهر ذلك يمنع أن يرث مع البنت والام أحد من الاخوة والاخوات ،لان

---

(١) في التبيان : لايجوز .

البنت والام أقرب من الاخوة والاخوات وكذلك يمنع أن يرث مع الاخت أحد من العمومة وأولادهم لانها أقرب .

والخبر المروي في هذا الباب « ان ماأبقت الفرائض فلاولى عصبة ذكر » خبر واحد مطعون على سنده لايترك لاجله ظاهر القرآن الذي بين فيه أن أولي الارحام الاقرب منهم أولى من الابعد في كتاب الله من المؤمنين .

قوله « وليسأل الصادقين عن صدقهم» قال مجاهد: معناه فعل ذلك ليسأل الانبياء المرسلين ماالذي أجاب به أممكم .

ويجوز أن يحمل على عمومه في كل صادق ويكون فيه تهديد للكاذب ، فان الصادق اذا سئل عن صدقه على أي وجه فيجازي بحسبه ،فكيف يكون صورة الكاذب.

وقوله «وبلغت القلوب الحناجر» أي: نبت[1] عن أماكنها من الخوف. والحناجر جمع حنجرة وهي الحلق ، لان الريه عند الخوف تصعد حتى تلحق بالحلق .

«وتظنون بالله الظنونا» قال الحسن : كانت الظنون مختلفة ، فظن المنافقون أنه يستأصل ، وظن المؤمنون أنه سينصر .

فصل: قوله «هنالك ابتلي المؤمنون» الاية : ١١ .

لما وصف الله تعالى شدة الامر يوم الخندق وخوف الناس ، وأن القلوب بلغت الحناجر من الرعب قال «هنالك ابتلي المؤمنون» أي: اختبروا ليظهر بذلك حسن ايمانهم وصبرهم على ما أمرهم الله به من جهاد أعدائه ، و «هنا» للقريب من المكان و «هنالك» للوسط بين القريب والبعيد ، وسبيله سبيل ذا وذاك .

وقوله «وزلزلوا زلزالا شديداً» معناه: وحركوا بهذا الامتحان تحريكاً عظيماً والشدة قوة تدرك بالحاسة، لان القوة التي هي القدرة لاتدرك بالحاسة وانما تعلم بالدلالة ، فلذلك يوصف تعالى بأنه قوي ولا يوصف بأنه شديد .

---

(١) فى التبيان : نأت .

فصل: قوله «قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل» الاية : ١٦.

الفرار الذهاب عن الشيء خوفاً منه . وانما فرق الله بين الموت والقتل لان القتل غير الموت، والقتل نقض بنية الحيوانية ، والموت ضد الحياة عند من أثبته معنى ، والقتل يقدر عليه غير الله ، والموت لايقدر عليه غيره .

فصل : قوله «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»: الايات : ٢١ ـ ٢٥ .

أي : اقتداء حسن في جميع ما يقوله ويفعله متى فعلتم مثله كان ذلك حسناً والمراد بذلك الحث على الجهاد والصبر عليه في حروبه والتسلية لهم مما ينالهم من المصائب ، فان النبي عليه السلام شج رأسه وكسرت رباعيته في يوم أحد وقتل عمه حمزة ، فالتأسي به في الصبر على جميع ذلك من الاسوة الحسنة .

وذلك يدل على أن الاقتداء بجميع أفعال النبي عليه السلام حسن جائز ، الا ما قام الدليل على خلافه ، ولا يدل على وجوب الاقتداء به في أفعاله ، وانما يعلم ذلك بدليل آخر .

فالاسوة حال لصاحبها يقتدي بها غيره فيما يقول به، فالاسوة تكون في انسان وهي أسوة لغيره ، فمن تأسى بالحسن ففعله حسن .

وقوله «فمنهم من قضى نحبه» أي : منهم من صبر حتى قتل في سبيل الله وخرج الى ثواب ربه «ومنهم من ينتظر» ذلك «وما بدلوا تبديلا» أي : لم يبدلوا الايمان بالنفاق ولا العهد بالحنث .

وروي أن الاية نزلت في حمزة بن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب وعلي ابن أبي طالب، والذي قضى نحبه حمزة وجعفر ، والذي ينتظر علي عليه السلام .

قوله «ويعذب المنافقين ان شاء » لايدل على أن ما يجب غفرانه من الكبائر عند التوبة يجوز تعليقه بالمشيئة، لان على مذهبنا انما جاز ذلك لانه لايجب اسقاط العقاب بالتوبة عقلا ، وانما علمنا ذلك بالسمع ، وأن الله يتفضل بذلك .

وقوله «أو يتوب عليهم» معناه : ان شاء قبل توبتهم وأسقط عقابهم اذا تابوا وان شاء لم يقبل ، وذلك اخبار عن مقتضى العقل ، واما مع ورود السمع ، وهو قوله «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات»[1] فنقطع على أنه تعالى يغفر مع حصول التوبة .

وقوله «ان الله كان غفوراً رحيماً» يؤكد ذلك لانه انما يكون فيه مدح اذا غفر ما له المؤاخذة به ، ويرحم من يستحق العقاب ، فأما من يجب غفرانه وتجب رحمته فلا مدح في ذلك .

والنحب النذر ، أي : قضى نذره الذي كان نذره فيما عاهد الله عليه . وقال مجاهد : «قضى نحبه» أي : عهده . وقيل : ان المؤمنين كانوا نذروا اذا لقوا حرباً مع رسول الله أن يثبتوا ولا ينهزموا . وقال الحسن : قضى نحبه أي مات على ما عاهدوا . النحب الموت كقول ذي الرمة :

* قضى نحبه في ملتقى الموت هو بر[2] *

أي : منيته ، وهو بر اسم رجل .

وقوله «وكفى الله المؤمنين القتال» بالريح والملائكة . وقيل : وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام ، وهي قراءة ابن مسعود ، وكذلك هو في مصحفه في قتله عمرو بن عبدود ، وكان ذلك سبب هزيمة القوم .

فصل : قوله «وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم» الايات ٢٦ ـ ٣٣ .

الصياصي الحصون التي يمتنع بها واحدها صيصية، ويقال : جذ الله صيصية فلان ، أي : حصنه الذي يمتنع به ، والصيصية قرن البقرة ، وهي شوكة الديك

(١) سورة الشورى : ٢٥ .

(٢) مجاز القرآن ٢ / ١٣٦ .

أيضاً ، وهي شوكة الحائك أيضاً ، قال الشاعر :

كوقع الصياصي في النسيج الممدد[١]

كأن الحسن لايرى التخيير شيئاً، وقال: انما خيرن بين الدنيا والاخرة لا في الطلاق ، وكذلك عندنا أن الخيار ليس بشيء ، غير أن أصحابنا قالوا : انما كان ذلك للنبي ﷺ خاصة، ولما خيرهن لو اخترن أنفسهن لبن ، فأما غيره فلايجوز له ذلك .

ثم قال « يـا نساء النبي لستن كأحد من النساء » انما قال « كأحد » ولم يقل كواحدة، لانأحداً نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة ، أي: لايشبهكن أحد من النساء في جلالة القدر وعظم المنزلة ، ولمكانكن من رسول الله ، بشرط أن تتقين عقاب الله واجتناب معاصيه وامتثال أوامره .

وانما شرط ذلك بالاتقاء لئلا يعولن على ذلك، فيرتكبن المعاصي، ولولا الشرط كان يكون اغراء لهن بالمعاصي ، وذلك لايجوز على الله تعالى .

وقوله «ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى» قال قتادة: التبرج التبختر والتكبر.

وقال غيره : هو اظهار المحاسن للرجال .

ومعنى الجاهلية الاولى ، وهو ما كان قبل الاسلام . وقيل : مـا كان بين آدم ونوح. وقيل : ماكان بين موسى وعيسى . وقيل : ما كان بين عيسى ومحمد .

وقيل : ما كان يفعله أهل الجاهلية ، لانهم كانوا يجوزون لامرأة واحدة رجل وحلم[٢]، فللزوج النصف السفلاني وللحلم الفوقاني من التقبيل والمعانقة ، فنهى الله تعالى عن ذلك أزواج النبي ﷺ. وأما الجاهلية الاخرى، فهو ما يعمل بعد الاسلام بعمل أولئك .

---

(١) مجاز القرآن ٢/١٦١ .

(٢) في التبيان : رجلا وخلا .

ثم قال «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» روى أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وعائشة وأم سلمة وواثلة بن الاسقع أن الاية نزلت في النبي عليه السلام وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

واستدل أصحابنا بهذه الاية على أن في جملة أهل البيت معصوماً لايجوز عليه الغلط ، وأن اجماعهم لايكون الا صواباً ، بأن قالوا : ليس يخلو ارادة الله لاذهاب الرجس عن أهل البيت من أن يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات واجتناب المعاصي، أو يكون عبارة عن أنه أذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع من القبائح .

والاول لايجوز أن يكون مراداً، لان هذه الارادة حاصلة مع جميع المكلفين فلااختصاص لاهل البيت في ذلك ، ولا خلاف أن الله تعالى خص بهذه الاية أهل البيت بأمر لم يشركهم فيه غيره، فكيف يحمل على مايبطل هذا التخصيص، ويخرج الاية من أن يكون لهم فيها فضيلة ومزية على غيرهم .

على أن لفظة «انما» تجرى مجرى ليس، وقد دللنا على ذلك فيما تقدم، وحكيناه عن جماعة من أهل اللغة كالزجاج وغيره .

فيكون تلخيص الكلام ليس يريد الله اذهاب الرجس على هذا الحد الا عن أهل البيت ، فدل ذلك على أن اذهاب الرجس قد حصل فيهم . وذلك يدل على عصمتهم ، واذا ثبت عصمتهم ثبت ما أردناه .

وقال عكرمة : هي أزواج النبي خاصة . وهذا غلط، لانه لو كانت الاية فيهن خاصة لكنى عنهن بكناية المؤنث ، كما فعل في جميع ما تقدم من الايات ، نحو قوله «وقرن في بيوتكم ولا تبرجن وأطعن الله وأقمن الصلاة وآتين الزكاة» فذكر جميع ذلك بكناية المؤنث ، فكان يجب أن يقول : انما يريد الله ليذهب عنكن الرجس أهل البيت ويطهركن. فلما كنى بكناية المذكر دل على أن النساء لامدخل

لهن فيها .

وفي الناس من حمل الاية على النساء ، ومن ذكرناه من أهل البيت هرباً مما قلناه، وقال: اذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فكنى عنهم بكناية المذكر.

وهذا يبطل بما بيناه من الرواية عن أم سلمة وما يقتضيه من كون من تناولته معصوماً ، فالنساء خارجات عن ذلك، وقد استوفينا الكلام في هذه الاية في كتاب الامامة ، من أراده وقف عليه من هناك .

فصل: قوله «وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» الايات : ٣٦ ـ ٤٠ .

بين الله تعالى في الاية أنه لم يكن «لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً» بمعنى الزاماً وحكماً به «أن يكون لهم الخيرة» أي: ليس لهم أن يتخيروا مع أمر رسول الله بشيء يدرك ما أمره به الى ما لم يأذن فيه . والخيرة ارادة اختيار الشيء على غيره .

وفي ذلك دلالة على فساد مذهب المجبرة في القضاء والقدر ، لانه لو كان الله تعالى قضى المعاصي لم يكن لاحد الخيرة ولوجب عليه الوفاء به، ومن خالف في ذلك كان عاصياً ، وذلك خلاف الاجماع .

ثم خاطب النبي عليه السلام فقال واذكر يا محمد حين «تقول للذي أنعم الله عليه» يعني : بالهداية الى الايمان «وأنعمت عليه» بالعتق «أمسك عليك زوجك» أي : احبسها ولا تطلقها ، لان زيداً جاء الى النبي عليه السلام مخاصماً زوجته بنت جحش على أن يطلقها .

فوعظه النبي عليه السلام فقال له: لاتطلقها وامسكها «واتق الله» في مفارقتها «وتخفي في نفسك ما الله مبديه» فالذي أخفي في نفسه أنه ان طلقها زيد تزوجها ، وخشي من اظهار هذا للناس .

وكان الله تعالى أمره يتزوجها اذا طلقها زيد ، فقال الله تعالى له : ان تركت اظهار هذا خشية الناس ، فترك اضماره خشية الله أحق وأولى .

وقال الحسن : معناه وتخشى عيب الناس . وروي عن عائشة أنها قالت : لو كتم رسول الله شيئاً من الوحي لكتم «وتخفي في نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» .

وقيل: ان زيداً لما جاء مخاصماً زوجته، فرآها النبي عليه السلام فاستحسنها وتمنى أن يفارقها زيد حتى يتزوجها فكتم .

قال البلخي : وهذا جائز، لان التمني هو ما طبع عليه البشر ، فلا شيء على أحد اذا تمنى شيئاً استحسنه .

ثم قال «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» نزلت في زيد بن حارثة ، لانهم كانوا يسمونه زيد بن محمد ، فبين الله تعالى أن النبي عليه السلام ليس بأبي أحد منهم من الرجال ، وانما هو أبو القاسم والطيب والمطهر وابراهيم ، وكلهم درجوا في الصغر ، ذكره قتادة .

ثم قال «ولكن» هو «رسول الله» ومن استدل بقوله «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» على أنه لم يكن الحسن والحسين عليهما السلام أبناءه فقد أبعد ، لان الحسن والحسين كانا طفلين ، كما أنه كان أبا ابراهيم عليه السلام وانما نفى أن يكون أبا للرجال البالغين .

فصل : قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلا» الايات : ٤٩ ـ ٥٠ .

خاطب الله تعالى بالاية المؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه بأنه اذا نكح واحد منهم مؤمنة نكاحاً صحيحاً، ثم طلقها قبل أن يمسها، بمعنى قبل

أن يدخل بها بأنه لاعدة عليها منه، ويجوز لها أن تتزوج بغيره في الحال، وأمرهم أن يمتعوها ويسرحوها سراحاً جميلا الى بيت أهلها .

وهذه المتعة واجبة ان كان لم يسم لها مهراً ، وان كان سمى مهراً لزمه نصفه ويستحب المتعة مع ذلك ، وفيه خلاف .

وقال ابن عباس : ان كان سمى لها صداقاً فليس لها الا نصف المهر ، وان لم يكن سمى لها صداقاً متعها على قدر عسره أو يسره، وهوالسراح الجميل، وهذا مثل قولنا سواء .

ثم قال « وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي » فروي عن ابن عباس أنه لا تحل امرأة بغير مهر ، وان وهبت نفسها الاللنبي ﷺ وانما كان ذلك للنبي ﷺ خاصة .

وقال قوم : يصح غير أنه يلزم المهر اذا دخل بها ، وانما جاز بلامهر للنبي خاصة .

والذي تبين صحة ماقلناه قوله «ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين» فبين أن هذا الضرب من النكاح خاص له دون غيره من المؤمنين .

وقوله « قد علمنا مافرضنا عليهم » يعني : على المؤمنين « في أزواجهم» قال قتادة : معناه أي لانكاح الابولي وشاهدين وصداق وألايتجاوز الاربع .

وقال مجاهد : مافرضنا عليهم ألا يتزوجوا بأكثر من أربعة .

وقال قوم : مافرضنا عليهم في أزواجهم من النفقة والقسمة وغير ذلك. وعندنا أن الشاهدين ليسا من شرط صحة انعقاد العقد ، ولاالولي اذا كانت المرأة بالغة رشيدة لانها ولية نفسها .

والمعنى على مذهبنا : انا قد علمنا مافرضناعلى الازواج من مهرهن ونفقتهن

وغير ذلك من الحقوق .

فصل : قوله « ترجي من تشاء منهن وتؤوي من تشاء » الآيات : ٥١ ـ ٥٥ .

قال ابن عباس : خيره الله بين طلاقهن وامساكهن .

وقال قوم : معناه تترك نكاح من شئت وتنكح من تشاء من نساء أمتك .

وقال مجاهد : معناه تعزل من شئت من نسائك ، فلاتأتيها وتأتي من شئت من نسائك ، فلاتقسم لها .

فعلى هذا يكون القسم ساقطاً عنه ، فكان ممن أرجى ميمونة وأم حبيبة وجويرية وصفية وسودة . فكان يقسم من نفسه وماله ماشاء ، وكان ممن يأوي عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ، فكان يقسم بينهن نفسه وماله بالسوية .

وقال زيد بن أسلم : نزلت في اللاتي وهبن أنفسهن ، فقال الله له : تزوج من شئت منهن وتترك من شئت ، وهو اختيار الطبري ، وهو أليق بما تقدم .

والارجاء هو التأخير ، وهو من تبعيد وقت الشيء عن وقت غيره ، ومنه الارجاء في فساق أهل الصلاة ، وهو تأخير حكمهم بالعقاب الى الله .

«وتؤوي منهن من تشاء » فالايواء ضم القادر غيره من الاحياء الذين من جنس مايعقل الى ناحيته ، تقول : آويت الانسان آويه ايواءاً ، وأوى هو يأوي أوياً اذا انضم الى مأواه .

وقوله « لايحل لك النساء من بعد » قال ابن عباس والحسن : يعني بعد التسع اللاتي كن عنده واخترنه مكافأة لهن على اختيارهن الله ورسوله .

وقال أبي بن كعب : لايحل لك من بعد ، أي حرم عليك ماعدا اللواتي ذكرت بالتحليل في « انا أحللنا لك » الاية ، وهو ست أجناس النساء اللاتي هاجرن معه واعطائهن مهورهن وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه ، ومن وهبت نفسها له بجميع ماشاء من العدد لايحل له من غيرهن من النساء.

وقال مجاهد : لايحل لك النساء من أهل الكتاب ويحل لك المسلمات .

وروي أن حكم هذه الاية نسخ وأبيح له من النساء ماشاء أي جنس أراد وكم أراد فروي عن عائشة أنها قالت: لم يخرج النبي ﷺ من دار الدنيا حتى حلل له ماأراد من النساء ، وهو مذهب أكثر الفقهاء ، وهو المروي عن أصحابنا في أخبارنا .

« ولاأن تبدل بهن من أزواج » قال ابن زيد : معناه أن تعطي زوجتك لغيرك وتأخذ زوجته ، لان أهل الجاهلية كانوا يتبادلون الزوجات .

ثم قال «ولا» يحل لكم أيضاً «أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً» لانهن صرن بمنزلة أمهاتكم في التحريم .

وقال السدي : لمانزل الحجاب قال رجل من بني تيم أنحجب من بنات عمنا فان مات عرسنا بهن ، فنزل قوله « ولاأن تنكحوا ازواجه من بعده أبداً » الاية ان ذلك ان فعلتم كان عند الله عظيماً .

ثم استثنى لازواج النبي ﷺ من يجوز لها محادثتهم ومكالمتهم ، فقال« لا جناح عليهن في آبائهن ولاأبنائهن ولااخوانهن ولاأبناء اخوانهن ولاأبناء أخواتهن ولانسائهن ولامامملكت أيمانهن » .

ولم يذكر العم والخال ، لانه مفهوم من الكلام ، لان قرباهم واحدة، لانهن لايحلان[1] لواحد من المذكورين بعقد نكاح على وجه ، فهن محرم لهم ولانسائهن ولامامملكت أيمانهن .

قال قوم: من النساء والرجال وقال آخرون : من النساء خاصة . وهو الاصح.

فصل : قوله «ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » الايات : ٥٦ ـ ٦٠ .

يقول الله تعالى مخبراً أنه يصلي وملائكته على النبي ﷺ ، وصلاة الله تعالى

(١) في التبيان : لايحللن .

عليه هو مايفعل به من كراماته وتفضيله وأعلى درجاته ورفع منازله وثنائه عليه ، وغير ذلك من أنواع اكرامه . وصلاة الملائكة مسألتهم الله تعالى أن يفعل به ﷺ مثل ذلك .

وزعم بعضهم أن يصلون فيه ضمير الملائكة دون اسم الله ، مع افراده[1] بأن الله يصلي على النبي ، لكنه يذهب في ذلك الى أن في افراده بالذكر تعظيماً، ذكره الجبائي .

ثم أمر تعالى المؤمنين المصدقين بوحدانية المقرين بنبوة نبيه أن يصلوا أيضاً عليه ، وهو أن يقولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم . في قول ابن عباس .

ثم أمر المؤمنين أيضاً بأن يسلموا لامره تعالى وأمر رسوله تسليماً في جميع مايأمرهم به . والتسليم هو الدعاء بالسلامة ، كقولهم : سلمك الله ، والسلام عليك ورحمة الله . وكقولك : السلام عليك يارسول الله .

والجلابيب جمع جلباب، وهو خمار المرأة، وهي المقنعة تغطي جبينها ورأسها اذا خرجت لحاجة، بخلاف خروج الاماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباه في قول ابن عباس ومجاهد .

وقال الحسن : الجلابيب الملاحف تدينها المرأة على وجهها « ذلك أدنى أن يعرفن » من الاماء ومن أهل الريبة « فلايؤذين » .

« والمرجفون في المدينة » فالارجاف اشاعة الباطل للاغتمام به ، فالمرجفون هم الذين كانوا يطرحون الاخبار الكاذبة بما يشتغلون به قلوب المؤمنين .

فصل : قوله « ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا » الاية : ٦٧ .

---

(١) في التبيان : اقراده .

فالسادة جمع سيد، وهو المالك[١] المعظم الذي يملك تدبير السواد الاعظم ويقال للجمع الاكثر السوادالاعظم ، يراد به السواد المنافي لشدةالبياض والضياء الاعظم .

فصل : قوله « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا » الاية : ٧٢ .

الامانة هي العقد الذي يلزم الوفاء به مما من شأنه أن يؤتمن على صاحبه، وقد عظم الله شأن الامانة في هذه الاية وأمر بالوفاء بها ، وهو الذي أمر به في سورة المائدة ، وعناه بقوله « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود».

وقيل : في قوله «عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال» مع أن هذه الاشياء كمالات لايصح تكليفها أقوال :

أحدها : أن المراد عرضنا على أهل السماوات وأهل الارض وأهل الجبال .

وثانيها : أن المعنى في ذلك تفخيم شأن الامانة وتعظيم حقها ، وأن من عظم منزلتها أنها لو عرضت على الجبال والسماوات مع عظمها ، وكانت تعلم بأمرها لاشفقت منها ، غير أنه خرج مخرج الواقع ، لانه أبلغ من المقدر .

وقيل : الامانةماخلق الله تعالى في هذه الاشياءمن الدلائل على ربوبيته ، فظهور ذلك منها كأنهم أظهروها، والانسان جحد ذلك وكفر به .

وانما قال « فأبين » ولم يقل فأبوا حملا على اللفظ ، ولم يرده الى معنى الادميين ،كما قال « والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين »[٢] « فظلت أعناقهم لها خاضعين »[٣] حملا على المعنى دون اللفظ .

---

(١) فى التبيان : الملك .

(٢) سورة يوسف : ٤ .

(٣) سورة الشعراء : ٤ .

سورة سبأ

فصل : قوله « الحمد لله الذي له مافي السماوات ومافي الأرض وله الحمد في الاخرة » الاية : ١ .

الحمد هو الشكر ، والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم . والحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم . ونقيضه الذم ، وهو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ، ولايستحق الحمد الاعلى الاحسان .

فلما كان احسان الله لايوازيه احسان أحد من المخلوقين ، فكذلك لايستحق الحمد أحد من المخلوقين مثل مايستحقه . وكذلك يبلغ شكره الى حد العبادة ، ولايستحق العبادة سوى الله تعالى ، وان استحق بعضنا على بعض الشكر والحمد.

«وله الحمد» في الاولى يعني في الدنيا بما أنعم على خلقه من فنون الاحسان «وفي الاخرة» يفعل بهم من الثواب والعوض وضروب التفضل .

والاخرة وان كانت ليست دار تكليف فلا يسقط فيها الحمد والاعتراف بنعم الله تعالى ، بل العباد ملجؤون الى فعل ذلك ، لمعرفتهم الضرورية بنعم الله تعالى عليهم .

ومايفعل من العقاب بالمستحقين فيه أيضاً احسان ، لما للمكلفين به في دار الدنيا من الالطاف والزجر عن المعاصي ، يفعل الله تعالى لكونه مستحقاً على معاصيه في دار الدنيا .

ومن حمد أهل الجنة قولهم «الحمد لله الذي صدقنا وعده» وقولهم «الحمد لله الذي هدانا لهذا » .

وقيل : انما يحمده أهل الاخرة من غير تكليف على وجه السرور به .

فصل : قوله « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر» الاية : ١٢ .

قال قتادة :كان مسيرها به الى انتصاف النهار في مقدار مسير شهر،ورواحها شهر من انتصاف النهار الى الليل في مقدار مسير شهر .

وقال الحسن :كان يغدو من الشام الى بيت المقدس ، فيقيل باصطخر من ارض اصبهان ، ويروح منها فيكون بكابل .

« وأسلنا له عين القطر » قال ابن عباس وقتادة : أذبنا له النحاس . والقطر النحاس .

فصل : قوله « فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر » الاية : ١٦.

لما أخبر الله تعالى عن سبأ ، وهي القبيلة من اليمن أنه أنعم عليهم بالجنتين وبالبلدة الطيبة ، وأمرهم بشكر نعمه «فأعرضوا» عن ذلك ، جازاهم الله على ذلك بأن أرسل عليهم سيل العرم ، وسلبهم تلك النعمة ، وأنزل بهم البلية .

والسيل الماء الكثير الذي لايمكن ضبطه ولادفعه .

وقيل : العرم ماء كثير أرسله الله في السد ، فشقه وهدمه ، قال الراجز :

أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة[1]

وقيل : ان العرم المسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة ، وهو مأخوذ من عرامة الماء ، وهو ذهابه كل مذهب ، قال الاعشى :

ففي ذلك للمؤتسي اسوة ومأرب قفى عليه العرم

رجام بنته له حمية اذا جاء ماؤهم لم ترم

وقيل :كان سببه زيادة الماء حتى غرقوا به . وقيل :كان سببه نقب جرذ نقب عليهم السكر . وقيل : العرم السكر .

وقيل . المطر الشديد . وقيل : هو اسم واد . وقيل : هو الجرذ الذي نقب

(١) اللسان «غلل» .

السكر .

والاكل جنا الثمار الذي يؤكل . والخمط كل نبت قدأخذ طعماً من المرارة حتى لايمكن أكله ، في قول الزجاج . وقال أبو عبيدة : هو كل شجر ذي شوك. وقال ابن عباس والحسن : هو شجر الاراك وهو معروف .

والاثل الطرفا . قال قتادة : بدلوا بخير الشجر شر الشجر ، فالخمط شجرله ثمرمر ، والاثل ضرب من الخشب مثل الطرفا الأأنه أكبر .

فصل : قوله « قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير * قل من يرزقكم من السماوات والارض قل الله وانا أوإياكم لعلى هدى أوفي ضلال مبين» الاية : ٢٣ ـ ٢٤ .

قوله «العلي الكبير» أي: الله المستعلى على الاشياء بقدرته ،لامن علوالمكان «الكبير» في أوصافه دون ذاته ، لان كبر الذات من صفات الاجسام .

ثم قال «وانا أوإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» .

وقيل: انما قال«انا أوإياكم» على وجه الانصاف في الحجاج دون الشك، كما يقول القائل لغيره : أحدنا كاذب وان كان هو عالماً بالكاذب . وعلى هذا قال أبو الاسود الدؤلي يمدح أهل البيت :

يقول الارذلون بنو قشير طول الدهر ماتنسى علياً
بنو عم النبي وأقربوه أحب الناس كلهم اليا
فان يك حبهم رشداً أصبه ولست بمخطىء ان كان غياً

ولم يقل هذا مع أنه كان شاكاً في محبتهم ، وأنه هدى وطاعة .

وقال أكثر المفسرين : ان معناه انا لعلى هدى واياكم لعلى ضلال .

وقال ابو عبيدة : أو بمعنى الواو ،كما قال الاعشى :

أتغلبـه الفـوارس أورياحا عدلت بهم طهية والحشايا[١]

فصل : قوله « قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحى الي ربي انه سميع قريب » الاية : ٥٠ .

أي : ان عدلت عن الحق « فانما أضل على نفسي » لان ضرره يعود علي ، لاني أؤاخذ به دون غيري « وان اهتديت » الى الحق « فبما يوحى الي ربي انه سميع قريب » أي : يسمع دعاء من يدعوه قريب الى اجابته .

وفـي الاية دلالة على فساد قول المجبرة ، لانه قال « وان ضللت » فأضاف الضلال الى نفسه ولم يقل فبقضاء ربي وارادته .

سـورة المـلائكة

فصـل : قولـه « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولاتضع الابعلمه ولايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا في كتاب » الاية : ١١ .

هذا خطاب من الله تعالى لجميع الخلق من البشر أنه خلقهم من تراب ويريد أن آدم الذي هو أبوهم ، ومنه انتسلوا خلقه من تراب ، ومنه توالدوا .

وقيـل : ان المراد به جميع الخلق ، لانهم اذا خلقهم من نطفة ، والنطفة تستحيل من الغذاء ، والغذاء يستحيل من التراب ، فكأنه خلقهم من تراب ، ثم جعل التراب نطفة بتدريج .

وعلى الاول يكون قوله « ثم من نطفة » معناه ثم خلق أولاد آدم من نطفة الا من استثناه من عيسى في قوله « ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب »[٢] .

---

(١) مجاز القرآن ١٤٨/٢ .

(٢) سورة آل عمران :٥٩ .

وقوله « ثم جعلكم أزواجاً » أي : أشكالا ، لان الزوج هو الذي معه آخر من شكله ، فالاثنان زوجان .

« ومايحمل من أنثى ولاتضع الابعلمه » معناه : ليس تحمل الانثى من حمل بولد ، ولاتضعه لتمام أو لغير تمام الاوالله تعالى عالم به ، لأن علمه آلة في ذلك ولايدل ذلك على أن له علماً يعلم به ، لان المراد ماذكرناه ، من أنه لايحصل شيء من ذلك الاوهو عالم به .

وقوله « ومايعمر من معمر » فالعمر مدة الاجل للحياة ، وهو تفضل من الله تعالى على خلقه ، يختلف مقداره بحسب مايعلم من مصالح خلقه ، كما يختلف الغنى والفقر والقوة والضعف .

فصل : قوله « ومايستوي الاعمى والبصير » الاية : ١٩ .

معناه : لايتساوى الاعمى عن طريق الحق والعادل عنها . والبصير الذي يهتدي اليها قط ، لان الاول يستحق العقاب ، والثاني يستحق الثواب .

فصل: قوله «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » الاية : ٣٢ .

الاصطفاء الاختيار باخراج الصفوة من العباد .

ومعنى الاية أن الله تعالى أورث علم الكتاب الذي هو القرآن الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم على جميع الخلق من الانبياء المعصومين، والائمة المجتبين الذين لايجوز عليهم الخطأ ولافعل القبيح لاصغيراً ولاكبيراً، ويكون قوله «فمنهم ظالم لنفسه » راجعاً الى عباده .

وتقديره: فمن عبادنا ظالم لنفسه، ومن عبادنا مقتصد، ومن عبادنا سابق بالخيرات لان من اصطفاه الله تعالى لايكون ظالماً لنفسه . ولايجوز أن يرجع الكناية الى الذين اصطفينا .

وقال ابن عباس: الذين أورثهم الله الكتاب هم أمة محمد ورثهم الله كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسبهم حساباً يسيراً، وسابقهم يدخلون الجنة بغير حساب ، وبه قال ابن مسعود وكعب الاحبار . ومعنى الارث انتهاء الحكم اليهم .

سورة يس

فصل : قوله « لتنذر قوماً ماأنذر آباؤهم فهم غافلون » الايات : ٦ ـ ٨ .

معناه : أنه أنزل القرآن ليخوف به من معاصي الله قوماً لم ينذر آباؤهم. قيل: أراد به قريشاً أنذروا بنبوة محمد .

وقيل : في معناه قولان :

أحدهما : قال عكرمة : معناه لتنذر قوماً مثل الذي أنذر أباؤهم .

الثاني : قال قتادة : معناه لتنذر قوماً لم تنذر آباؤهم قبلهم ، يعني في زمان الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ « فهم غافلون » عما تضمنه القرآن وعما أنذر الله به من نزول العذاب .

ومثل الغفلة السهو ، وهو ذهاب المعنى عن النفس ، ومثله النسيان ، وهو ذهاب الشيء عن النفس بعد حضوره فيها .

وقوله « فهم مقمحون » فالمقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه .

وقيل : هو المقنع ، وهو الذي يجذب ذقنه حتى يصير في صدره ثم يرفع والقمح من هذا رفع الشيء الى الفم ، والبعير القامح هو الذي اذا أورد الماء في الشتاء رفع رأسه وشال به نصباً لشدة البرد ، قال الشاعر :

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح[1]

(١) اللسان « قمح » .

وقال ابن عباس: الذين أورثهم الله الكتاب هم أمة محمد ورثهم الله كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسبهم حساباً يسيراً، وسابقهم يدخلون الجنة بغير حساب ، وبه قال ابن مسعود وكعب الاحبار . ومعنى الارث انتهاء الحكم اليهم .

سورة يس

فصل : قوله « لتنذر قوماً ماأنذر آباؤهم فهم غافلون » الايات : ٦ ـ ٨ .

معناه : أنه أنزل القرآن ليخوف به من معاصي الله قوماً لم ينذر آباؤهم. قيل: أراد به قريشاً أنذروا بنبوة محمد .

وقيل : في معناه قولان :

أحدهما : قال عكرمة : معناه لتنذر قوماً مثل الذي أنذر أباؤهم .

الثاني : قال قتادة : معناه لتنذر قوماً لم تنذر آباؤهم قبلهم ، يعني في زمان الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ « فهم غافلون » عما تضمنه القرآن وعما أنذر الله به من نزول العذاب .

ومثل الغفلة السهو ، وهو ذهاب المعنى عن النفس ، ومثله النسيان ، وهو ذهاب الشيء عن النفس بعد حضوره فيها .

وقوله « فهم مقمحون » فالمقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه .

وقيل : هو المقنع ، وهو الذي يجذب ذقنه حتى يصير في صدره ثم يرفع والقمح من هذا رفع الشيء الى الفم ، والبعير القامح هو الذي اذا أورد الماء في الشتاء رفع رأسه وشال به نصباً لشدة البرد ، قال الشاعر :

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح[1]

(١) اللسان « قمح » .

الموتة[١] بين الحالين .

ويحتمل لو كان متصلا أن يكون ذلك عبارة عن عظم مايشاهدونه ويحصلون[٢] فيه يوم القيامة : فكأنهم كانوا قبل ذلك في مرقد ، وان كانوا في عذاب لما كان قليلا بالاضافة الى الحاصل .

فصل : قوله « ولقد أضل منكم جبلا كثيراً » الايات : ٦٢ ـ ٦٥ .

يعني : أضل عن الدين الشيطان « منكم جبلا كثيراً » أي: خلقاً كثيراً، واضلاله اياهم هو اغواؤه لهم ،كما أضل السامري قوم موسى لما دعاهم الى عبادة العجل فكان الاضلال على هذا الوجه قبيحاً .

فأما اضلال الله تعالى للكفار عن طريق الجنة الى طريق النار ، أو اضلالهم بمعنى الحكم عليهم بالضلال ، فهو حسن . وأمر الشيطان بالضلال الذى يقع معه القبول اضلال ،كما يسمى الامر بالاهتداء الذى يقع عنده القبول هدى .

وفي الاية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في ارادة الله تعالى اضلالهم ، لان ذلك أضر عليهم من ارادة الشيطان وأشد عليهم في ايجاب العداوة .

ثم أخبر تعالى بأنه يختم على أفواه الكفار يوم القيامة، فلايقدرون على الكلام والنطق «وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» وقيل : في معنى شهادة الايدى قولان :

أحدهما: أن الله تعالى يخلقها خلقة يمكنها أن تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها.

والثاني: أن يجعل الله فيها كلاماً ونسبه اليها لما ظهر من جهتها.

وقال قوم : انه يظهر فيها من الامارات ما يدل على أن أصحابنا عصوا بها وجنوا بها أقبح الجنايات ، فسمى ذلك شهادة ،كما يقول القائل : عيناك تشهد

---

(١) فى التبيان : النومة .

(٢) فى التبيان : ويحضرون .

بسهرك ، قال الشاعر :

امتلا الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وكل ذلك جائز .

فصل : قوله «وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين» الايات : ٦٩ ـ ٧٠ .

معناه : ما علمناه الشعر ، لانا لو علمناه لدخلت به الشبهة على قوم فيما أتى به من القرآن وأنه قدر على ذلك بما طبعه في القطنة للشعر .

وقوله «من كان حياً» قيل: معناه من كان مؤمناً، لان الكافر شبهه ومثله بالاموات في قوله «أموات غير أحياء»(١).

فصل : قوله «الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون» الاية: ٨٠ .

فبين أن من قدر على أن يجعل في الشجر الاخضر الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامياً مع تضاد النار للرطوبة حتى اذا احتاج الانسان حك بعضه ببعض وهو المزح والعفار فمن قدر على ذلك لايقدر على الاعادة .

ثم قال تعالى «انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» والمعنى بذلك الاخبار عن تسهل الفعل عليه، وأنه اذا أراد فعل شيء فعله، بمنزلة ما يقول للشيء «كن فيكون» في الحال ، وهو مثل قول الشاعر :

وقالت له العينان سمعاً وطاعة وحدرتا بالدر لما يثقب

وانما أخبر عن سرعة دمعه دون أن يكون قولا على الحقيقة .

سورة الصافات

فصل : قوله «والصافات صفا * فالزاجرات زجراً * فالتاليات ذكراً» الايات

(١) سورة النحل : ٢١ .

١ - ٣ .

وقال مسروق وقتادة والسدي: انالصافات صفاً هي الملائكة صفوف[١] في السماء .

« فالزاجرات زجراً» قال السدي ومجاهد. هم الملائكة يزجرون الخلق عن المعاصي زجراً يوصل الله مفهومه الى قلوب العباد ،كما يوصل مفهوم اغواء الشيطان الى قلوبهم ليصح التكليف . وقيل : انها تزجر السحاب في سوقه .

وقوله «والتاليات ذكراً» قيل : فيه ثلاثة أقوال: أحدهما- قال مجاهد والسدي هم الملائكة تقرأ كتب الله تعالى .

فصل : قوله «ولهم عذاب واصب» الاية : ٩ .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد : معناه أن لهم مع ذلك أيضاً عذاب دائم[٢] يوم القيامة ، ومنه قوله «وله الدين واصباً»[٣] أي : دائماً، قال أبو الاسود:

لااشتري[٤] الحمد القليل بقاؤه يوماً بذم الدهر أجمع واصباً

فصل : قوله « انا خلقناهم من طين لازب » الاية : ١١ .

والمراد أن خلق آدم من طين ، وأن هؤلاء نسله وذريته ، فكأنهم خلقوا من الطين .

ومعنى «لازب» لازم . وقال ابن عباس : اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد . وقال قتادة : هو الذي يلتزق باليد .

ومن قال معنى « لازب » لازم قال : أبدلت من الميم الباء ، لانها مخرجها

---

(١) في التبيان : مصطفون .

(٢) في التبيان : عذاباً دائماً .

(٣) سورة النحل : ٥٢ .

(٤) في التبيان : لاابتغي .

يقولون : طين لازم وطين لازب ، قال النابغة :

ولايحسبون الخير لاشر بعده ولايحسبون الشرضربة لازب[١]

فصل : قوله « قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين » الاية : ٢٨ .

حكاية مايقول الكفار لمن قبلوا منهم : انكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمين والبركة، فلذلك اغتررنا بكم ، والعرب تتيمن بما جاء من جهة اليمين.

وقال الفراء : معناه انكم كنتم تأتوننا من قبل اليمين ، فتخدعونا من أقوى الوجوه . واليمين القوة ، ومنه قوله «فراغ عليهم ضرباً باليمين»[٢] أي :بالقوة .

فصل : قوله « فحق علينا قول ربنا » الاية : ٣١ .

أخبروا أيضاً وقالوا «فحق علينا» أيضاً ، أي : وجب علينا «قول ربنا» فانا لانؤمن ونموت على الكفر، أووجب علينا قول ربنا، فالعذاب الذي يستحق على الكفر والاغواء .

«انا لذائقون» العذاب ، بمعنى انا ندركه كما ندرك المطعوم بالذوق .

فصل : قوله « لافيها غول » الاية : ٤٧ .

معناه : لايكون في ذلك الشراب «غول»أي : فساد يلحق العقل خفياً ، يقال: اغتاله اغتيالا اذا أفسد عليه أمره ، ومنه الغيلة وهي القتل سراً .

وقال ابن عباس «لافيها غول» معناه لايكون فيها صداع ولاأذى ،كما يكون في خمر الدنيا قال الشاعر :

ومازالت الكأس تغتالنا ونذهب بالاول الاول[٣]

فهذا من الغيلة ، أي : نصرع واحد بعد واحد « ولاهم عنهم ينزفون » أي :

---

(١) مجاز القرآن ٢/١٦٧ .

(٢) سورة الصافات : ٩٣ .

(٣) مجاز القرآن ٢/١٦٩ .

ولايسكرون . والتنزيف السكران لانه ينزف عقله .

فصل : قوله « أئنا لمدينون » الاية :٥٣ .

معناه :لمجزيون مشتق من قولهم «كما تدين تدان»أي :كما تجزي تجزى، والدين الحساب ، ومنه الدين لان جزاءه القضاء .

وقال ابن عباس: القرين الذي كان شريكاً له كان من الناس. وقال مجاهد: كان شيطاناً .

فصل : قوله « لمثل هذا فليعمل العاملون » الايات : ٦١ ـ ٧٠ .

يقول الله تعالى ثم تمام الحكاية عن قول المؤمن للكافر «لمثل هذا» يعني لمثل ثواب الجنة ونعيمها «فليعمل العاملون» في دار التكليف ، ويحسن من العامل أن يعمل العمل للثواب اذا أوقعه على الوجه الذي تدعوا اليه الحكمة من وجوب أو نـدب .

قال الرماني : ألا ترى أنه لو عمل القبيح ليثاب على ماتدعو اليه الحكمة لاستحق الثواب اذا خلص من الاحباط .

وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لان القبيح لايجوز أن يستحق عليه الثواب على وجه ، فان عرض في القبيح وجوه كثيرة من وجوه الحسن ، فانه لايعتدبها.

فان علمنا فيما ظاهره القبح أنه وقع على وجه يستحق به الثواب علمنا أنـه خرج من كونه قبيحاً ، ومثال ذلك اظهار كلمة الكفر عند الاكراه عليها ، أوالانكار لكون نبي بحضرته لمن يطلبه ليقتله ، فان هذا وان كان كذباً في الظاهر، فلابد أن يؤري المظهر بما يخرجه عن كونه كاذباً ، ومتى لـم يحسن التورية منع الله مـن اكراهه عليه .

وفي الناس من يقول : يجب عليه الصبر على القتل ولايحسن منه الكذب ، ومتى كان ممن يحسن التورية ولم يور كان القول منه كذباً وقبيحاً ولايستحق به الثواب.

فأما الاكراه على أخذ مال الغير، أوادخال ضررعليه دون القتل ، فمتى علمنا بالشرع وجوب فعل ذلك عند الاكراه أو حسنه ، علمنا أنه خرج بذلك من كونه قبيحاً ، وأن الله ضمن من العوض عليه مايخرجه عن كونه قبيحاً ،كمانقول في ذبح البهائم . ومتى لم يعلم بالشرع ذلك ، فانه يقبح ادخال الضررعلى الغيروأخذماله.

فأما ادخال الضرر على نفسه ببذل مال ، أوعمل جراح ليدفع بذلك عن نفسه ضرراً أعظم منه ، فانه يحسن .لانه وجه يقع عليه الالم ، فيصير حسناً . وهذاباب أحكمناه في كتاب الاصول ، لايحتمل هذا الموضع أكثر منه .

وقوله «أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم» انما جاز ذلك مع أنه لاخير في الزقوم لامرين :

أحدهما : على الحذف ، بتقديرأسبب هذا الذي أدى اليه خير أم سبب ذلك النار ،كأنهم قالوا فيه خير لما عملوا ماأدى اليه .

والنزل الفضل طعام له نزل ونزل ، أي فضل ريع .

والزقوم قيل : هو ثمر شجرة منكرة جداً من قولهم «يزقم هذا الطعام» اذا تناوله على تكره ومشقة شديدة . وقيل : شجرة الزقوم ثمرة مرة خشنة منتنة الرائحة .

وقوله «طلعها كأنه رؤوس الشياطين» قيل : في تشبيه ذلك برؤوس الشياطين مع أن رؤوس الشياطين لم ترقط ثلاثة أقوال :

أحدها : أن قبح صورة الشيطان متصور في النفس ، ولذلك يقولون لشيء يستقبحونه جداً كأنه شيطان ، وقال امرء القيس :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال[1]

فشبه بأنياب أغوال وهي لم تر ، ويقولون :كأنه رأس شيطان وانقلب علي

(١) ديوان امرء القيس ص ١٦٢ .

كأنه شيطان .

والثاني: أنه شبه برأس حية تسميها العرب شيطاناً .

الثالث : أنه شبه بنبت معروف برؤوس الشياطين .

فصل : قوله « ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم » الايات : ٧٥ ـ ٧٦ .

فالنجاة هو الرفع من الهلاك ، وأصله الرفع ، فمنه النجوة المرتفع من المكان ، ومنه النجى النجى كقولهم الوحى الوحى ، والاستنجاء رفع الحدث .

والكرب الحر[١] الثقيل على القلب ، والكرب[٢] تحرير الارض باصلاحها للزراعة ، والكرب هو الذي يحمي قلب النخلة باحاطته بها وصيانته لها .

فصل : قوله « انه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الاخرين * وان من شيعته لابراهيم » الايات : ٨١ ـ ٨٣ .

الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم ، وصار بالعرف عبارة عن شيعة علي عليه السلام الذين معه على أعدائه .

وقيل : من شيعة نوح ابراهيم ، يعني انه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق .

فصل: قوله « فنظر نظرة في النجوم * فقال اني سقيم » الايات: ٨٨ ـ ٨٩.

قيل : معناه « نظر نظرة في النجوم » أنه استدل بها على وقت حمى كانت تعتاده « فقال اني سقيم » ومن اشرف على شيء جاز أن يقال: انه فيه ، كما قال تعالى « انك ميت وانهم ميتون »[٣] ولم يكن نظره في النجوم على حسب نظر

---

(١) في التبيان : الحزن .

(٢) في النسخ : والكراب .

(٣) سورة الزمر : ٣٠ .

المنجمين طلباً للاحكام ، لان ذلك فاسد ، ومثله قول الشاعر :

أسهري ما سهرت أم حكيم واقعدي مرة لذاك وقومي

وافتحي الباب وانظري في النجوم كم عاينا من قطع ليل بهيم

وقال الزجاج : نظر في النجوم كنظرهم ، لانهم كانوا يتعاطون علم النجوم فتوهمهم[1] أنه يقول مثل قولهم ، فقال عند ذلك « اني سقيم » فتركوه ظناً منهم أن نجمه يدل على سقمه .

وقال أبومسلم : معناه أنه نظر فيها نظر مفكر ، فاستدل بهاعلى أنها ليست آلهة له ، كما قال تعالى في سورة الانعام « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي »[2] تمام الايات ، وكان هذا منه في زمان مهلة النظر .

وهذا الذي ذكره يمنع منه سياق الاية ، لان الله تعالى حكى عن ابراهيم أنه جاء ربه بقلب سليم ، يعني سليم من الشرك ، وذلك لايليق بزمان مهلة النظر .

ثم انه قال لقومه على وجه التقبيح لفعلهم « ماذا تعبدون أئفكاً آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين » وهذا كلام عارف بالله مستبصر ، فكيف يحمل على زمان مهلة النظر .

وقيل : في معنى قوله «اني سقيم» أي : سقيم القلب فيما أرى من أحوالكم القبيحة من عبادة غير الله وعدولكم عن عبادته ، مع وضوح الدلالة الدالة على توحيده واستحقاقه للعبادة منفرداً بها . وقيل : معناه أي سأسقم في المستقبل .

فأما من قال : انه لم يكن سقيماً وانما كذب فيه ليتأخر عن الخروج معهم الى عيدهم ليكسر أصنامهم ، وأنه يجوز الكذب في المكيدة والتقية، فقوله باطل لان الكذب قبيح لايحسن على وجه .

---

(١) في التبيان : فتوهموا هم .

(٢) سورة الانعام : ٧٦ .

فأما ما يروونه من أن النبي عليه السلام قال : ماكذب أبي ابراهيم الا ثلاث كذبات يحاجز بها عن ربه : قوله «اني سقيم» ولم يكن كذلك ، وقوله «بل فعله كبيرهم» وقوله في سارة انها اختي وكانت زوجته .

فأول ما فيه أنه خبر واحد لا يعول على مثله ، والنبي عليه السلام أعرف بما يجوز على الانبياء وما لا يجوز من كل أحد . وقد دلت الادلة العقلية على أن الانبياء لايجوز أن يكذبوا فيما يؤدونه عن الله ، من حيث أنه كان يؤدي الى أن لايثق بشيء من أخبارهم ، والى أن لاتنزاح علة المكلفين ، ولا في غير ما يؤدونه عن الله ، من حيث أن تجويز ذلك ينفر عن قبول قولهم ، فاذن يجب أن يقطع على أن الخبر لا أصل له .

ولو سلم لجاز أن يكون المعنى ما ظاهره الكذب ، وان لم يكن في الحقيقة كذباً ، لان قوله «اني سقيم» قد بينا الوجه فيه . وقوله «بل فعله كبيرهم » بيناه في موضعه .

وقوله في سارة انها أختي معناه انها اختي في الدين وقد قال تعالى « انما المؤمنون اخوة»[1] فجعلهم اخوة وان لم يكونوا بني أب واحد .

فصل : قوله «فراغ عليهم ضرباً باليمين» الايات : ٩٣ ـ ١٠١ .

قيل : في معناه قولان :

أحدهما : أنه مال عليهم بيده اليمنى ، لانها أقوى على العمل من الشمال .

الثاني : بالقسم ليكسرنها ، لانه كان قال «وتا لله لاكيدن أصنامكم»[2].

وقال الفراء : اليمين القوة . ومنه قول الشاعر :

* تلقاها عرابة باليمين *

---

(١) سورة الحجرات : ١٠ .

(٢) سورة الانبياء : ٥٧ .

قوله «أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون» الالف ألف استفهام ومعناها الانكار ، ووجه التوبيخ أنه كيف يصح أن يعبد الانسان ما يعمله بيده ، فانهم كانوا الذين ينحرون الاصنام بأيديهم ، فكيف تصح عبادة من هذه حاله ، مضافاً الى كونها جماداً .

ثم نبههم فقال «والله» تعالى هو الذي «خلقكم» وخلق الذي «تعملون» فيه من الاصنام، لانها أجسام والله تعالى هو المحدث لها، وليس للمجبر أن يتعلق بقوله «والله خلقكم وما تعملون» فيقول : ذلك يدل على أن الله خالق لافعالنا لامور :

أحدها : أن موضوع كلام ابراهيم مبني على التقريع لهم لعبادتهم الاصنام فلو كان ذلك من فعله تعالى لما توجه عليهم العتب ، بل كان لهم أن يقولوا : ولم يوبخنا على عبادتنا للاصنام والله الفاعل لذلك، وكانت تكون الحجة لهم لا عليهم.

الثاني: أنه قال لهم «أتعبدون ما تنحتون» ونحن نعلم أنهم لم يكونوا يعبدون نحتهم الذي هو فعلهم، وانما كانوا يعبدون الاصنام التي هي الاجسام ، وهي فعل الله بلاشك ، فقال لهم «والله خلقكم» وخلق هذه الاجسام .

ومثله قوله «فاذا هي تلقف ماياًفكون»[1] ومثله قوله «وألق مافي يمينك تلقف ما صنعوا»[2] وعصى موسى لم يكن تلقف افكهم ، وانما كانت تلقف الاجسام التي هي العصى والحبال .

ومنها أن «ما» في قوله «وما تعملون» لايخلو أن يكون بمعنى «الذي» أو مع ما بعدها بمنزلة المصدر ، فان كانت بمعنى الذي فيعملون صلتها ، ولابد لها من عائد يعود اليها ، وليس لهم أن يقدروا فيها ضمير الهاء ليصح ما قالوه ، لان لنا أن نقدر ضميراً فيه فيصح ما نقوله .

---

(١) سورة الاعراف : ١١٦ .

(٢) سورة طه : ٦٩ .

ويكون التقدير : وما يعملون فيه . والذي يعملون فيه هي الاجسام وان كانت مصدرية ، فانه يكـون تقديره : والله خلقكم وعملكم ، ونفس العمل يعبر به عن المعمول فيه، بل لايفهم في العرف الا ذلك، يقولون : فلان يعمل الخوص وفلان يعمل السروج، وهذا الباب من عمل النجار، والخاتم من عمل الصائغ، ويريدون بذلك كله ما يعملون فيه .

فعلى هذا يكون الاوثان عملا لهم بما يحدثون فيها من النحت والنجر ، على أنه تعالى أضاف العمل اليهم بقوله «وما تعملون» فكيف يكون ماهو مضاف اليهم مضافاً الى الله تعالى ، وهل يكون ذلك الا متناقضاً .

ومنها أن الخلق في أصل اللغة هو التقدير للشيء وترتيبه، فعلى هذا لايمتنع أن يقول: ان الله خالق أفعالنا، بمعنى أنه قدر لها الثواب والعقاب، فلا تعلق للقوم على حال.

فصل: قوله «فلما بلغ معه السعي قال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى» الايات : ١٠٢ ـ ١١١ .

«فلما بلغ» مع أبيه «السعي» يعني في طاعة الله. قال الحسن سعى للعمل الذي تقوم به الحجة .

وقال مجاهد : بلـغ معه السعي معناه أطاق أن يسعى معه ويعينه على أموره وهو قول الفراء . وقال ابن زيد : السعي في العبادة .

«قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى» وكان الله تعالى أوحى الى ابراهيم في حـال اليقظة وتعبده أن يمضي ما يأمره به في حال نومه من حيث أن منامات الانبياء لاتكون الا صحيحة ، ولو لم يأمره به في اليقظة لما جاز أن يعمل على المنامات أحب أن يعلم ابنه في صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته ، فلذلك قال له «ماذا ترى» والا فـلا يجوز أن يوآمر في المضي في أمر الله ابنه ، لانـه واجب على كل حـال ، ولا يمتنع أن يكون فعل ذلك بـأمر الله

أيضاً ، فوجده عند ذلك صابراً مسلماً لامر الله .

«فلما أسلما» يعني : ابراهيم وابنه أي استسلما لامر الله ورضيا به أخذ أبيه «وتله للجبين» معنى تله صرعه ، والجبين ما عن يمين الجبهة وشمالها ، وللوجه جبينان الجبهة بينهما . وقال الحسن : معنى تله أضجعه .

واختلفوا في الذبيح، فقال ابن عباس وعبدالله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب والحسن في احدى الروايتين عنه والشعبي : انه كان اسماعيل وهو الظاهر في روايات أصحابنا ، ويقويه قوله بعد هذه القصة وتمامها «وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين» فدل على أن الذبيح كان اسماعيل.

ومن قال : انه يشير بنبوة اسحاق دون مولده فقد ترك الظاهر ، لان الظاهر يقتضي البشارة باسحاق دون نبوته .

ويدل عليه أيضاً قوله « فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب» ولم يذكر اسماعيل ، فدل على أنه كان مولوداً قبله . وأيضاً فانه بشره باسحاق وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يأمره بذبحه مع ذلك. وأجابوا عن ذلك بأن الله لم يقل ان يعقوب يكون من ولد اسحاق. وقالوا أيضاً : يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب.

والاول هو الاقوى على مابيناه . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : أنا ابن الذبيحين . ولاخلاف انه كان من ولد اسماعيل ، والذبيح الاخر عبدالله أبوه .

وفي الناس من استدل بهذه الاية على جواز النسخ قبل وقت فعله ، من حيث أن الله تعالى كان أمره بذبح ولده ، ثم نسخ عنه قبل أن يفعله .

ولا يمكننا أن نقول : ان الوقت كان قد مضى ، لانه لو أخره عن الوقت الذي أمره به فيه لكان عاصياً ، ولاخلاف أن ابراهيم لم يعص بذلك، فدل على أنه نسخ عنه قبل وقت فعله .

ومن لم يجز النسخ قبل وقت فعله ، أجاب عن ذلك بثلاثة أجوبة :

أحدها : أن الله أمر ابراهيم أن يقعد منه مقعد الذابح ويشديديه ورجليه ويأخذ المدية ويتركها على حلقه ، وينتظر الامر بامضاء الذبح على مارأى في منامه، وكل ذلك فعله ولم يكن أمراً بالذبح ، وان سمي مقدمات الذبح بالذبح لقربه منه ، وغلبة الظن أنه سيؤمر بذلك على ضرب من المجاز .

الثاني : أنه أمره بالذبح وذبح وكلما فرى جزء من حلقه وصله الله بلافصل حتى انتهى الى آخره، فاتصل به وصل الله تعالى قدرفعل ماأمره به ولم يبن الرأس ولاانتفى الروح .

الثالث : أنه أمر بالذبح بشرط التخلية والتمكين، فكان كما روي أنه كلما اعتمد بالشفرة انقلبت وجعل على حلقه صفيحة من نحاس .

وهذا الوجه ضعيف، لان الله تعالى لايجوز أن يأمر بشرط ، لانه عالم بالعواقب وانما يأمر الواحد منا بشرط ذلك، لانه لايعلم العواقب ، ولان فيه أنه أمر بمامنع وهذا عبث .

وأما شبهة من قال : انه فداه بذبح ، فدل ذلك على أنه كان مأموراً بالذبح على الحقيقة ، اعتراضاً على الوجه الاول، لان من شأن الفداء أن يكون من جنس المفدي .

فليس بشيء، لانه لايلزم ذلك. ألاترى أن من حلق رأسه وهو محرم يلزمه دم وكذلك اذا لبس ثوباً مخيطاً أوشم طيباً أو جامع ، وان لم يكن جميع ذلك من جنس المفدي .

وقوله «ان هذا لهو البلاء المبين» أي : الاحسان[1] الظاهر. وقيل: هو النعمة الظاهرة، وتسمى النعمة بلاء والنقمة أيضاً بلاء، من حيث أنها سميت بسببها المؤدي اليها ،كما يقال لاسباب الموت هو الموت بعينه .

---

(١) في التبيان : الاختبار .

والفداء جعل الشيء مكان غيره لدفع الضرر عنه، ومنه فداء المسكين بالمشركين لدفع ضرر الاسر عنهم. فكذلك فدى الله ابراهيم بالكبش ليدفع ضرر الذبح عنه.

وقوله « وتركنا عليه » يعني: على ابراهيم « في الاخرين » يعني : أثنينا عليه الثناء الحسن في أمة محمد لانهم آخر الامم بأن قلنا « سلام على ابراهيم » .

فصل : قوله « وان الياس لمن المرسلين » الايات : ١٢٣ ـ ١٢٥ .

من أضاف أراد به على آل محمد ﷺ ، لان « يس» اسم من أسماء محمد على ماحكيناه .

وقال بعضهم : أراد آل الياس عليه السلام . وقال الجبائي : أراد أهل القرآن. ومن لم يضف أراد الياس ، وقال : الياسين ، لان العرب تغير الاسماء الاعجمية بالزيادة كما يقولون : ميكائيل وميكائين وفي اسماعيل اسمعين ، قال الشاعر :

يقول أهل السوق لما جينا هذا ورب البيت اسرائينا

أي : اسرائيل .

قوله « أتدعون بعلا » قال الحسن والضحاك وأبو زيد : المراد بالبعل هاهنا صنم كانوا يعبدونه .

والبعل في لغة أهل اليمن هو الرب ، يقولون : من فعل هذا الثوب ، أي من ربه ، وزوج المرأة بعلها، والنخل والزرع اذا استغنى[1] بماء السماء فهو بعل وهو العذي .

فصل : قوله « اذ أبق الى الفلك المشحون » الايات : ١٤٠ ـ ١٤٨ .

معناه : حين هرب الى السفن المملوءة ، فالابق الفار الى حيث لايهتدي اليه طالبه ، يقال: أبق العبد يأبق اباقاً فهو آبق اذا فر من مولاه. والابق والهارب والفار واحد .

(١) في التبيان : استقى .

وقوله « فساهم » قال ابن عباس : معناه قارع ، وهو قول السدي « فكان من المدحضين » قال مجاهد : يعني من المسهومين، والمساهمة المقارعة . فلما ساهم يونس قومه وقع السهم عليه ، فألقي في البحر فالتقمه الحوت فكان من المدحضين قال الحسن : كان من المقروعين .

قيل : انما ساهموا لانهم أشرفوا على الغرق ، فرأوا ان طرح واحد أيسر من غرق الجميع .

وقيل: لابل رأوا الحوت قد تعرضت لهم، قالوا : فينا مذنب مطلوب فتقارعوا فلما خرج على يونس رموا به في البحر .

« فالتقمه الحوت » ومعناه ابتلعه .

وقوله « وأنبتنا عليه شجرة من يقطين » معناه: تكنه من حر الشمس، واليقطين كل شجرة ليس لها ساق يبقى من الشتاء الى الصيف فهي يقطين . وقال ابن عباس وقتادة : هو القرع .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : كل شجر لا يقوم على ساق كالبطيخ والدبا وهو القرع ، فهو يقطين وهو تفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به اقامة زائل لا اقامة راسخ ، كالنخل والزيتون ونحوه .

والقطان من الحبوب التي يقوم في البيت ، مثل العدس والحلز والحمص واحدها قطنية وقطنية وقطينة ، سميت بذلك لقطونها البيت .

وقوله «وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون» قيل : ان قوم يونس لما رأوا امارات العذاب ، ولم يكونوا قد بلغوا حد الالجاء واليأس من البقاء آمنوا وقبل الله ايمانهم ، لانه لو كانوا حصلوا في العذاب لكانوا ملجئين ، ولما صح ايمانهم على وجه يستحق به الثواب .

وقوله «أو يزيدون» قيل : في معنى «أو» ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يكون بمعنى الواو ، وتقديره الى مائة ألف وزيادة عليهم .

الثاني : أن يكون بمعنى «بل» على ما قال ابن عباس .

الثالث : أن يكون بمعنى الابهام على المخاطبين ،كأنه قال : أرسلناه الى احدى العدتين .

سورة ص

فصل : قوله «فنادوا ولات حين مناص» الاية : ٣ .

الشقاق الخلاف .

ومعنى «ولات حين مناص» حين فرار من العقاب. وقيل: المناص المنجاة .

فصل : قوله «ان هذا لشيء يراد» الاية : ٦ .

معناه هذا الذي يدعيه محمد ويدعونا اليه لشيء يراد به أمر ما من الاستعلاء علينا والرئاسة فينا والقهر لنا .

فصل : قوله «جند ما هنالك مهزوم» الاية : ١١ .

والجند جمع معد للحرب، وجمعه أجناد وجنود وجند الاجناد ، أي: جيش الجيوش، ومثله قوله «الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف» .

فصل : قوله «وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب» الاية : ١٦ .

يقول الله تعالى مخبراً عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم يقولون على وجه الاستهزاء بعذاب الله : «ياربنا عجل لنا قطنا» أي قدم لنا نصيبنا من العذاب.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : طلبوا حظهم من العذاب تهزئاً بخبر الله وشكاً فيه .

وقيل : انما سألوا أن يعجل كتبهم التي يقرؤنها في الاخرة استهزاءاً منهم

بهذا الوعيد والقط الكتاب ، قال الاعشى :

ولا الملـك النعمان يـوم لقيته بنعمته[١] يعطي القطوط ويأفق[٢]

فصل : قوله «وهل أتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب» الايات: ٢١-٢٥.

يعني : حين صعدوا المحراب .

والخصم هو المدعي على غيره حقاً من الحقوق المنازع له فيه ، ويعبر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد ، لان أصله المصدر ، ولذلك قال «اذ تسوروا المحراب» لانه أراد المدعي والمدعى عليه ومن تبعهما ، فلا يمكن أن يتعلق به في أن أقل الجمع اثنان .

والتسور الاتيان من جهة السور ، يقال : تسور فلان الدار اذا أتاها من قبل سورها ، وكانوا أتوه من أعلى المحراب ، فلذلك فزع منهم .

والمحراب مجلس الاشراف الذي يحارب دونه لشرف صاحبه ، ومنه سمي المصلي محراباً ، وموضع القبلة أيضاً محراب .

وقوله « خصمان بغى بعضنا على بعض» لانهما كانا ملكين ولم يكونا خصمين ولابغى أحدهما على الاخر ، وانما هو على المثل .

«فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط» معناه : ولا تجاوز الحق . وقال أبو مسلم محمد بن بحر الاصبهاني : الخصمان من ولد آدم ولم يكونا ملكين .

وقوله فقال« ان هـذا أخي لـه تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة » قال وهب بن منبه : يعني أخي في ديني . وقال أكثر المفسرين : انه كنى بالنعاج عن تسع وتسعين امرأة كانت له، وأن الاخر له نعجة واحدة يعني امرأة واحدة . وقال الحسن : لم يكن له تسع وتسعون امرأة وانما هو على وجه المثل .

---

(١) فى التبيان : بأمته .

(٢) ديوان الاعشى ص١١٧ .

وقال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني: أراد النعاج بأعيانها، وهو الظاهر غير أنه خلاف أقوال المفسرين وقال: هما خصمان من ولد آدم ولم يكونا ملكين وانما فزع منهما ، لانهما دخلا عليه في غير الوقت المعتاد ، وهو الظاهر ، غير أنه خلاف أقوال المفسرين على ما بيناه .

وقوله تعالى «اكفلنيها» معناه اجعلني كفيلا بها ، أي ضامنا لامرها ، ومنه قوله «وكفلها زكريا»[1] وقال أبو عبيدة: معناه ضمها اليه. وقال ابن عباس وابن مسعود معنى «اكفلنيها» أنزل لي عنها «وعزني في الخطاب» أي : غلبني .

فقال له داود «لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض» ومعناه : ان كان الامر على ما تدعيه لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، فأضاف السؤال الى المفعول به وهي النعجة وأن يضيف اليها .

ثم أخبر أن كثيراً من الشركاء والخلطاء ليبغي بعضهم على بعض فيظلمه .

وقال أصحابنا : كان موضع الخطيئة أن قال للخصم : لقد ظلمك من غير أن يسأل خصمه عن دعواه ، وفي أدب القضاء : ألا يحكم بشيء ولايقول حتى يسأل خصمه عن دعوى خصمه ، فما أجاب به حكم به. وهذا ترك الندب في ذلك.

وفي الناس من قال : ان ذلك كانت صغيرة منه وقعت مكفرة . والشرط الذي ذكرناه لابد فيه ، لانه لايجوز أن يخبر النبي أن الخصم ظلم صاحبه قبل العلم بذلك على وجه القطع ، وانما يجوز مع تقدير الشرط الذي ذكرناه .

فصل : قوله «اذ عرض عليه بالعشي الصافنات» الايات : ٣١ - ٣٦ .

«بالعشي» يعني : آخر النهار . قال ابن زيد : صفن الخيل قيامها على ثلاث مع رفع رجل واحدة يكون طرف الحافر على الارض ، قال الشاعر :

ألف الصفون فما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

(١) سورة آل عمران : ٣٧ .

قوله «لاينبغي» قال أبو عبيدة : معنى لاينبغي لايكون وأنشد :

في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة لا ينبغي دونها سهـل ولا جبل

قال أبو عبيدة : أي لايكون فوقها سهل ولا جبل أخشن[1] منها .

وقوله «رخاء» قال قتادة: معناه طيبة سريعة. وقال ابن زيد: لينة. وقال ابن عباس مطيعة ، وبه قال الضحاك والسدي .

والرخاء الريح اللينة ، وهو رخاوة المر وسهولته .

ومعنى قوله «حيث أصاب» قال ابن عباس ومجاهد السدي والضحاك : معناه حيث أراد يقول القائل: أصاب الله بك الرشاد، أي أراد الله .

فصل : قوله «وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث» الاية : ٤٤ .

فالضغث ملء الكف من الشجر والحشيش والشماريخ وماأشبه ذلك ، قال عوف بن الجزع :

وأسفل مـني فهدة قـدر بطنها وألقيت ضغثاً مـن خلا متطيب

فصل: قوله « واذكر اسماعيل واليسع وذاالكفل » الايات : ٤٨ ـ ٥٢ .

قيل : ذوالكفل ذوالضعف من الثواب . وقيل :كان اسمه ذلك . وقيل:سمي بذلك لانه يكفل بأمرأنبياء خلصهم من القتل . وقيل: تكفل بعمل صالح فسمي به.

قوله «وعندهم قاصرات الطرف أتراب» يعني : قصرن طرفهن على أزواجهن فمالهن في غير بغية ، فالقاصر نقيض الماد ، يقال : هوقاصر طرفه عن فلان وماد عينه الى فلان ، قال امرء القيس :

من القاصرات الطرف لودب محول مـن الذرفـوق الاتب منها لاثـرا[2]

والاتراب الاقران على سن واحد ليس منهن هرمة ولاعجوز . قال الفراء :

---

(١) فى التبيان : أحصن .

(٢) ديوان امرء القيس ص ٩١ .

لايقال الاتراب الافي الاناث ولايقال في الذكران ، قال ابن أبي ربيعة :

أبرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب أتراب[١]

وهو مأخوذ من اللعب بالتراب . وقيل : اتراب على مقدار سن الازواج من غير زيادة ولانقصان .

فصل : قوله « حميم وغساق * وآخر من شكله أزواج » الاية: ٥٧ ـ ٥٨ .

الحميم الحار الشديد الحرارة ، ومنه الحمى لشدة حرارتها ، وحم الشيء اذا دنا وأحمه لهذا أي أدناه ، قال الشاعر :

احم الله ذلك من لقاء أحاد احاد في الشهر الحلال[٢]

والغساق مايسيل من صديد أهل النار ، وقال كعب : الغساق عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذات حمة من عقرب وحية . وقيل : هو قيح شديد النتن .

ثم قال «وآخر من شكله أزواج» معناه : أنواع آخر من شكل العذاب «أزواج» أي : أمثال .

الشكل بفتح الشين الضرب المتشابه . والشكل بكسر الشين النظير في الحسن وهو الدل .

فصل : قوله « قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي » الاية :٧٥.

انما قال «بيدي» على وجه تحقيق الاضافة لخلقه اليه تعالى ، لانه أمر به أو كان عن سبب أدى اليه ، والتثنية أشد مبالغة ، ومثله قولهم «هذا ماكسبت يداك» أي: ماكسبته أنت ، وقال الشاعر :

أيها المبتغي فناء قريش بيد الله عمرها والفناء

ويحتمل أن يكون على اليمين ، كأنه أقسم فقال : بنعمتي الدينية والدنياوية.

---

(١) ديوانه ص ٥٩ .

(٢) اللسان «حمم» .

فصل: قوله «قال فاخرج منها فانك رجيم * وان عليك لعنتي الى يوم الدين* قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون * قال فانك من المنظرين * الى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين * الاعبادك منهم المخلصين » الايات: ٧٧ - ٨٣ .

أصل الرجيم المرجوم ، وهو المرمي بالحجر «وان عليك» يا ابليس «لعنتي» يعني ابعادي لك من رحمتي « الى يوم الدين » يعني يوم القيامة الذي هو يوم الجزاء، فقال ابليس عند ذلك يا « رب فانظرني » أى: أخرني « الى يوم يبعثون» أى : يوم يحشرون للحساب ، وهو يوم القيامة .

فقال له الله تعالى « فانك من المنظرين » أي: من المؤخرين « الى يوم الوقت المعلوم » أي : اليوم الذى قدر الله فيه اماتتك ، فعلى هذا لايلزم ابليس أن يكون مغراً بالقبائح لعلمه بأنه يبقى ، لانه لاوقت الا وهو يجوز أن يختم فيه ولايقدر على التوبة ، فالزجر حاصل له .

ومن قال : انه اجابه الى يوم القيامة يقول : كما أعلمه أنه يبقيه الى يوم يبعثون أعلمه أيضاً أنه من أهل النار لامحالة ، وأنه لايتوب وصح مع ذلك تكليفه ، لانه يلزمه بحكم العقل أن لايفعل القبيح من حيث أنه متى فعله زاد عقابه ، ويضاعف على مايستحق له ، وتخفيف العقاب عن النفس واجب بحكم العقل ، كما يجب اسقاط العقاب جملة .

ثم حكى تعالى ماقال ابليس، فانه أقسم و « قال فبعزتك » يا الهي «لاغوينهم أجمعين » فالعزة القدرة التي يقهر بها غيره من القادرين .

والاغواء التخييب ، فابليس يغوي الخلق بأن يزين لهم القبيح ويرغبهم فيه والغي خلاف الرشد وهو الخيبة .

سورة الزمر

فصل : قوله « ان الله لايهدي من هو كاذب كفار » الايات : ٣ ـ ٤ .

معناه : أنه تعالى لايهدي الى طريق الجنة ، أولايحكم بهدايته الى الحق من هو كاذب على الله في أنه أمره باتخاذالاصنام، كافر بماأنعم عليه ، جاحدلاخلاص العبادة ، ولم يرد الهداية الى الايمان ، لانه قال « وأماثمود فهديناهم »[1].

ثم قال تعالى « لو أراد الله أن يتخذ ولداً » على مايقول هؤلاء من أن الملائكة بنات الله ، أو على مايقوله النصارى من أن عيسى ابن الله، أو يقوله اليهود ان عزير ابن الله « لاصطفى » أي : لاختار مما يخلق مايشاء .

فصل : قوله « ولايرضى لعباده الكفر » الاية : ٧ .

وفي ذلك دلالة على أن الكفر ليس من فعل الله ولابارادته ، لانه لوكان مريداً له لكان راضياً به ، لان الرضا هي الارادة اذا وقعت على وجه .

وقوله«ولاتزر وازرةوزر أخرى» معناه: لايؤاخذ بالذنب الامن يفعلهويرتكبه ولايؤاخذ به غيره وذلك نهاية العدل .

وفي ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة في أن الله يعذب أطفال الكفربكفر آبائهم .

فصل : قوله «كتاباً متشابهاً » الاية : ٢٣ .

معناه : متشابهاً في الحكم التي فيه من الحجج والمواعظ والاحكام التي يعمل عليها في الدين وصلاح التدبير ، فيشبه بعضه بعضاً لاتناقض فيه .

« مثاني » أى : يثنى فيه الحكم والوعدوالوعيد بتصريفها في ضروب البيان ويثنى أيضاً في التلاوة ، فلايمل بحسن مسموعه في القراءة[2].

---

(١) سورة فصلت : ٧ .

(٢) فى التبيان : القرآن .

فصل : قوله « والذي جاء بالصدق وصدق به » الاية : ٣٣ .

قال قتادة وأبو زيد : الذي جاء بالصدق محمد ﷺ وصدق به المؤمنون .

وقال السدي: الذى جاء بالصدق وصدق به هم المؤمنون جاؤا بالصدق الذى هو القرآن وصدقوا به ، وهو حجتهم في الدنيا والاخرة .

وقال الزجاج : الذى هاهنا والذين بمعنى واحد يراد به الجميع .

والصحيح أن قوله « وصدق به » من صفة الذى جاء بالصدق ، لانه لو كان غيره لقال : والذى جاء بالصدق والذى صدق به .

وقوله « أولئك هم المتقون » يعني من جاء بالصدق وصدق به هم المتقون.

فصل : قوله « ومن يضلل الله فماله من هاد » الاية : ٣٦ .

يحتمل معناه شيئين :

أحدهما : أن من أضله الله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه اليها .

والثاني: من حكم الله بضلاله وسماه ضالا اذا ضل هو عن الحق، فليس له من يحكم بهدايته ويسميه هادياً .

ثم بين عكس ذلك فقال «ومن يهد الله فماله من مضل» وهو يحتمل أيضاً الامرين :

أحدهما : من يهديه الله الى طريق الجنة فلا أحد يضله عنها .

والثاني : من يحكم بهدايته ويسميه هادياً ، فلا أحد يمكنه أن يحكم بضلاله على الحقيقة .

فصل : قوله «انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل» الاية : ٤١ .

معناه : أنزلنا على أنه حق بأنه حق ، فهذه فائدة الباء . وفي ذلك حجة على

من زعم أنه تعالى يريد بانزاله اضلال الكافرين عن الايمان ، لانه لو كان كذلك لم يكن منزلا بالحق، واذاكان منزلا على أنه حق، وجب النظر في موجبه ومقتضاه فما رغب فيه وجب العمل به ، وبما حذر منه وجب اجتنابه ، وما صححه وجب تصحيحه ، وما أفسده وجب افساده ، وما دعى اليه فهو الرشد ، وما صرف عنه فهو الضلال .

ثم قال «فمن اهتدى» يعني بما فيه من الادلة «فلنفسه» لان منفعة عاقبته من الثواب تعود عليه .

«ومن ضل» عنه وجاز[1] «فانما يضل عليها» يعني على نفسه، لان وخيم عاقبته من العقاب تعود عليه .

فصل: قوله «قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً» الايات : ٥٣ ـ ٥٥ .

معناه : قل لهم يامحمد « ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم » بارتكاب المعاصي «لا تقنطوا من رحمة الله» اي : لا تيأسوا من رحمته ، يقال : قنط يقنط قنوطاً اذا يئس «ان الله يغفر الذنوب جميعاً» انه هو الغفور الرحيم .

وفي ذلك دلالة واضحة على أنه يجوز أن يغفر الله بلاتوبة تفضلاً منه، وبشفاعة النبي ﷺ ، لانه لم يشرط التوبة بل أطلقه . وروي عن فاطمة عليها السلام أنها قالت ان الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي.

وروي عن علي عليه السلام وعن ابن عباس أنهما قالا : أرجى آية في كتاب الله قوله «وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم»[2] فقال عبدالله بن عمرو بن العاص بل أرجى آية في كتاب الله قوله «ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» وهو المروي

(١) في التبيان : وحاد .

(٢) سورة الرعد : ٧ .

عن علي عليه السلام أيضاً .

وقوله «واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم» وانما قال «أحسن ما أنزل» لانه أراد بذلك الواجبات والنفل التي هي الطاعات دون المباحات والمقبحات التي لا يأمر بها .

وقال قوم : «أحسن ما أنزل اليكم من ربكم» يريد به الناسخ دون المنسوخ وهذا خطأ، لان المنسوخ لايجوز العمل به بعد النسخ وهو قبيح، ولايكون الحسن أحسن من قبيح .

وقال الحسن: أحسنه أن يأخذوا بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم عنه.

فصل: قوله «أن تقول نفس ياحسرتى على ما فرطت في جنب الله» الايات: ٥٦ - ٥٩ .

النفس نفس الانسان . والفرق بين النفس والروح أن النفس من النفاسة والروح من الريح ، فأنفس ما في الحيوان نفسه ، وهو جسم رقيق روحاني من الريح ، ونفس الشيء هو الشيء بعينه .

والتفريط اهمال مايجب أن يتقدم فيه حتى يفوت وقته، ومثله التقصير، وضده الاخذ بالحزم ، يقال : فلان حازم وفلان مفرط .

وقوله «في جنب الله» معناه : فرطت في طاعة الله، أو في أمر الله الا أنه ذكر الجنب ،كما يقال : هذا صغير في جنب ذلك الماضي ، أي : في أمره وفي جهته ، واذا ذكر هذا دل على الاختصاص به من وجه قريب من معنى صفته[1].

وقوله «وان كنت لمن الساخرين» قال قتادة والسدي: معناه المستهزئين بالنبي والكتاب الذي معه . وقيل : معناه كنت ممن يسخر بمن يدعوني الى الايمان .

وقوله «أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بلى

(١) فى التبيان : جنبه .

قد جاءتك آياتي فكذبت بها وكنت من الكافرين» .

وفي ذلك دليل على بطلان مذهب المجبرة في أن الكافر لايقدر على الايمان لانه لو كان اذا رد لايقدر على الايمان لم يكن لتمنيه معنى .

فصل : قوله «له مقاليد السماوات والارض» الايات : ٦٣ - ٦٦ .

المقاليد المفاتيح واحده مقليد ، كقولك منديل ومناديل ، ويقال في واحده أيضاً اقليد وجمعه أقاليد، وهو من التقليد والمعنى: له مفاتيح خزائن السماوات والارض يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه على من يشاء .

وقوله «ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك» الايات . ليس في ذلك ما يدل على صحة الاحباط على ما يقوله أصحاب الوعيد لان المعنى في ذلك لئن أشركت بعبادة الله غيره من الاصنام أوقعت عبادتك على وجه لايستحق عليها الثواب .

ولو كانت العبادة خالصة لوجهه لاستحق عليها الثواب، فلذلك وصفها بأنها محبطة ، وبين ذلك بقوله «بل الله فاعبد» أي وجه عبادتك اليه تعالى وحده دون الاصنام .

فصل: قوله «وماقدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه» الاية : ٦٧ .

يقول الله تعالى مخبراً عن حال الكفار انهم ما عظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة غيره .

ومعنى الاية أن الارض بأجمعها في مقدوره ، كما يقبض عليه القابض فيكون في قبضته . وكذلك قوله «والسماوات مطويات بيمينه» معناه أي في مقدوره طيها، وذكرت اليمين مبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك . وقيل : اليمين القوة ، قال الشاعر :

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

فصل : قوله «وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً» الايات : ٧١ ـ ٧٥ .

الزمر جمع زمرة، وهي الجماعات لها صوت كصوت المزمار، ومنه مزامير داود عليه السلام ، يعني أصوات كانت له مستحسنة .

وقوله «وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم» .

وقيل: تسبيحهم ذلك الوقت على سبيل التنعم والتلذذ ثواباً لهم على أعمالهم لا على وجه التعبد ، لانه ليس هناك تكليف .

وقيل : الوجه في ذلك تشبيه حال الاخرة بحال الدنيا ، فان السلطان الاعظم اذا أراد الجلوس للمظالم والقضاء بين الخلق قعد على سريره وأقام حشمه وجنده قدامه وحوله تعظيماً لامره، فلذلك عظم الله أمر القضاء في الاخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظمين له تعالى مسبحين وان لم يكن تعالى على العرش، لان ذلك يستحيل عليه، لكونه غير جسم، والجلوس على العرش من صفات الاجسام.

سورة غافر

فصل : قوله «حم * تنزيل الكتاب» الايات : ١ ـ ٣ .

قال قتادة والحسن : حم اسم السورة . وقال شريح بن أوفى العبسي :

يذكرني حم والرمح شاجر[1] فهلا تلاحم قبل التقدم

وقوله «غافر الذنب وقابل التوب» معنى «قابل التوب» أنه يقبل توبة من تاب اليه من المعاصي ، بأن يثيب عليها ويسقط عقاب معاصي ما تقدمها تفضلاً منه ولذلك كان صفة مدح . ولو كان سقوط العقاب عندها واجباً لما كان فيه مدح .

والتوب يحتمل وجهين : أحدهما ـ أن يكون جمع توبة ،كدوم ودومة وعموم وعومة. والثاني : أن يكون مصدر تاب يتوب توباً .

(١) في التبيان : شاهر .

فصل : قوله «قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» الايات : ١١ ـ ١٥ .

قال السدي: الاماتة الاولى في الدنيا، والثانية في البرزخ اذا أحيى للمسائلة قبل البعث يوم القيامة ، وهو اختيار الجبائي والبلخي .

والعلي القادر الذي ليس فوقه من هو أقدر منه ولا من هو مساوله في مقدوره وجاز وصفه تعالى بالعلي لان الصفة بذلك تقلب من علو المكان الى علو الشأن، يقال : استعلى عليه بالقوة واستعلى عليه بالحجة .

وقوله «رفيع الدرجات» معناه : رفيع طبقات الثواب الذي يعطيها الانبياء والمؤمنين في الجنة .

وقوله «يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده» قيل : الروح القرآن .

وقيل: معنى الروح هاهنا الوحي، لانه يحيى به القلب بالخروج من الحياة[1] الى المعرفة .

فصل : قوله «لمن الملك اليوم» الاية : ١٦ .

قيل : في معناه قولان :

أحدهما: أنه تعالى يقرر عباده فيقول «لمن الملك» فيقول المؤمنون والكفار بأنه «لله الواحد القهار».

والثاني : أنه القائل لذلك وهو المجيب لنفسه ، ويكون في الاخبار بذلك مصلحة للعباد في دار التكليف .

قوله «ان الله سريع الحساب» أي : لايشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره فحساب جميعهم على حد واحد .

فصل : قوله «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» الاية : ١٨ .

نفي من الله أن يكون للظالمين شفيع يطاع .

---

(١) في التبيان : الجهالة .

ويحتمل أن يكون المراد بالظالمين الكفار ، فهؤلاء لا يلحقهم شفاعة شافع أصلا . وان حملنا على عموم كل ظالم من كافر ومؤمن ، جاز أن يكون انما أراد نفي شفيع يطاع ، وليس في ذلك نفي شفيع يجاب .

ويكون المعنى ان الذين يشفعون يوم القيامة من الانبياء والملائكة والمؤمنين انما يشفعون على وجه المسألة اليه والاستكانة اليه ، ولذلك قال النبي عليه السلام لبريرة انما أنا شافع، فكونه فوقها في الرتبة لم يمنع من اطلاق اسم الشفاعة على سؤاله.

فصل: قوله «وما الله يريد ظلماً للعباد * وياقوم اني أخاف عليكم يوم التناد» الايات : ٣١ ـ ٣٣ .

أخبر أنه تعالى لايريد ظلماً لعباده ولا يؤثره لهم ، وذلك دال على فساد قول المجبرة الذين يقولون ان كل ظلم في العالم بارادة الله .

و «يوم التناد» قيل : هو اليوم الذي ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور ، لما يرى من سوء عاقبة الكفر والمعصية له .

وقيل : انه اليوم الذي ينادي أصحاب الجنه أصحاب النار « أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقاً»[1] وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة «أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله»[2].

فصل : قوله «وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً» الايات : ٣٦ ـ ٣٧ .

قيل : ان هارون أول من طبخ الاجر لبناء الصرح ، والصرح البناء العالى الظاهر الذي لايخفى على الناظر وان بعد، وهو من التصريح بالامر، وهو اظهاره بأتم الاظهار .

---

(١) سورة الاعراف : ٤٣ .

(٢) سورة الاعراف : ٤٩ .

ومعنى الابواب قال ابن عباس[١]: أراد به منزل السماء . وقال قتادة : معناه أبواب طرق السماء .

وقوله «وما كيد فرعون الا في تباب» يعني : في هلاك ، والتباب الهلاك بالانقطاع ، ومنه قوله «تبت يدا أبي لهب» أي : خسرت بانقطاع الرجاء ، ومنه قوله «تباً له» .

فصل: قوله «لاجرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وأن مردنا الى الله» الاية : ٤٣ .

قال الزجاج : هو رد لكلام ،كأنه قال : لامحالة أن لهم النار .

وقال الخليل : لاجرم لا يكون الا جواباً ، تقول : فعل فلان كذا ، فيقول المجيب : لاجرم . وقال المبرد : معناه حق واستحق .

فصل : قوله «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» الاية : ٦٠ .

يعني:أستجب لكم اذا اقتضت المصلحةاجابتكم، ومن يدعوالله ويسأله فلابد أن يشرط المصلحة ، اما لفظاً أو اضماراً ، والا كان قبيحاً ، لانه اذا دعى بما يكون فيه مفسدة ولايشترط انتفاؤها كان قبيحاً .

فصل : قوله «ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً» الاية : ٦٧ .

العلقة هي القطعة من الدم، لانها تعلق بما يمر به لظهور أثرها فيه وخلقكم منها.

«ثم يخرجكم طفلاً» أي : أطفالاً واحداً واحداً، فلهذا ذكره بالتوحيد، كما قال «بالاخسرين أعمالاً»[٢] لان لكل واحد منهم أعمالاً قد خسر بها.

فصل : قوله « ثم في النار يسجرون » الاية : ٧٢ .

السجر القاء الحطب في معظم النار ،كالتنور الذي يسجر بالوقود ، فهؤلاء

---

(١) في التبيان : ابن عامر .

(٢) سورة الكهف : ١٠٤ .

الكفار لجهنم كالسجار للتنور .

فصل : قوله « فبئس مثوى المتكبرين » الاية : ٧٦ .

انما أطلق عليه اسم «بئس» مع كونه حسناً ، لان الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل من القبيح بالذم عليه ، فحسن لهذه العلة اطلاق اسم «بئس» عليه .

فصل : قوله « الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيه منافع » الاية : ٨٩ ـ ٩٠ .

الانعام من الابل والبقر والغنم ، واللام في قوله «لتركبوا منها» لام الغرض، فاذا كان الله تعالى خلق هذه الانعام ، وأراد أن ينتفع خلقه بها ، وكان تعالى لا يريد القبيح ولا المباح ، فلابد أن يكون أراد انتفاعهم بها على وجه الطاعة والقربة اليه .

«ولكم فيها منافع» أخر من ألبانها وأصوافها وأشعارها .

سورة فصلت

قيل : في وجه الاشتراك في أسماء هذه السور السبعة بـ «حم» أنه للمشاكلة التي بينها بما يختص به ليس لغيرها ، لانه اسم علم أجري على الصفة الغالبة بما يصح فيه الاشتراك ، والتشاكل الذي اختصت به هو أن كل واحد منها استفتح بصفة الكتاب مع تقاربها في الطول والقصر ، ومع شدة تشاكل الكلام في النظام.

وقوله «كتاب فصلت آياته» أي : هو كتاب ، وانما وصف القرآن بأنه كتاب، وان كان المرجع فيه الى كلام مسموع ، لانه مما ينبغي أن يكتب ويدون ، لان الحافظ ربما نسيه أو نسي بعضه فيتذكر ، وغير الحافظ فيتعلم منه .

وقوله «فصلت آياته» معناه ميزت دلائله ، وانما وصفه بالتفصيل دون الاجمال، لان التفصيل يأتي على وجه البيان ، لانه يفصل جملة عن جملة ومفرد عن مفرد ، ومدار أمر البيان على تفصيل التمييز فيما يحتاج اليه من أمور الدين ، اذ العلم

علمان : علم دين وعلم دنيا ، وعلم الدين أجلهما وأشرفهما لشرف النفع به .

فصل : قوله « وويل للمشركين * الذين لايؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون» الايات : ٦ ـ ١٠ .

قال الفراء : الزكاة في هذا الموضع ان قريشاً كانت تطعم الحاج وتسقيهم، فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ .

وقال قوم : انما توعدهم على ترك الزكاة الواجبة عليهم ، لانهم متعبدون بجميع العبادات ويعاقبون على تركها ، وهو الظاهر .

وقال: الزكاة معناه وويل للمشركين الذين لايؤمنون بأن الزكاة واجبة ،وانما خص الزكاة بالذكر تقريعاً لهم على شحهم الذي يأنف منه أهل الفضل .

وقد بينا أن الاقوى قول من قال : الذين لايؤدون زكاة أموالهم ، لان هذا هو حقيقة هذه اللفظة .

وقوله «وقدرفيها أقواتاً في أربعة أيام سواء للسائلين» قال أبوعبيدة :الاقوات جمع قوت ، وهي أرزاق الخلق . قيل : انما خلق ذلك شيئاً بعد شيء في هذه الاربعة أيام لتعتبر به الملائكة .

وقيل : بل لاعتبار العباد في الاخبار عن ذلك اذا تصوروه على تلك الحال .

وقال الزجاج: الوجه فيه تعليم الخلق التأني في الاموروأن لايستعجل فيها ، فان الله تعالى كان قادراً على أن يخلق ذلك في لحظة ، لكن خلقها في هذه المدة لما قلناه .

وقال قوم : انما خلق ذلك في هذه المدة ، لتعتبر بذلك على أنها صادرةمن قادرمختارعالم بالمصالح وبوجوه الاحكام، اذلوكان صادراًعن مطبوع أوموجب لحصلت في حالة واحدة .

فصل : قوله « ثم استوى الى السماء وهي دخان » الايات : ١١ ـ ١٥ .

قال السدي[١]: معناه ثم استوى أمره ولطفه الى السماء .

وقال غيره : معنى الاستواء الى السماء العمد والقصد اليها ،كأنه قال : ثم قصد اليها . وأصل الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير المستقيم تسوية له .

وقوله « ثم استوى على العرش»[٢] معناه : ثم استوى تدبيره بتقديم[٣] القادر عليه . وقيل : ان الاستواء بمعنى الاستيلاء كما قال الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وقوله «ثم استوى الى السماء» يفيد أنه خلق السماء بعد خلق الارض وخلق الاقوات فيها ، ولاينافي ذلك قوله « ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها» الى قوله « والارض بعد ذلك دحاها»[٤] لان ذلك يفيد أن الارض كانت مخلوقة غير مدحوة ، فلما خلق الله السماء دحى بعد ذلك الارض فسطحها .

وقوله « فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أوكرهاً فقالتا أتينا طائعين » انما قال «طائعين» ولم يقل طائعتين ، لانه لما أسند اليهما مايكون من العقلاء أخبرعنهما بالياء والنون .

وقال قطرب : لان المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء .

فان قيل : قوله « خلق الارض في يومين » وخلق الجبال والاقوات في أربعة أيام، وخلق السماوات في يومين يكون ثمانيةأيام ، وذلك مناف لقوله « انربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام » .

قلنا : لاتنافي بين ذلك ، لانه خلق الارض وخلق الجبال والاشجار والاقوات في تمام أربعة أيام منهااليومان المتقدمان ،كما يقول القائل: خرجت من البصرة

---

(١) في التبيان : الحسن .

(٢) سورة الاعراف : ٥٣ وغيرها .

(٣) في التبيان : بتقدير .

(٤) سورة النازعات : ٣٠ .

الى بغداد في عشرة أيام ، ثم الى الكوفة في خمسة عشر يوماً ، أي :في تمامهذه المـدة .

ويكون قوله « فقضاهن سبع سماوات فيي‌ومين » تمام ستة أيام ، وهوالذي ذكره في قوله « في ستة أيام » وزال الاشكال .

فصل : قوله « ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون » الاية : ١٩ .

أي : يستحثون[1]من التفرق ويحبسون ويكفون ، يقال : وزعت الرجل اذا منعته ومنه قول‌الحسن: لابد للناس‌من وزعةوقوله «أوزعني»ألهمني، وقول‌الشاعر:

وانى بها باذا المعارج موزع

أي : مولع .

فصل : قوله « وقالوا لجلودهم لـم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » الايات :٢١ ـ ٢٥.

النطق ادارة اللسانفي الفم بالكلام، ولذلك لايوصف تعالى بأنه ناطق ، وان وصف بأنه متكلم . والفائدة في الاخبار عنهم بذلك التحذير من مثل حالهم فيما ينزل بهم من الفضيحة بشهادة جوارحهم‌عليهم بما كان من فواحشهم .

وقوله « فان يصبروا فالنار مثوى‌لهم وان تستعتبوا فماهم من المعتبين »معنى الاية : فان تصبروا على ماهم فيه فمقامهم في النار«وان يستعتبوا» أي : وان‌تطلبوا العتبى وهي الرضا .

«فماهم من المعتبين» أي : ليسوا بمرضي عنهم ، لان السخط من الله تعالى بكفرهم قد لزمهم وزال التكليف عنهم ، فليس لهم طريق الى الاعتاب .

فصل: قوله « وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس » الاية : ٢٩ .

---

(١) فى التبيان : يمنعون .

قيل: أراد به ابليس الابالسة ، وهو رأس الشياطين ، وابن آدم الذي قتل أخاه وهو قابيل، روي ذلك عن علي عليه السلام لانه أسس الفساد في ولد آدم .

وقيل: هم الدعاة الى الضلال من الجن والانس .

فصل: قوله « ادفع بالتي هي أحسن» الاية: ٣٤ .

أمر للنبي عليه السلام أن يدفع بالتي هي أحسن. وقيل: معنى الحسنة هاهنا المداراة والسيئة المراد بها الغلظة، فأدب الله عباده بهذا الادب .

ثم قال « فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » معناه دار القوم ولا تغلظ عليهم حتى كأن عدوك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك من حسن عشرتك وبشرك اياه، ويدعو ذلك عدوك الى أن يصير لك كالولي الحميم .

فصل: قوله «ان الذين يلحدون في آياتنا » الاية : ٤٠ .

معناه : الذين يميلون عن الحق في أدلتنا، يقال: ألحد يلحد الحاداً وقيل : لحد يلحد أيضاً .

فصل: قوله « ان الذين كفروا بالذكر لماجاءهم وانه لكتاب عزيز » الايات ٤١ - ٤٤ .

سمي القرآن ذكراً لانه يذكر به وجوه الدلائل المؤدية الى الحق والمعاني التي يعمل عليها فيه . وأصل الذكر ضد السهو، وهو حضور المعنى للنفس .

قوله « لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه » قيل: في معناه أقوال :

أحدها : أنه لاتعلق بـه الشبهة من طريق المشاكلة ، ولا الحقيقة من جهة المناقضة ، فهو الحق المخلص الذي لايليق به الدنس .

الثاني : قال قتادة والسدي : لايقدر الشيطان أن ينتقص منه حقاً ولايزيد فيه باطلا .

الثالث : أن معناه لايأتي بشيء يوجب بطلانه مماوجد قبله ولا معه ولا مما

يوجد بعده .

الرابع: قال الحسن:[1] معناه لايأتيه الباطل من أول تنزيل ولامن آخره .

وقوله « ولوجعلناه » يعني: الذكر الذي قدم ذكره « قرآناً أعجمياً » أي : مجموعاً بلغة العجم، يقال: رجل أعجمي اذا كان لايفصح وانكان عربي النسب وعجمي اذا كان من ولد العجم وانكان فصيحاً .

فصل: قوله « وماربك بظلام للعبيد » الاية : ٤٦ .

انما قال « بظلام » على وجه المبالغة في نفي الظلم عن نفسه مع أنه لايفعل مثقال ذرة لامرين :

أحدهما : أنه لوفعل فاعل الظلم وهو غير محتاج اليه مع علمه بقبحه وبأنه غني عنه لكان ظلاماً، وماهو تعالى بهذه الصفة لانه غني عالم .

الثاني: انه على طريق الجواب لمن زعم أنه يفعل ظلم العباد ، فقال: ماهو بهذه الصفة التي يتوهمها الجهال، فيأخذ أحداً بذنب غيره، والظلام [هوالفاعل] لماهو من أفحش الظلم ، والظالم من فعل الظلم وظالم صفة ذم .

فصل : قوله « واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض » الاية : ٥١ .

« اذا مسه الشر » يعني : اذا ناله مرض أو مصيبة في مال أو نفس «فذو دعاء عريض » قال السدي: يدعو الله كثيراً عند ذلك .

وانما قال « فذو دعاء عريض » ولم يقل طويل لانه أبلغ، لان العرض يدل على الطول ، ولايدل الطول على العرض، اذ قد يصح طويل ولاعرض له ، ولا يصح عريض ولاطول له، لان العرض الانبساط في خلاف جهة الطول، والطول الامتداد في أي جهةكان .

---

(١) في التبيان : ابن عباس .

وفي الاية دلالة على بطلان قول المجبرة أنه ليس لله على الكافر نعمة ، لانه أخبر تعالى عنه بأنه ينعم عليه وأنه يعرض عن موجبها من الشكر .

سورة الشورى

فصل: قوله «وماأنت عليهم بوكيل» الاية : ٦ .

معناه انك لم توكل بحفظ أعمالهم، فلايظن ظان هذا، لانه ظن فاسد، وانما بعثك الله نذيراً لهم وداعياً الى الحق ومبيناً لهم سبيل الرشاد .

وقيل : معناه انك لم توكل عليهم أن تمنعهم من الكفر بالله، لانه قد يكفر بمالايتهيأ له منعه من كفره بقتله .

فصل: قوله « ليس كمثله شيء » الاية: ١١ .

قيل: في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها: أن الكاف زائدة، وتقديره : ليس مثل الله شيء من الموجودات ولا المعدومات، كماقال أوس بن حجر :

وقتلي كمثل جذوع النخيل يغشاهم سيل منهمر

وقال آخر :

سعد بن زيد اذا أبصرت فضلهم ماان كمثلهم في الناس من أحد

الثاني: قال الرماني: أنه أبلغ في نفي التشبيه اذا نفى مثله، لانه يوجب نفي الشبه على التحقيق والتقدير، وذلك أنه لوقدر له مثل بأن يكون له مثل صفاته ، لبطل أن يكون له مثل ولا تفرد بتلك الصفات ، وبطل أن يكون مثلا له .

فيجب أن يكون من له مثل هذه الصفات على الحقيقة لامثل له أصلا ، اذ لوكان له مثل لم يكن هو بصفاته ، وكان ذلك الشيء الاخر هو الذي له تلك الصفات، لانها لاتصح الا لواحد في الحقيقة، وهذا لايجوز أن يشبه تشبيه حقيقة

ولا بلاغة ، فوجب التبعيد من الشبه لبطلان شبه الحقيقة .

الثالث : وجه كان المرتضى علي بن الحسين الموسوي رحمة الله عليه حارانا فيه فاتفق لي بالخاطر وجه قلته فاستحسنه واستجاده، وهو أن لاتكون الكاف زائدة ، ويكون المعنى أنه نفى أن يكون لمثله مثل، واذا ثبت أنه لامثل لمثله ، فلامثل له أيضاً، لانه لوكان له مثل لكان له امثال ، لان الموجودات على ضربين :

أحدهما : لامثل له كالقدرة، فلاأمثال لها أيضاً .

والثاني : له مثل كالسواد والبياض وأكثر الاجناس ، فله أمثال أيضاً ، وليس في الموجودات ماله مثل واحد فحسب، فعلم بذلك أن المراد أنه لامثل له أصلا من حيث لامثل لمثله.

فصل: قوله « حجتهم داحضة عند ربهم » الاية : ١٦ .

حجتهم داحضة وهي شبهة، وانماسماها حجة على اعتقادهم، فلشبهها بالحجة أجرى عليها اسمها .

و « داحضة » معناه: باطلة « عند ربهم » .

فصل : قوله « قل لاأسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى » الاية : ٢٣ .

اختلفوا في قوله « المودة في القربى » فقال علي بن الحسين عليه السلام وسعيد ابن جبير وعمرو بن شعيب: معناه الا أن تؤدوا قرابتي، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام .

وقوله « ويحق الحق بكلماته » أي : يثبت الحق بأفواله التي ينزلها على انبيائه .

فصل : قوله « ومأأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » الاية : ٣٠ .

قال الحسن : ذلك خاص في الحدود التي تستحق على وجه العقوبة. وقال

قتادة : هو عام .

وقال قوم: ذلك خاص وان كان مخرجه مخرج العموم، لما يلحق من مصائب الاطفال والمجانين ومن لاذنب له من المؤمنين .

وقال قوم: هو عام بمعنى أن مايصيب المؤمنين والاطفال، فانما هو من شدة محبة تلحقهم وعقوبة للعاصين ،كما يهلك الاطفال والبهائم مع الكفار بعذاب الاستئصال ، لانه قديكون فيه استصلاح .

فصل : قوله « والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون» الاية : ٣٩.

يعني :من بغى عليهم من غير أن يعتدوا فيها، فيقتلوا غير القاتل ويجنوا على غير الجاني ، وفيه ترغيب في انكار المنكر .

فصل :قوله « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل *انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق »الاية : ٤١-٤٢.

اخبار من الله سبحانه أن من انتصر لنفسه بعد أن كان ظلم وتعدي عليه ، فأخذ لنفسه بحقه فليس عليه سبيل .

قال قتادة: بعد ظلمه فيما يكون فيه القصاص بين الناس في النفس أو الاعضاء أو الجراح . فأما غير ذلك فلا يجوز أن يفعل لمن ظلمه .

وقال قوم : معناه أن له أن ينتصر على يد سلطان عادل ، بأن يحمله اليه ويطالبه بأخذ حقه، لان السلطان هو الذي يقيم الحدود ويأخذ من الظالم للمظلوم.

ويمكن أن يستدل بذلك على أن من ظلمه غيره بأخذ ماله كان له اذا قدر أن يأخذ من ماله بقدره ولا اثم عليه ، والظالم هو الفاعل للظلم .

فصل: قوله «وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا» الاية : ٥١ .

يكون كلام الله لعباده على ثلاثة أقسام :

أولها: أن يسمع منه كما يسمع من وراء حجاب ، كما خاطب الله به موسى عليه السلام .

الثاني : بوحي يأتي به الملك الى النبي من البشر كسائر الانبياء .

الثالث : بتأدية الرسول الى المكلفين من الناس .

وقيل : في الحجاب ثلاثة أقوال :

أحدها حجاب عن ادراك الكلام لا المكلم وحده .

الثاني : حجاب لموضع الكلام .

الثالث : أنه بمنزلة مايسمع من وراء حجاب .

«فيوحي باذنه مايشاء» معناه : ان ذلك الرسول الذي هو الملك يوحي الى النبي من البشر بأمر الله مايشاءه الله « انـه علي حكيم » معناه ان كلامه المسموع منه لا يكون بمخاطبه يظهر فيها المتكلم بالرؤية ، لانه العلي عن الادراك بالابصار

سـورة الزخرف

فصل : قوله «وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم » الاية : ٤ .

يعني القرآن « في أم الكتاب لدينا » يعني اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه ما يكون الى يوم القيامة لمافيه من مصلحة ملائكته بالنظر فيه و للخلق فيه من اللطف بالاخبار عنه ، وأم الكتاب أصله ، لان أصل كل شيء أمه .

فصل : قـوله « ولئن سألتهم مـن خلق السماوات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم * الذي جعل لكم الارض مهداً » الاية : ٩ ـ ١٠

« ولئن سألتهم» يعني الكفـار « من خلق السماوات والارض » بأن أنشأهـا واخترعها لم يكن جوابهم في ذلك ، الا أن يقولوا « خلقهن » يعني السماوات والارض « العزيز » الذي لايقهر « العليم » بمصالح الخلق وهو الله تعالى ، لانه

لايمكنهم أن يحيلوا[1] في ذلك على الاجسام والاوثان لظهور فساد ذلك .

وليس في ذلك مايدل على أنهم كانوا عالمين بالله ضرورة ، لانه لايمتنع أن يكونوا عالمين بذلك استدلالا وان دخلت عليهم شبهة في أنه يستحق العبادة سواه .

وقال الجبائي : لايمتنع أن يقولوا ذلك تقليداً ، لانهم لو علموه لعلموا أنه لايجوز أن يعبد معه غيره ، وهو الذي يليق بمذهبنا في الموافاة .

فصل : قوله «أم اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين * واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * أو من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » الايات : ١٦ – ١٨ .

أخبر الله تعالى عن الكفار أنهم جعلوا له من عباده جزءاً ، ثم فسر ذلك وهو أنهم قالوا : بل «اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين» وفي هذا القول حجة عليهم ، لانه ليس يحكم من يختار لنفسه أدون المنزلتين ولغيره أعلاهما ، فلو كان على مايقول المشركون من جواز اتخاذ الولد عليه لم يتخذ لنفسه البنات ويصفيهم بالبنين .

ثم قال «واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً» يعني اذا ولد لواحد منهم بنت حسب ما أضافوها الى الله ، ونسبوها اليه على وجه المثل لذلك «ظل وجهه مسوداً» أي: يتغير ممايلحقه من الغم بذلك حتى يسود وجهه ويريد «وهو كظيم».

وفي هذا أيضاً حجة عليهم، لان من اسود وجهه لما يضاف اليه مما لايرضى فهو أحق أن يسود وجهه باضافته مثل ذلك الى من هو أجل منه، فكيف الى ربه.

ثم قال تعالى على وجه الانكار لقولهم «أو من ينشؤ في الحلية» قال ابن عباس أو من ينشؤ في الحلية المرأة ، وبه قال مجاهد والسدي .

---

(١) في التبيان : يحلفوا .

ثم قال تعالى «وجعلوا» يعني هؤلاء الكفار «الملائكة الذين هم عباد الرحمن» متذللون له خاضعون «اناثاً» فقال لهم على وجه الانكار «أشهدوا خلقهم» ثم قال «ستكتب شهادتهم» بذلك «ويسألون» عن صحتها .

وفائدة الاية أن من شهد بما لايعلم ، فهو حقيق بأن يوبخ ويذم على ذلك وشهادته بما هو متكذب به على الملائكة أعظم من الفاحشة، للاقدام على تنقصهم في الصفة وان كانوا في ذلك على جهالة .

ثم حكى عنهم أنهم قالوا «لو شاء الرحمن ما عبدناهم» كما قالت المجبرة بأن الله تعالى أراد كفرهم ، ولو لم يشأ ذلك لما كفروا ، فقال الله لهم على وجه التكذيب « ما لهم بذلك من علم » أي : ليس يعلمون صحة ما يقولونه وليس هم الا كاذبين .

ففي ذلك ابطال مذهب المجبرة في أن الله تعالى يريد القبيح من أفعال العباد لان الله تعالى قطع على كذبهم في أن الله يشأ عبادتهم للملائكة ، وذلك قبيح لا محالة ، وعند المجبرة فالله شاء له ، وقد نفاه تعالى عن نفسه وكذبهم في قولهم فيه .

فصل : قوله «وقالوا لولانزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الاية : ٣١ .

حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا : لو كان القرآن حقاً هلا نزل «على رجل من القريتين» يعني بالقريتين مكة والطائف .

ويعنون بالرجل العظيم من أحد القريتين في قول ابن عباس الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي من أهل مكة ، أوحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي .

وقال مجاهد : يعني بالذي من أهل مكة عقبة بن أبي ربيعة، والذي من أهل الطائف ابن عبد باليل .

وقال قتادة: الذي من أهل مكة يريدون الوليد بن المغيرة، والذي من أهل الطائف عروة بن مسعود .

فصل : قوله «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين» الاية : ٣٦ .

يقال : عشى الى النار اذا تنورها فقصد لها ، وعشى عنها اذا أعرض عنها قاصداً لغيرها ، كقولهم مال اليه ومال عنه .

وقوله «نقيض له شيطاناً» قيل : في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها: قال الحسن: نخل بينه وبين الشيطان الذي يغويه ويدعوه الى الضلالة ولا يمنعه منه .

وقيل : نجعل له شيطاناً قريناً، يقال : قيض له كذا وكذا أي سهل له ويسر.

الثالث: قال قتادة: نقيض له شيطاناً في الاخرة يلزمه حتى يصير به الى النار فحينئذ يتمني البعد منه .

فصل : قوله «وانه لذكر لك ولقومك» الاية : ٤٤ .

قيل : في معناه قولان :

أحدهما : أن هذا القرآن شرف لك بما أعطاك الله عزوجل من الحكمة ولقومك بما عرضهم له من ادراك الحق به وانزاله على رجل منهم .

الثاني : أنه حجة يودي الى العلم لك ولكل أمتك . والاول أظهر .

وقوله «واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا» قال قتادة والضحاك : يعني أهل الكتابين التوراة والانجيل . وقال ابن زيد : يريد الانبياء الذين جمعوا له ليلة الاسراء وهو الظاهر .

فصل: قوله «فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين» الايات: ٥٥ـ ٥٧.

قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة وابن زيد: معنى «آسفونا» أغضبونا

لان الله تعالى يغضب على العصاة بمعنى يريد عقابهم ، ويرضى عن المطيعين بأن يريد ثوابهم بما يستحقونه من طاعاتهم ومعاصيهم .

وقوله «ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون» المثل بيان عن أن حال الثاني كحال الاول بما قد صار في الشهرة كالعلم .

وقوله «يصدون» بكسر الصاد وضمها وقد قرىء بهما . وقيل: معنى «يصدون» بكسر الصاد يضجون ، أي : ضجوا سروراً منهم . ومن ضمها أراد يعرضون .

وقوله «ماضربوه» يعني : المسيح مثلاً «الا جدلاً» أي : خصومة ودفعاً لك عن الحق ، لان المجادلة لا تكون الا وأحد المجادلين مبطلاً . والمناظرة قد تكون بين المحقين ، لانه قد يعارض ليظهر الحق .

ثم قال تعالى «بل هم قوم خصمون» أي : جدلون في دفع الحق بالباطل .

فصل : قوله «وانه لعلم للساعة فلاتمترن بها» الايات : ٦١ ـ ٦٣ .

الضمير في قوله «وانه لعلم للساعة» يحتمل أن يكون راجعاً الى عيسى عليه السلام لان ظهوره يعلم به مجيء الساعة، لانه من أشراطها، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد .

وقيل : انه عليه السلام يعود غير مكلف في دولة المهدي عليه السلام ، وان كان التكليف باقياً على أهل ذلك الزمان .

وقوله « قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه» قال قوم: البعض هاهنا يراد به الكل ، كأنه قال: ولابين لكم جميع ماتختلفون فيه . وقيل : أرادبه من أمر دينكم دون أمر دنياكم .

والاختلاف أصل كل عداوة. والوفاق أصل كل ولاية ، لان الخلاف يوجب البغضة .

فصل : قوله « ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون » الاية : ٧٠ .

«تحبرون»أي : تسرون فيها . والحبور السرور الذي يظهر في الوجه أثره، وحبرته حسنته بما يظهر أثر السرور به .

وقال قتادة وابن زيد: معنى «تحبرون» تنعمون وقال السدي: معناه تكرمون.

فصل: قوله «ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون»الاية: ٧٤ ـ ٧٥ .

أي : آيسون من رحمة الله وفرجه، وهو قول قتادة .

والابلاس اليأس من الرحمة مع شدة الحيرة، يقال: أبلس فلان اذا تحير عند انقطاع الحجة .

فصل: قوله « قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين» الايات: ٨١ ـ ٨٥.

قيل: في معنى قوله « قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » أقوال :

أحدها : فأنا أول الانفين من عبادتـه ، لان من كان له ولد لايكون الا جسماً محدثاً ، ومن كان كذلك لايستحق العبادة، لانه لايقدر على النعم التي يستحق بها العبادة، تقول العرب : عبدت فصمت، قال الفرزدق :

واعبد أن يهجى كليب بدارم

وقال آخر :

ألا هذيت أم الوليد وأصبحت لماأبصرت في الرأس مني تعبد

الثاني: ماقاله ابن زيد بن أسلم وقتادة: ان « ان » بمعنى « ما » وتقديره: ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله .

الثالث : هو أنه لوكان له ولد لعبدته على ذاك، كماتقول: لودعت الحكمة الى عبادة غير الله لعبدته ، لكنـها لاتدعو الى عبادة غيره ، وكماتقول : لو دل الدليل على أن له ولداً لقلت به لكنه لايدل ، فهذا تحقيق نفي الولد ، لانه تعليق محال بمحال .

انما لم يجز على الله تعالى الولد ، لانه لايخلو أن يضاف اليه الولد حقيقة أومجازاً، وحقيقة أن يكون مخلوقاً من مائه أومولوداً على فراشه، وذلك يستحيل عليه تعالى . ومجازه أن يضاف اليه على وجه التبني ، وانمايجوز ذلك في من يجوز عليه حقيقته ، ألاترى أنه لايقال : تبنى شاب شيخاً لمالم يمكن أن يكون له ولداً له حقيقة ، وان جاز أن يضاف الى شيخ شاب أنه تبناه لماكانت حقيقته مقدرة فيه .

وانماجاز أن يقال: روح الله، ولم يجز أن يقال: ولد الله ، لان روح الله بمعنى ملك الله للروح ، وانما أضيف اليه تشريفاً، وان كانت الارواح كلها لله، بمعنى أنه مالك لها ولاتعارف مثل ذلك في الولد .

ثم قال « وهو الذي في السماء اله » أي: تحق له العبادة في السماء وتحق له العبادة في الارض . وانما كرر لفظ « اله » في قوله « وفي الارض اله » لاحد أمرين :

أحدهما: للتأكيد ليتمكن المعنى في النفس لعظمه في باب الحق .

الثاني : أن المعنى هو في السماء اله يجب على الملائكة عبادته ، وفي الارض اله يجب على الادميين عبادته .

وقوله « تبارك » هو مأخوذ من الثبوت، ومعناه جل الثابت الذي لم يزل ولا يزال. وقيل : معناه جل الذي عمت بركة ذكره .

سورة الدخان

فصل: قوله « رب السماوات والارض ومابينهما ان كنتم موقنين » الآية: ٧.

يجوز أن يكون المراد ان كنتم موقنين ، أي : ان كنتم ممن يطلب اليقين فهذا طريقه ، واليقين ثلج الصدر بالعلم ، وهو حال يجده الانسان من نفسه عند

التفقد[١]، ولهذا يقال: من وجد برد اليقين، ولذلك لايوصف الله تعالى باليقين ، وان وصف بأنه عالم وعليم .

فصل: قوله « واترك البحر رهواً » الآيات : ٢٤ ـ ٢٧ .

أي: ساكناًعلى ماهو به من كثرته اذا قطعه ولايرده الى ماكان، ويقال: هيش راه اذا كان خفضاً وادعاً .

وقال قوم : معناه اترك البحر يبساً . وقيل: طريقاً يابساً. وقال ابن الاعرابي معناه واسعاً مابين الطاقات .

وقوله « ونعمةكانوا فيها فاكهين » النعمة بفتح النون التنعم، وبكسرهامنفعة يستحق بهاالشكر وانكانت مشقة ، لان التكليف نعمة وانكان فيه مشقة . والفاكهة المتمتع بضروب اللذة ،كمايتمتع الاكل بضروب الفاكهة .

سورة الجاثية

فصل: قوله « ويل لكل أفاك أثيم » الآيات : ٧ ـ ١٠ .

الويل قيل: انه واد سائل من صديد جهنم . وقيل: ان الويل كلمة يتلقى بها الكفار والفساق يتضمن استحقاقهم العقاب. والافاك الكذاب، ويطلق ذلك على من يكثر كذبه .

ثم قال « ومن ورائهم جهنم » أي: من بين أيديهم، يعني يوم القيامة جهنم معد لهم ، وانماقيل لمابين أيديهم .

« من ورائهم » والوراء هو الخلف ، لانه يكون في مستقبل أوقاتهم بعد تقضيهم ، فيصلح لهذه العلة فيه الوجهان .

فصل : قوله « أم حسب الذين اجترحوا السيئآت أن نجعلهم كالذين آمنوا

---

(١) في التبيان : التعقل .

وعملوا الصالحات » الايات : ٢١ ـ ٢٣ .

الاجتراح الاكتساب، اجترح السيئة اجتراحاً أي اكتسبها من الجراح، لان له تأثيراً كتأثير الجراح، ومثله الافتراف، وهو مشتق من قرف القرحة، والسيئة هي التي يسوء صاحبها، وهي الفعلة القبيحة .

قال الرماني: القبيح ماليس للقادر عليه فعله ، والحسن هو ماللقادر عليه أن يفعله ، وكل فعل وقع لا لامر من الامور فهو لغو لاينسب الى الحكمة ولا الى السفه .

ثم قال « أفرأيت » يامحمد « من اتخذ الهه هواه » وانما سمى الهوى الهاً من حيث أن العاصي يتبع هواه، ويرتكب مايدعوه اليه، ولم يرد أنه يعبد هواه، أويعتقد أنه يحق له العبادة، لان ذلك لايعتقده أحد .

قال الحسن : معناه اتخذ الهه بهواه ، لان الله تعالى يحب أن يعرف بحجة العقل لابالهوى. وقال ابن عباس: معناه أفرأيت من اتخذ دينه مايهواه، لانه يتخذه بغير هدى من الله ولا برهان .

وقوله « وأضله الله على علم » معناه حكم بضلاله عالماً بعدوله عن الحق . ويحتمل أن يكون المعنى يعدل الله بـه عن طريق الجنة الى طريق النار جزاءاً على فعله عالماً بأنه يستحق ذلك .

« وختم على سمعه وقلبه » وقد فسرناه فيمامضى ، ومعناه أنه يجعل عليهما علامة تدل على كفره وضلاله واستحقاقه للعقاب ، لا أنه يفعل فيهما مايمنع من فعل الايمان والطاعات .

سورة الاحقاف

فصل : قوله « قل ماكنت بدعاً من الرسل وماأدري مايفعل بـي ولا بكم » الايات : ٩ ـ ١٠ .

البدع الاول في الامر، يقال: هو بدع من قوم أبداع، قال عدي بن زيد :

فلا أنا بدع من حوادث تعتري رجالا عرت من بعد موسى[١] وأسعد

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة : معناه ماكنت بأول رسول بعث .

وقوله « ماأدري مايفعل بي ولابكم » قال الحسن: معناه لاأدري مايأمرني الله تعالى فيكم من حرب أوسلم أوتعجيل عقابكم أوتأخيره .

وقوله « ان الله لايهدي القوم الظالمين » يحتمل أمرين :

أحدهما : أنهم لايهديهم الى الجنة لاستحقاقهم العقاب .

والثاني : أنه لايحكم بهداهم لكونهم ضلالا ظالمين ، ولايجوز أن يكون المراد لايهديهم الى طريق الحق لانه تعالى هدى جميع المكلفين ، بأن نصب لهم الادلة على الحق ودعاهم الى اتباعه ورغبهم في فعله وقد قال «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى»[٢] فبين أنه هداهم الى الحق ، وان اختاروا هم الضلال .

فصل : قوله «قال رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي» الاية:١٥.

الايزاع المنع من الانصراف عن الشيء ، فايزاع الشكر المنع من الانصراف عنه باللطف ، ومنه قولهم : يزع الله بالسلطان مالايزع بالقرآن ، قال النابغة : «والشيب وازع» أي: مانع .

وقيل : ايزاع الشكر الهام الشكر . وقيل : الاغراء بالشكر .

فصل : قوله « أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا » الاية : ١٦ .

يعني : مايستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات ، لان المباحات وان كانت حسنة لايستحق بها الثواب ولاتوصف بأنها متقبلة ، لانه لايتقبل الاماذكرناه

(١) في التبيان : بؤس .

(٢) سورة فصلت : ١٧ .

من واجب أوندب .

فصل :قوله « واذكر أخاعاد اذ أنذر قومه بالاحقاف » الاية : ٢١ .

قال ابن عباس : الاحقاف هو واد بين عمان ومهوة . وقال ابن اسحاق : الاحقاف الرمل فيما بين عمان الى حضرموت . وقال قتادة :الاحقاف رمال مشرفة.

فصل : قوله «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولاتستعجل»الاية :٣٥.

قال قوم : أولوا العزم هم الذين يثبتون على عقد القيام بالواجب واجتناب المحارم ، فعلى هذا الانبياء كلهم أولوا العزم . ومن قال : ذلك جعل «من» هاهنا للتبيين لا للتبعيض .

ومن قال : ان أولي العزم طائفة من الرسل وهم قوم مخصوصون قال «من» هاهنا للتبعيض ، وهو الظاهر في روايات أصحابنا وأقوال المفسرين ، ويريدون بأولى العزم من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدم من الانبياء قالوا: وهم خمسة أولهم نوح ، ثم ابراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم محمد ﷺ .

سورة محمد « ص »

قوله « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم » الايات : ١ ـ ٥ .

معناه : حكم الله على أعمالهم بالضلال عن الحق والعدول عن الاستقامة ، وسماها بذلك لانها عملت على غير هدى وغير رشاد .

ومعنى التكفير في السيئات هو الحكم باسقاط المستحق عليها من العقاب ، فأخبر تعالى أنه متى فعل المكلف الايمان بالله والتصديق لنبيه،أسقط عقاب معاصيه حتى يصير بمنزلة مالم يفعل .

قوله « فاما منا بعد واما فداءاً » قال قتادة وابن جريح: الاية منسوخة بقوله

« فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم »[١] .

وقوله « فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم »[٢] وقال قوم : ليست منسوخة والامام مخير بين الفداء والمن والقتل بدلالة الايات الاخر .

والذي رواه أصحابنا أن الاسير اذا أخذ قبل انقضاء الحرب والقتال والحرب قائمة ، فالامام مخير بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ويتركهم حتى ينزفوا ، وليس له المن ولا الفداء .

وان كان أخذ بعد وضع الحرب أوزارها وانقضاء الحرب ، كان مخيراً بين المن والفداء : اما بالمال أو النفس، وبين الاسترقاق . فان أسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وصار حكمه حكم المسلم .

فصل : قوله «فأحبط أعمالهم »الاية : ٩ .

أي : حكم ببطلانها ، لانها وقعت على خلاف الوجه المأمور به .

فصل : قوله «ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً »الاية : ١٦ .

قرأ ابن كثير أنفاً على وزن فعل، الباقون آنفاً بالمد على وزن فاعل حكى الله تعالى لنبيه أن من الكفار من اذا جاء الى النبي ﷺ واستمع لقراءة القرآن ، فلا يصغى اليه ولا ينتفع به حتى اذا خرج من عنده لم يدر ما سمعه ولا فهمه، ويسألون أهل العلم الذين آتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين .

«ماذا قال آنفاً » أي :أي شيء قاله الساعة وقيل: معناه قريباً . وقيل : مبتدياً. والانف الجاني يأول المعنى ومنه الاستئناف، وهو استقبال الامر بأول المعنى، ومنه الانف لانه أول ما يبدو من صاحبه .

---

(١) سورة التوبة : ٦ .

(٢) سورة الانفال : ٥٨ .

فصل : قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات »الاية : ١٩ .

الخطاب له والمراد بـه الامة ، لانه ﷺ لاذنب له يستغفر منه ، ويجوز أن يكون ذلك على وجه الانقطاع اليه.

ثـم قال « والله يعلم متقلبكم ومثواكم » أي : الموضع الذي تتقلبون فيه ، وكيف تتقلبون وموضع استقراركم ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم طاعة كانت أو معصية .

فصل : قـوله « أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * أفـلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » الاية : ٢٣ ـ ٢٤ .

أي : سماهم عمياً وصماً وحكم عليهم بذلك ، لانهم بمنزلة الصم والعمي من حيث لم يهتدوا الى الحق ولا أبصروا الرشد ، ولم يرد الاصمام في الجارحة والاعماء في العين ، لانهم كانوا بخلافه صحيحي العين صحيحي السمع .

ثم قال موبخاً لهم « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » معناه : أفلا يتدبرون القرآن بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به أم على قلوب[1] اقفل يمنعهم من ذلك تنبيهاً لهم على أن الامر بخلافه ، وليس عليها مايمنع من التدبر والتفكر والتدبر والنظر في موجب الامر و عاقبته ، وعلى هذا دعاهم الى تدبر القرآن .

وفى ذلك حجة على بطلان قول من يقول : لايجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن الابخبر وسمع .

وفيه تنبيه على بطلان قول الجهال من أصحاب الحديث أنه ينبغي أن يروى الحديث على ماجاء ، وان كان مختلا في المعنى ، لان الله تعالى دعا الى التدبر والتفقه ، وذلك مناف للتعامي والتجاهل .

ثم قال « ان الذين ارتدوا على أدبارهم » أي : رجعوا عن الحق والايمان

---

(١) في التبيان : قلوبهم .

« من بعد ماتبين لهم الهدى» أي: ظهر لهم الطريق الواضح المفضي الى الجنة .

وليس في ذلك مايدل على أن المؤمن على الحقيقة يجوز أن يكفر[1] ، لانه لايمتنع أن يكون المراد من رجع عن اظهار الايمان بعد وضوح الامر فيه وقيام الحجة بصحته .

فصل : قوله « ولتعرفنهم في لحن القول » الاية : ٣٠ .

أي :في فحوى القول ومتضمنه ،ومنه قوله عليه السلام «ولعل بعضكم ألحن بحجته» أي: أذهب بها في الجهات ، لقوته على تصريف الكلام . واللحن الذهاب عن الصواب في الاعراب . واللحن ذهاب بالكلام الى خلاف جهته .

فصل :قوله «ولن يتركم أعمالكم »الاية : ٣٥ .

أي : لن ينقصكم أجور أعمالكم ، يقال : وتره يتره وتراً اذا نقصه ، وهو قول مجاهد، وأصله القطع فمنه البتر القطع بالقتل، ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره .

سورة الفتح

فصل : قوله «انا فتحنا لك فتحنا مبيناً * ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» الاية : ١ - ٢ .

قد بينا أن شيئاً من القبائح لايجوز على الانبياء بحال ، على أن الصغائر تقع مكفرة محبطة لايثبت عقابها ، فكيف يمتن الله تعالى على النبي بأنه يغفرهاله وهو تعالى لو واخذه بها لكان ظالماً ، وانما يصح التمدح بماله المؤاخذة وله العفو ، فاذا غفر استحق بذلك الشكر .

وللاية وجهان من التأويل :

---

(١) في التبيان : يرتد .

أحدهما: ليغفرلك ماتقدم من ذنب أمتك وماتأخر بشفاعتك ولمكانك، وأضاف الذنب الى النبي وأراد به أمته ، كما قال «واسأل القرية»[١] فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه، وذلك جائز لقيام الدلالة ،عليه، كماقال«وجاء ربك»[٢] والمراد جاء أمر ربك .

الثاني :أراد يغفر ما أذنبه قومك اليك من صدهم لك عن الدخول الى مكة سنة الحديبية .

فصل : قوله « انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه » الايات : ٨ ـ ١٠ .

معنى «تعزروه » أي : تنصروه ، فالهاء راجعة الى النبي ﷺ . وقال المبرد: معنى « تعزروه » تعظموه .

وقوله « لتؤمنوا بالله ورسوله » دلالة على بطلان قول المجبرة أنه تعالى يريد من الكفار الكفر ، لانه تعالى بين أنه أراد من جميع المكلفين الطاعة ولم يرد أن يعصوا .

ثم قال « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله » فالمراد بالبيعة المذكورة هاهنا بيعة الحديبية ، وهي بيعة الرضوان ،والمبايعة معاقدة على السمع والطاعة كالمعاقدة في البيع والشراء .

وقوله « يد الله فوق أيديهم » قيل : في معناه قولان :

أحدهما : عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم ، لانهم بايعوا الله ببيعة نبيه .

والاخر : قوة الله في نصرة نبيه فوق نصرهم .

فصل:قوله« سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا » الاية : ١١ .

الاعراب الجماعة من عرب البادية ، وعرب الحاضرة ليسوا بأعراب ،

---

(١) سورة يوسف : ٨٢ .

(٢) سورة الفجر : ٢٢ .

ففرقوا بينهما وان كان اللسان واحداً .

وقوله « وكنتم قوماً بورا » البور الفاسد . وقال مجاهد: البور الهالكون .

فصل : قوله « قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً » الايات : ١٦ ـ ٢٠ .

يقول الله تعالى لنبيه قل لهؤلاء المخلفين الذين تخلفوا عنك من الخروج الى الحديبية « ستدعون » فيما بعد « الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون وقال ابن عباس : أولوا البأس الشديد أهل فارس . وقال ابن أبي ليلى والحسن : هم الروم .

وقال سعيدبن جبير وعكرمة وقتادة: هم هوازن بحنين .

وقال الزهري: هم بنوحنيفة مع مسيلمة الكذاب وكانوا بهذه الصفة .

واستدل جماعة من المخالفين بهذه الاية على امامة أبي بكر من حيث أن أبا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة، وعمر دعاهم الى قتال فارس والروم، وكانوا قد حرموا القتال مع النبي ﷺ ، بدليل قوله « لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً » .

وهذا الذي ذكروه غير صحيح من وجهين :

أحدهما: أنه غلط في التاريخ ووقت نزول الاية .

والثاني: أنه غلط في التأويل، ونحن نبين فساد ذلك أجمع، ولنا في الكلام في تأويل الاية وجهان :

أحدهما: أن ينازع في اقتضائها داعياً يدعو هؤلاء المخلفين غير النبي ويبين أن الداعي لهم فيمابعد كان النبي ﷺ، على ماحكيناه عن قتادة وسعيد بن جبير

في أن الاية نزلت في أهل حنين[١]، وكان النبي عليه السلام هو الداعي الى ذلك .

والاخر : أن يسلم أن الداعي غيره، ونبين أنه لم يكن أبابكر ولا عمر ، بل كان أمير المؤمنين .

فأما الوجه الاول فظاهر ، لان قوله « سيقول لك المخلفون من الاعراب » الى قوله «وكنتم قوماً بوراً» قد بينا أنه أراد به الذين تخلفوا عن الحديبية باجماع المفسرين .

ثم قال « سيقول المخلفون اذا انطلقتم » الى آخر الاية ، بين أن هؤلاء المخلفين سألوا أن يخرجوا الى غنيمة خيبر، فمنعهم الله ذلك وأمر نبيه بأن يقول لهم « قل لن تتبعونا » الى هذه الغزاة[٢]، لانه تعالى كان حكم من قبل بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية، وأنه لاحظ فيها لمن لم يشهدها ، وهذا هو معنى قوله « يريدون أن يبدلوا كلام الله » وقوله «كذلكم قال الله من قبل » .

ثم قال «قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » وانما أراد أن الرسول سيدعونهم فيما بعد الى قتال بهذه الصفة، وقد دعاهم بعد ذلك الى غزوات كثيرة .

وقال قوم: أولي بأس شديد ، كمؤتة وحنين وتبوك وغيرها ، فمن أين يجب أن يكون الداعي لهم غير النبي عليه السلام .

فأما قولهم ان معنى «كذلكم قال الله من قبل » هو أنه أراد قوله « فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً » فهو الغلط[٣] الفاحش في التاريخ .

---

(١) في التبيان: خيبر .

(٢) في التبيان: القرية .

(٣) في التبيان: مملوء بالغلط .

لانا قد بينا أن هذه الاية التي في التوبة نزلت بتبوك سنة تسع ، وآية سورة الفتح نزلت سنة ست ، فكيف تكون قبلها ، وينبغي لمن تكلم في تأويل القرآن أن يرجع الى التاريخ ، ويراعي أسباب نزول الايـة على ماروي، ولايقول على الاراء والشهوات .

وتبين أيضاً أنهؤلاء المخلفين غيرأولئك، وان لم يرجع الى تاريخ ونقول قوله « فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وان تتولوا كماتوليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً » فلم يقطع فيهم على طاعة ولامعصيـة، بل ذكر الوعد والوعيد على مايتعلق به من طاعة أومعصية ، وحكم المذكورين في سورة التوبة بخلافه، لانه تعالى قال بعد قوله « انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين » الى قوله « وهم كافرون»[1] .

واختلاف أحكامهم تدل على اختلافهـم ، وقد حكينا عن سعيدبن جبير أنه قال: هذه الاية نزلت في هوازن يوم حنين . وقال الضحاك : هم ثقيف .

وأماالوجه الذي يسلم معه أنالداعي غير النبي عليه السلام، فهو أن نقول: الداعي أميرالمؤمنين عليه السلام، لانه قاتل بعده أهل الجمل وصفين وأهل النهروان ، وبشره النبي عليه السلام بقتالهم وكانوا أولي بأس شديد .

فان قالوا: من قاتلهم علي عليه السلام كانوا مسلمين . وفي الاية قال: «تقاتلونهم أو يسلمون» كيف تتناولهم الاية ؟

قلنا: أول مانقوله: انهم غيرمسلمين عندنا ولاعند جميع من خالفنا من المعتزلة لان عندهم صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولامسلم .

وأما مذهبنا في تكفير من قاتل علياً عليه السلام معروف، وقدذكرناه في كتب الامامة لقوله عليه السلام: حربك ياعلي حربي. وغيرذلك من الاخبار والادلة التي ذكرناها في غير

(١) سورة التوبة: ٨٤ ـ ٨٦ .

موضع، واستوفينا مايتعلق بذلك في كتاب الامامة .

ويمكن على تسليم أن الداعي أبوبكر وعمر أن يقال : ليس في الاية مايدل على مدح الداعي ولاعلى امامته ، لانه قد يدعو الى الحق من ليس عليه، ويجب ذلك من حيث كان واجباً لامن أجل دعاء الداعي، وأبوبكر دعاهم الى الدفاع عن الاسلام، وهذا واجب على كل أحد بلادعاء داع .

ويمكن أن يكون المراد بقولـه « ستدعون » دعاء الله لهم بايجاب القتال عليهم، لانه اذا دلهم على وجوب القتال للمرتدين ودفعهم عن بيضة الاسلام فقد دعاهم الى القتال ووجبت عليهم طاعته .

والكلام في هذه الاية كالكلام في التي قبلها في أنا اذا قلنا لاتدل على امامة الرجلين لانكون طاعنين، بل لايمتنع أن يثبت فضلهما وامامتهما بدليل غير الاية، لان المحصلين من العلماء يذهبون الى امامتهما من جهة الاختيار[1] لا من جهة الايـة .

وقوله « لقد رضي الله عن المؤمنيـن اذ يبايعونك تحت الشجرة » سميت بيعة الرضوان لقول الله تعالى « لقد رضي الله عن المؤمنين» قال ابن عباس :كان سبب بيعة الرضوان بالحديبية تأخر عثمان حين بعثه النبي ﷺ الى قريش أنهم قتلوه، فبايعهم على قتال قريش .

وهو اخبار من الله تعالى أنـه رضي عن الذين بايعوا تحت الشجرة النبي عليه السلام، وكانوا مؤمنين في الوقت الذي بايعوه «فعلم مافي قلوبهم » من ايمان ونفاق، فرضي عن المؤمنين وسخط على المنافقين .

وقيل : معناه فعلم مافي قلوبهم من صدق النية في القتال وكراهته له ، لانه بايعهم على القتال ، ذكره مقاتل .

---

(١) في التبيان: الاخبار .

«فأنزل السكينة عليهم» يعني: على المؤمنين، والسكينة الصبر لقوة البصيرة.

والشجرة التي بايعوا تحتها هي السمرة.

واستدل بهذه الاية جماعة على فضل أبي بكر، فانه لاخلاف أنه كان من المبايعين تحت الشجرة، وقد ذكر الله أنه رضي عنهم وأنه أنزل السكينة عليهم، وأنه علم مافي قلوبهم من الايمان وأثابهم فتحاً قريباً.

والكلام على ذلك مبني على القول بالعموم، وفي أصحابنا من قال: لاصيغة للعموم ينفرد بها، وبه قال كثير من المخالفين.

فمن قال بذلك كانت الاية عنده مجملة لايعلم المعنى بها، وقد بايع النبي عليه السلام جماعة من المنافقين بلاخلاف، فلابد من تخصيص الاية على كل حال، على أنه تعالى وصف من بايع تحت الشجرة بأوصاف قد علمنا أنها لم تحصل في جميع المبايعين، فوجب أن يختص الرضا بمن جمع الصفات، لانه قال «فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً».

ولا خلاف بين أهل النقل أن الفتح الذي كان بعد بيعة الرضوان بلا فصل هو فتح خيبر، وأن رسول الله بعث أبا بكر ثم عمر، فرجع كل واحد منهما منهزماً، فقال النبي عليه السلام عند ذلك «لاعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار، لايرجع حتى يفتح الله على يديه» فدعا علياً فأعطاه الراية، وكان الفتح على يده، فوجب أن يكون هو المخصوص بحكم الاية، ومن كان معه في ذلك الفتح، لتكامل الصفات فيهم.

على أن في من بايع بيعة الرضوان طلحة والزبير وقد وقع منهما من قتال علي عليه السلام ما خرجابه عن الايمان، وفسقا عند جميع المعتزلة ومن جرى مجراهم، ولم يمنع وقوع الرضا في تلك الحال من موافعة المعصية فيما بعد، فما الذي يمنع من مثل ذلك في غيره.

وليس اذا قلنا ان الاية لا تختص بالرجلين كان طعناً عليهما، بل اذا حملناها

على العموم دخلا وكل متابع مؤمن فيها ، فكان ذلك أولى .

فصل : « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » الاية : ٢٩ .

قال ابن عباس : أثر صلاتهم يظهر في وجوههم . وقال الحسن: هو السمت الحسن .وقال قوم: هو مايظهر في وجوههم من السهر بالليل. وقال مجاهد: معناه علامتهم في الدنيا من أثر الخشوع .

وقوله « كمثل زرع أخرج شطأه فآزره » شبههم بالزرع الذي ينبت حواليه نبات ويلحق به. فالشط فراخ الزرع الذي يخرج في جوانبه، ومنه شاطىء النهر جانبه .

« فآزره » أي: عاونه فشد فراخ الزرع لاصول النبت وقواها. وقال أبو عبيدة آزره ساواه فصار مثل الام .

سورة الحجرات

فصل: قوله « ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم * ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » الايات : ١ ـ ٢ .

أمرهم أن يتقوا الله بأن يجتنبوا معاصيه ويفعلوا طاعاته ، ثم أمرهم ثانياً بأن لايرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي على وجه الاستخفاف به عليه السلام . فان مجاهداً وقتادة قالا: جاء أعراب اجلاف من بني تميم، فجعلوا ينادون من وراء الحجرات يامحمد أخرج الينا .

ولو أن انساناً رفع صوته على صوت النبي عليه السلام على وجه التعظيم له والاجابة لقوله لم يكن مأثوماً ، وقد فسر ذلك بقوله « ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » فان العادة جارية أن من كلم غيره فرفع صوته فوق صوته أن ذلك دال

على وجه الاستخفاف به، فلذلك نهاهم عنه .

وجهر الصوت أشد من الهمس، ويكون شديداً وضعيفاً ووسطاً . والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد ، ومنه الجهارة في المنطق .

فصل : قوله « ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين» الاية : ٦ .

قال ابن عباس ومجاهد ويزيد بن رومان وقتادة وابن أبي ليلى : نزلت الاية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط لما بعثه رسول الله في صدقات بني المصطلق ، خرجوا يتلقونه فرحاً به واكراماً له، فظن أنهم هموا بقتله، فرجع الى النبي ﷺ فقال : انهم منعوا صدقاتهم وكان الامر بخلافه .

وفي الاية دلالة على أن خبر الواحد لايوجب العلم ولا العمل ، لان المعنى ان جاءكم فاسق بالخبر الذي لا تأمنون أن يكون كذباً فتوقفوا فيه .

وهذا التعليل موجود في خبر العدل ، لان العدل على الظاهر يجوز أن يكون كاذباً في خبره ، فالامان غير حاصل في العمل بخبره .

وفي الناس من استدل به على وجوب العمل بخبر الواحد اذا كان راويه عدلا ، من حيث أنه أوجب تعالى التوقف في خبر الفاسق ، فدل على أن خبر العدل لايجب التوقف فيه .

وهذا الذي ذكروه غير صحيح ، لانه استدلال بدليل الخطاب ، ودليل الخطاب ليس بدليل عند جمهور العلماء . ولو كان صحيحاً ، فليست الاية بأن يستدل بدليلها على وجوب العمل بخبر الواحد اذا كان عدلا ، بأولى من أن يستدل بتعليلها في رفع الامان من أن يصاب بجهالة اذا عمل بها على أن خبر العدل مثله ،على أنه لايجب العمل بخبر الواحد وان كان راويه عدلا .

فان قيل : هذا يؤدي الى أن لافائدة في ايجاب التوقف في خبر الفاسق اذا

كان خبر العدل مثله في الفائدة .

قلنا : والقول بوجوب العمل بخبر العدل[١] يوجب أن لافائدة في تعليل الاية في خبر الفاسق الذي يشاركه العدل فيه ، فاذا تقابلا سقط الاستدلال على كل حال وبقي الاصل في أنه لايجوز العمل بخبر الواحد الا بدليل .

فصل : قوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً » الايات : ١١ ـ ١٥ .

قوله «ولا تلمزوا أنفسكم »فاللمز هو الرمي بالعيب لمن لايجوز أن يؤذي بذكره ، وهو المنهي عنه فأما ذكر عيبه فليس بلمز ، وروي أنه عليه السلام قال: قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره الناس .

وقال ابن عباس وقتادة : لايطعن بعضكم على بعض ، كما قال «ولا تقتلوا أنفسكم »[٢] لان المؤمنين كنفس واحدة ، فكأنه بقتله أخاه قاتل نفسه .

وقوله « ولا تنابزوا بالالقاب » قال أبو عبيدة : الانباز والالقاب واحد، فالنبز القذف باللقب ، نهاهم الله أن يلقب بعضهم بعضاً . وقال الضحاك : معناه كل اسم أوصفة يكره الانسان أن يدعى به فلايدع به ، وانما يدعى بأحب أسمائه اليه .

وقوله « بئس الاسم الفسوق بعد الايمان »لايدل على أن المؤمن لايكون فاسقاً، لان الايمان والفسوق بعد الايمان لايجتمعان ، لان ذلك يجري مجرى أن يقال : بئس الحال الفسوق بعد الشيب .

والمعنى بئس الاسم الفسوق مع الايمان ،كما أن المعنى بئس الحال الفسوق مع الشيب ، على أن الظاهر يقتضي أن الفسق الذي يتعقب الايمان بئس الاسم . وذلك لايكون الاكفراً وهو بئس الاسم .

---

(١) في التبيان :الواحد .

(٢) سورة النساء : ٢٨ .

ثم خاطبهم أيضاً فقال « ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن » وانما قال « كثيراً » لان في جملته ما يجب العمل عليه ولا يجوز مخالفته .

وقوله «ان بعض الظن اثم» فالظن الذي يكون اثماً هو ما يفعله صاحبه ، وله طريق الى العلم بدلا منه مما يعمل عليه ، فهذا ظن محرم لايجوز فعله . فأما مالا سبيل له الى دفعه بالعلم بدلا منه فليس باثم ، فلذلك كان بعض الظن اثماً دون جميعه .

والظن المحمود قد بينه الله ودل عليه في قوله «لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً »[1] وقيل : يعني للمؤمن[2] أن يحسن الظن به ، ولا يسيء الظن في شيء يجد له تأويلا جميلا ، وان كان ظاهره القبيح ، ومتى فعل ذلك كان ظنه قبيحاً .

وقوله « ولاتجسسوا » أي : لاتتبعوا عثرات المؤمن ، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة . وقيل : يجب على المؤمن أن يتجنب ذكر المستور عند الناس بقبيح ، لان عليهم أن يكذبوه ويردوا عليه ، وان كان صادقاً عند الله ، الا أن الله ستره عند الناس .

وانما دعى الله تعالى المؤمن الى حسن الظن في بعضهم ببعض ، للالفة و والتناصر على الحق ، ونهوا عن سوء الظن لما في ذلك من التقاطع والتدابر .

وقوله « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » معناه : ان من دعي الى أكل لحم أخيه فعافته نفسه ، فكرهه من جهة طبعه ، فانه ينبغي اذا دعي الى غيبة[1] أخيه، فعافته نفسه من جهة عقله[2]،فانه ينبغي أن يكرهه ، لان داعي العقل

---

(١) سورة النور : ١٢ .

(٢) فى التبيان : يلزم المؤمن .

(١) فى التبيان : عيب .

(٢) فى التبيان : طبعه .

أحق بأن يتبع من داعي الطبع، لان داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير، وكلاهما في صفة الناصح، وهذا من أحسن ما يدل به على ما ينبغي أن يتجنب .

ومعنى قوله « لايلتكم » لاينقصكم من حقكم شيئاً ، ومنه قوله « وما ألتناهم من عملهم من شيء »[١] أي : ما نقصناهم .

فصل : قوله « يمنون عليك أن أسلموا »الاية : ١٧ .

المن القطع بايصال النفع الموجب للحق ، ومنه قوله « لهم أجر غير ممنون »[٢] أي : غير مقطوع ومنه قولهم : المنة تكدر الصنيعة .

وقيل : اذا كفرت النعمة حسنت المنة ، ومن لاأجد الاوهو محتاج اليه فليس في منه تكدير النعمة، لان الحاجة اليه لازمة، لامتناع أن يستغنى عنه بغيره .

سورة ق

فصل: قوله « فهم في أمر مريج » الاية : ٥ .

أي: مختلط ملتبس، وأصله ارسال الشيء مع غيره في المرج، من قولهم: مرج الخيل الذكور مع الاناث، وهو مرج الخيل أي المسرح الذي يمرج فيه ومرج البحرين أرسلهما في مسرح[٣] يلتقيان ولايختلطان .

وقوله « مارج من نار » أي: مرسلة الشعاع بانتشاره، قال الشاعر :

فجالت فالتمست به حشاها فخر كأنه غصن مريج

أي: قد التبس بكثرة شعبه .

فصل: قوله « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من

---

(١) سورة هود : ٣٨ .

(٢) سورة التين : ٦ .

(٣) في التبيان: مرج .

فروج » الايات: ٦ ـ ١١ .

أي: ليس فيها فتوق يمكن السلوك فيها، وانما يسلكها الملائكة بأن يفتح لها أبواب السماء اذا عرجت اليها .

وقوله « رزقاً للعباد » الرزق هو ماللحي الانتفاع بـه على وجه ليس لغيره منعه منه، والحرام ليس برزق، لان الله تعالى منع منه بالنهي والحظر، وكل رزق فهو من الله تعالى، اما بأن يفعله أويفعل سببه، لانه مماقد يريده وقديرزق الواحد منا غيره، كمايقال: رزق السلطان الجند .

فصل: قوله «كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس » الايات: ١٢ ـ ١٥ .

أصحاب الرس هم أصحاب البئر الذين قتلوا نبيهـم ورسوه فيها، في قول عكرمة. وقال الضحاك : الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين .

وقوله: «وأصحاب الايكة» هم قوم شعيب، والايكة الغيظة .

وقولـه « أفعيينا بالخلق الاول » يقال : عييت بالامر اذا لم يعرف وجهـه ، وأعييت اذا تعبت ، وكل ذلك من التعب في الطلب .

فصل: قوله « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد * اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد » الايات: ١٦ ـ ٢٠ .

قال ابن عباس ومجاهد: الوريد عرق في الحلق، وهما وريدان في العنق عن يمين وشمال. وقال الحسن: الوريد الوتين، وهو عرق معلق به القلب، فالله أقرب الى المؤمن[1] من قلبه .

وقوله « يتلقى المتلقيان » يعني الملكين الموكلين بالانسان عن يمينه وشماله قعيد. وانما وحد « قعيد» لاحد أمرين :

أحدهما: أنه حذف من الاول لدلالة الثاني عليه ، كماقال الشاعر :

---

(١) في التبيان: المرء .

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

الثاني: أن يكون القعيد على لفظ الواحد، ويصلح للاثنين والجمع كالرسول لانه من صفات المبالغة وفيه معنى المصدر .

فصل: قوله «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » الايات: ٢٢ ـ ٢٥.

أي: أزلنا الغطاء عنك حتى ظهر لك الامر، وانما تظهر الامور في الاخرة بمايخلق الله فيهم من العلوم الضرورية، فيصير بمنزلة كشف الغطاء عمايرى ، والمراد به جميع المكلفين برهم وفاجرهم، لان معارف الجميع ضرورية .

وقوله « فبصرك اليوم حديد » معناه: ان عينيك حادة النظر، لايدخل عليها شك ولاشبهة. وقيل : المعنى فعلمك بماكنت فيه من أحوال الدنيا نافذ ، ليس يراد به بصر العين ،كمايقال: فلان بصير بالنحو أوبالفقه .

وقوله « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد » انما قيل « ألقيا » لان المأمور بالقاء كل كافر في النار اثنان من الملائكة . وقيل: يجوز أن يكون على لفظ الاثنين والمأمور واحد، لانه بمنزلة القاء اثنين في شدته .

وحكى الزجاج عن بعض النحويين ان العرب يأمر الواحد بلفظ الاثنين ، فنقول: قوما واقعدا . قال الحجاج : ياحرسي اضربا عنقه . وانماقالوا ذلك لان اكثر مايتكلم به العرب ممن يأمره بلفظ الاثنين .

* نحو خليلي مرابي على أم جندب *

وقوله « »[1] وقال المبرد : هذا فعل مبني للتأكيد كأنه قال : ألق ألق .

فصل: قوله « يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد » الاية : ٣٠.

قال قوم وهو أظهر الاقوال: ان الكلام خرج مخرج المثل، أي: انجهنم

(١) بياض في الاصل وكذا في التبيان .

من سعتها وعظمها فيمايظهر من حالها بمنزلة الناطقة التي اذا قيل لها هل امتلات فتقول: هل من مزيد، أي : لم أمتل وبقي في سعة كثيرة ، ومثله قول الشاعر :

امتـلا الحوض وقال قطنـي مهلاً رويداً قـد مـلات بطنـي

والحوض لم يقل شيئاً ، وانما أخبر عن امتلائها وأنها لـو كانت ممن ينطق لقالت: قطني مهلا قد ملات بطني ، فكذلك القول في الاية .

وقال الحسن وعمروبن عبيد وواصل : معنى هل من مزيد ما من مزيد، وأنه بمعنى لامزيد ، وأنكروا أن يكون طلباً للزيادة ، لقوله « لاملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين »[1] .

وقال بعضهم: هذا ليس بمنكر من وجهين : أحدهما ـ أن يكون ذلك حكاية عن الحال التي هي قبل دخول جميع أهل النار فيها، وهي لم يمتل بعد وان امتلات فيها بعد . والاخر : أن يكون طلب الزيادة بشرط أن يزاد في سعتها .

وقال قوم : هل من مزيد بمنزلة قول النبي عليه السلام يوم فتح مكة وقد قيل له : ألا تترك دارك . فقال : وهل ترك لنا عقيل من ربع ، لانه كان باع دور بني هاشم لما خرجوا الى المدينة ، وانما أراد لم يترك لنا داراً .

فصل : قوله« وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد » الاية : ٣١ .

الازلاف التقريب الى الخير، ومنه الزلفة والزلفى ويقولون: ازدلف اليه أي اقترب، والمزدلفة منزلة قريبة من الموقف وهو المشعر وجمع، ومنه قول الراجز:

ناج طـواه الاين مفما وجفا طـي الليالـي زلفـاً فـزلفـا

فصل: قوله : « فنقبوا في البلاد هل من محيص » الايات: ٣٦ ـ ٤٠ .

أي : فتحوا المسالك في البلاد لشدة بطشهم ، فالتنقيب التفتيح لما يصلح للسلوك من نقص البنية ، فالنقب نقض موضع بما يصلح للسلوك . وقال مجاهد:

---

(١) سورة هود : ١١٩.

نقبوا في البلاد ضربوا في الارض ، قال امرء القيس :

لقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب (١)

وقوله «هل من محيص» أي: هل من محيد، وهو الذهاب في ناحية عن الامر للهرب .

وقوله «ولقد خلقنا السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » أي: من نصب وتعب ، في قول ابن عباس ومجاهد . واللغوب الاعياء. قال قتادة : أكذب الله بذلك اليهود قالوا : استراح الله يوم السبت ، فهو عندهم يوم الراحة .

وقيل: انما خلق الله السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام مع قدرته على أن يخلقهما في وقت واحد، لان في ذلك لطفاً للملائكة حين شاهدوه يظهر حالا بعد حال .

وقيل: لان في الخبر بذلك لطفاً للمكلفين فيما بعد اذا تصوروا أن ذلك يوجد شيئاً بعد شيء مع أدب النفس به في ترك الاستعجال ، اذ جرى في فعل الله لضرب من التدبير .

سورة الذاريات

فصل : قوله « والذاريات ذروا * فالحاملات وقرا * فالجاريات يسرا * فالمقسمات أمرا » الايات : ١ ـ ١٤ .

روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس رحمة الله عليه ومجاهد أن الذاريات الرياح .

وسأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب على المنبر: ما الحاملات

(١) ديوان امرء القيس ص ٤٨ .

وقرأ ؟فقال : السحاب . فقال: ما الجاريات يسراً ؟ قال: السفن. والمعنى : انها تجري سهلا، فقال : ما المقسمات أمراً ؟ فقال: الملائكة . وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن ، وهذا قسم من الله تعالى بهذه الاشياء .

وقال قوم: التقدير القسم برب هذه الاشياء، لانه لايجوز القسم الابالله ، والله تعالى يقسم بماشاء من خلقه .

وقوله «ذات الحبك» ذات الزينة بالنجوم والصنعة والطرائق. وقيل: الحبك النسج الحسن، يقال ثوب محبوك .

وقوله « انكم لفي قول مختلف » معناه: انكم في الحق لفي قول مختلف لايصح الا واحد منه ، وهو أمر النبي ﷺ ومادعا اليه ، وهو تكذيب فريق به وتصديق فريق، ودليل الحق ظاهر ، وفائدته أن أحد الفريقين في هذا الاختلاف مبطل، لانه اختلاف تناقض، فاطلبوا الحق منه بدليله والا هلكتم .

وقوله « يؤفك عنه من أفك » معناه : يصرف عنه من صرف ، ومنه قوله « أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا »[1] أي : لتصرفنا وتصدنا .

وقوله «قتل الخراصون» معناه لعن الكذابون، ومثله «قتل الانسان ما أكفره»[2] والخراص الكذاب، وأصله الخرص وهو القطع ، من قولهم خرص فلان كلاماً واخترصه اذا افتراه، لانه اقتطعه من غير أصل يصح، والخرص الحرز في العدد والكيل، ومنه خارص النحل وهو حارزه، وجمعه خراص .

تم التعليق من الجزء الثامن من كتاب التبيان في تفسير القرآن ، ولله المنة والحمد ، وكتب محمدبن ادريس مصلياً حامداً .

---

(١) سورة الاحقاف : ٢٢ .

(٢) سورة عبس: ٧ .

التعليق من الجزء التاسع من التبيان

يشتمل على بقية الذاريات والطور والنجم والقمر والرحمن والواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقين التغابن الطلاق التحريم تبارك نون الحاقة سأل سائل نوح الجن المزمل المدثر القيامة هل أتى المفصل.

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل : قوله « ان المتقين في جنات وعيون * آخذين ماآتاهم ربهم أنهم كانوا قبل ذلك محسنين » الايات: ١٥ - ١٧ .

قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبوبكر عن عاصم « لحق مثل » بالرفع على أنه صفة للحق، الباقون بالنصب .

ويحتمل نصبه وجهين :

أحدهما : قول الجرمي أن يكون نصباً على الحال، كأنه قيل حق مشبهاً لنطقكم في الثبوت .

الثاني: قال المازني: أن يبني لانه مبهم أضيف الى مبني، كماقال الشاعر :

لم يمنع الشرب منها غيران نطقت حمامة في غصون ذات اوقال

فجعل مثل مع ما كالامر الواحد ، كماقال « لاريب فيه » وقوله « خمسة عشر » فيكون على هذا « ما » زائدة ، وأضاف مثل الى « انكم تنطقون » فبناه على الفتح حين أضافه الى المبني، ولوكان مضافاً الى معرب لم يجز البناء، نحو مثل زيد ، ومثل يجوز أن يكون نصبا على المصدر ، كأنه قال : انه لحق حقاً كنطقكم .

قوله «كانوا قليلا من الليل مايهجعون » أي :كان هجوعهم قليلا ، في قول الزهري وابراهيم .

وقال الحسن : « ما » صلة وتقديره كانوا قليلا من الليل يهجعون .

وقال قتادة: لاينامون عن العتمة ينتظرونها لوقتها، كأنه قال: هجوعهم قليلا في جنب يقظتهم للصلاة والعبادة .

وقال الضحاك: تقديره كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا .

ثم ابتدأ فقال « من الليل مايهجعون » وتكون « ما » بمعنى النفي. والمعنى انهم كانوا يحيون الليل بالقيام في الصلاة وقراءة القرآن وغيرذلك .

فصل: قوله « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » الايات: ١٩ ـ ٢٣ .

فالسائل هوالذي يسأل الناس، والمحروم هوالمحارف، في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك .

وقال قتادة والزهري : المحروم هو المتعفف الذي لايسأل. وقال ابراهيم : المحروم الذي لايسهم له في الغنيمة.

وقيل : المحروم الممنوع الرزق بترك السؤال ، أو ذهاب مال ، أوسقوط سهم في الغنيمة ، أوخراب ضيعة اذا صار فقيراً من هذه الجهة .

وقوله « وفي أنفسكم أفلاتبصرون » معناه : في أنفسكم أفلاتتفكرون، بأن

تجدوها مصرفة من حال الى حال، ومنتقلة من صفة الى اخرى، فكنتم نطفاً فصرتم أحياء، ثم كنتم أطفالا فصرتم شباناً، ثم صرتم كهولا، وكنتم ضعفاً فصرتم أقوياء، فهلاد لكم ذلك على أن لها صانعاً صنعها، ومدبراً يصرفها على ماتقتضيه الحكمة ويدبرها بحسب ماتوجبه المصلحة .

وقيل: المعنى أفلاتبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه .

وقوله « وفي السماء رزقكم » ينزله الله اليكم بأن يرسل عليكم الغيث والمطر فيخرج به من الارض أنواع ماتقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به « وماتوعدون » به من العذاب ، ينزله الله عليكم اذا استحققتموه .

وقال الضحاك: وفي السماء رزقكم يعني المطر الذي هو سبب كل خير، وهو من الرزق الذي قسمه الله وكتبه للعبد في السماء .

فصل: قوله « هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين * اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون * فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين » الايات : ٢٤ ـ ٣٠ .

قوله « قوم منكرون » أي: أنتم قوم منكرون ، والانكار نفي صحة الامر ونقيضه الاقرار ، ومثله الاعتراف . وانما قال « منكرون » لانه لم يكن يعرف مثلهم في أضيافه . ومعنى « سلاماً » أي : أسلم سلاماً .

وقوله « فراغ الى أهله » أي : ذهب اليهم خفياً ، فالروغ الذهاب في خفي. والعجل مأخوذ من تعجيل أمره لقرب ميلاده، وهو واحد البقر الصغير. والايجاس الاحساس بالشيء خفياً .

وقوله «وبشروه بغلام عليم » أي: يكون عالماً اذا كبر وبلغ. وقال مجاهد: المبشر به اسماعيل . وقال غيره : هو اسحاق .

وقوله « فأقبلت في صرة » يعني في ضجة، في قول ابن عباس ومجاهد « فصكت

وجهها » قال ابن عباس : لطمت وجهها .

وقال السدي: ضربت وجهها تعجباً ، وهو قول مجاهد وسفيان. والصك الضرب باعتماد شديد .

والعقيم الممتنعة من الولادة لكبر أو آفة. وقال الحسن : العقيم العاقر والملك عقيم يقطع الولاء ، لان الابن يقتل أباه على الملك .

والخطب هو الامر الجليل ، فكأنه قال : قد جئتم لامر جليل ومنه الخطبة ، لانها كلام بليغ لعقد أمر جليل يستفتح بالتحميد والتمجيد .

والمسومة المعلمة بعلامات ظاهرة للحاسة ، لان السوم كالسيماء في أنه يرجع الى العلامة الظاهرة والمجرم القاطع للواجب بالباطل .

وقوله « حجارة من طين » أي: أصلها الطين لاحجارة البرد التي أصلها الماء والمسومة المعلمة بعلامة يعرفها بها الملائكة أنها مما ينبغي أن يرمى بها الكفرة عند أمر الله تعالى بذلك .

قوله « وتركنا فيها آية » فالترك في الاصل ضد الفعل ينافي الاخذ في محل القدرة عليه والقدرة عليه قدرة على الاخذ ، والمعنى في الاية أبقينا فيها آية .

فصل : قوله « وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين * فتولى بركنه» الايات : ٣٨ – ٤١ .

معنى « بسلطان مبين » أي : بحجة ظاهرة .

وقوله « فتولى بركنه » قال ابن عباس وقتادة ومجاهد: معناه بقوته ، والركن الجانب الذي يعتمد عليه ، والمعنى ان فرعون أعرض عن حجة موسى ولم ينظر فيها بقوته في نفسه .

وقوله « الريح العقيم » هي التي عقمت عن أن تأتي بخير من تنشئه سحاب أو تلقيح شجر ، أو يذربه طعام أو نفع حيوان .

فصل: قوله « فتول عنهم فما أنت بملوم » الاية : ٥٤ .

أي: أعرض عنهم يامحمد في قول مجاهد « فما أنت بملوم» في كفرهم وجحودهم بل اللائمة عليهم من حيث لايقبلون ما تدعوهم اليه ، وليس المراد أعرض عن تذكيرهم ووعظهم وانما أراد أعرض عن مكافأتهم ومقابلتهم ومباراتهم وما أنت في ذلك بملوم .

فصل : قوله « وماخلقت الجن والانس الاليعبدون * ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون » الايات : ٥٦ ـ ٦٠ .

من خفض « المتين » وهو يحيى بن وثاب جعله صفة للقوة ، وذكره لانه ذهب الى الحبل ، أو الشيء المفتول يريد القوة ، قال الشاعر :

لكل دهر قد لبست أثوباً من ريطة واليمنة المعصبا

فذكر لان اليمنة ضرب من الثياب وصنف منها . والذنوب النصيب ، وأصله الدلو الممتلىء ماءاً ، كما قال الراجز :

لنا ذنوب ولكم ذنوب فان أبيتم فلنا القليب

وانما قيل للدلو ذنوب ، لانها في طرف الحبل كانها في الذنب .

سورة الطور

فصل: قوله « والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع * والبحر المسجور » الايات : ١ ـ ٦ .

قوله « والبيت المعمور » قيل: هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة ، روي ذلك عن علي عليه السلام وابن عباس ومجاهد وقال الحسن : البيت المعمور البيت الحرام .

قوله « والبحر المسجور » المسجور المملوء ، ومنه سجرت التنور اذا ملاته

ناراً وعين سجراء ممتلئة فيهاحمرة، كأنهااحمرت مماهو لهاكسجار التنور، قال لبيد :

فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاوز أقلامها

فصل : قوله « ان المتقين في جنات ونعيم * فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم » الايات : ١٧ - ١٨ .

معنى « فاكهين » أي: متنعمين بماأعطاهم ربهم من أنواع النعيم. وقال الزجاج : معنى « فاكهين » معجبين . وقال الفراء مثل ذلك .

فصل: قوله تعالى « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بأيمان ألحقنابهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء » الاية : ٢١ .

قال ابن عباس والضحاك وابن زيد: ألحقوا الاولاد بالاباءاذا آمنوامن أجل ايمان الاباء. وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان البالغين[1] ألحقوا بدرجة آبائهم وان قصرت أعمالهم تكرمة لابائهم . والاول هو الوجه .

وانما وجب بالايمان الحاق الذرية بهم مع أنه قد يكون ليس له ذرية، لانه انما يستحق ذلك السرور على مايصح ويجوز ، مع أنه اذا انتهى الذرية على ماأمر الله به استحق الجزاء فيه ، فان أبطلته الذرية عند البلوغ بسوء عمل وفاسروره في أمر آخر ، كما أن أهل الجنة من سرورهم ماينزل باعدائهم في النار ، فلو عفى عنهم لوفوا سرورهم بأمر آخر .

وقوله « ومآلتناهم » معناه مانقصناهم ، قال الشاعر :

ابلغ بني ثعل عني مغلغلة جهد الرسالة لاألتاً ولاكذبا

فصل : قوله « انا كنا قبل في أهلنا مشفقين » الاية : ٢٦ .

الاهل هو المختص بغيره من جهة ماهو أولى به، وكل ماكان أولى به فهو أحق

(١) في التبيان : التابعين .

بأنه أهله ، فمن ذلك أهل الجنة وأهل النار ، ومن ذلك أهل الجود والكرم ، وفلان من أهل القرآن ومن أهل العلم ومن أهل الكوفة . ومن هذا قيل لزوجة الرجل أهله ، لانها مختصة به من جهة هي أولى به من غيره .

فصل : قوله « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » الايات : ٣٥ ـ ٤٠.

معناه : أخلقوا من غير خالق « أم هم الخالقون » لنفوسهم ، فلا يأتمرون لامر الله ولاينتهون عما نهاهم عنه . وقيل : المعنى أخلقوا من غير شيء ، معناه أخلقوا لغير شيء ، أي : أخلقوا باطلا لالغرض .

وقولهم « فهم من مغرم مثقلون » فالمغرم الزام الغرم في المال على غير طريق الابذال ، والمغرم الملزم انفاق المال من غير ابذال ، وأصله المطالبة بالحاح ، فمنه الغريم لانه الطالب بالدين بالحاح ، ومنه «ان عذابها كان غراماً»[1] أي: ملحاً دائماً .

فصل : قوله « يوم لايغني عنهم كيدهم شيئاً » الاية : ٤٦ .

الفرق بين الغنى بالشيء والغنى عنه أن ما أغنى عنه يوجب أن وجوده وعدمه سواء في أن الموصوف غني، وليس كذلك الغنى به ، لانه يبطل أن يكون الموصوف غنياً . والغني هو الحي الذي ليس بمحتاج ، وليس بهذه الصفة الا الله تعالى .

قوله « فانك بأعيننا » أي: بمرأى منا ندركك ولايخفى علينا شيء من أمرك ، نحفظك لئلا يصلوا الى شيء من مكروهك .

سورة النجم

فصل : قوله « والنجم اذا هوى * ماضل صاحبكم وماغوى * وما ينطق عن الهوى * ان هو الا وحي يوحى » الايات : ١ ـ ١٠ .

---

(١) سورة الفرقان : ٦٥ .

والنجم قسم من الله تعالى ، وقد بينا أن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه ، وليس للعباد أن يحلفوا الا به .

وقال قوم : معناه ورب النجم ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه.

وقيل: في معنى النجم هاهنا ثلاثة أقوال :

أحدها ـ قال مجاهد : المرادبه الثريا اذا سقطت مع الفجر .

الثاني: قال الحسن: معناه جماعة النجوم «اذا هوى » اذا سقط يوم القيامة، كقوله عزوجل « واذا الكواكب انتثرت [١] » وقيل : النجم الجمع على طريق الجنس، كما قال الراعي :

وبات بعد النجم في مستحيرة سريع بأيدي الاكلين جمودها[٢]

وقوله« فاستوى »معناه استولى بعظم القوة ، فكأنه استوت له الامور بالقوة على التدبير ، ومنه قوله « استوى على العرش »[٣] أي : استولى عليه بالسلطان والقهر .

قال الزجاج : معنى « دنى » وتدلى واحد ، لان المعنى أنه قرب وتدلى زاد في القرب ، كما يقال : دنى فلان وقرب ، والمعنى ثم دنى جبرئيل الى محمد فتدلى اليه من السماء .

« فكان قاب قوسين » معناه كان بينه وبين جبرئيل مقدار قوسين من القسى العربية ، أو أقرب أي بل أقرب منه . وقيل : معنى « أو » في الاية معنى الواو ، كقوله «وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون »[٤] ومعناه ويزيدون .

---

(١) سورة الانفطار : ٢ .

(٢) مجاز القرآن ٢/٢٣٥.

(٣) سورة الاعراف : ٥٣ وغيرها .

(٤) سورة الصافات : ١٤٧ .

وقال الحسن : عرج بروح محمد ﷺ الى السماء وجسده في الارض .

وقال أكثر المفسرين وهو الظاهر من مذهب أصحابنا والمشهور في أخبارهم: ان الله تعالى صعد بجسمه حياً سليماً حتى رأى ملكوت السماوات وما ذكره الله بعيني رأسه ، ولم يكن ذلك في المنام بل كان في اليقظة، وقد بيناه في سورة بني اسرائيل .

فصل: قوله « ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * اذ يغشى السدرة ما يغشى » الايات : ١٣ - ٢٠ .

قيل : ان سدرة المنتهى في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج الى السماء . وقيل: لانه ينتهى اليها أرواح الشهداء .

وقوله « اذ يغشى السدرة ما يغشى » معناه : يغشى السدرة من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الابصار ما ليس لوصفه منتهى .

وقوله «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى» أسماء أصنام كانت العرب تعبدها .

والعزى كانت تعبدها غطفان ، وهي شجرة سمرة عظيمة .

واللات صنم كانت ثقيف تعبده .

ومناة كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة كانوا يعبدونها .

فصل:« ألكم الذكر وله الانثى * تلك اذن قسمة ضيزى» الايات: ٢١ - ٢٢.

هذا الكلام على جهة الانكار ، فقد أخطأتم في ذلك من وجهين :

أحدهما : أنكم أضفتم اليه ما يستحيل عليه ولا يليق به ، فهو قسم فاسد غير جائز .

الثاني : أنكم أضفتم اليه ما لاترضونه لانفسكم وكيف ترضونه لله تعالى .

وقيل : انما فضل الذكر على الانثى ، لان الذكر يصلح لما لاتصلح له الانثى ،

وينتفع بـه فيما لا ينتفع به الانثى، ولهذالم يبعث الله نبياً من الاناث .

وقولـه « تلك اذن قسمـة ضيزى » أي : تلك قسمة فاسدة غير جائزة ، بأن تجعلوا لانفسكم الافضل ولربكم الادون، ولو كان ممن يجوز عليه الولد لما اختار الادون على الافضل ، كما قال « لو أراد الله أن يتخذ ولـداً لاصطفى مما يخلق مـا يشاء »[1] فهذا على تقدير الجواز لاعلى صحـة الجواز . والضيزى الجائرة الفاسدة .

فصل: قوله « وكم من ملك في السماوات لاتغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن لمن يشاء ويرضى » الايات: ٢٦ ـ ٣٠ .

لاينافي ذلك مانذهب اليه من ان النبي عليه السلام والائمة والمؤمنين يشفعون في كثير من أصحاب المعاصي ، فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهـم ، لان هؤلاء عندنا لايشفعون الا باذن من الله ورضاه، ومع ذلك يجوز أن يشفعوا فيه، فالزجر واقع موقعه .

ثم أخبر تعالى « ان الذين لايؤمنون بالاخرة » أي: لايصدقـون بالبعث ولا بالثواب ولابالعقاب «ليسمون الملائكة تسمية الانثى » قال الحسن: كانوا يسمون الملائكة بنات الله .

ثم قال «ومالهم به من علم » أي: مالهم بمايقولونه ويسمونه من علم، أي : ليسوا عالمين بذلك «ان يتبعون الاالظن» أي: ليسوا[2] يتبعون في قولهم ذلك الا الظن الذي يجوز أن يخطىء ويصيب وليس معهم شيء من العلم .

وقوله «ان الظن لايغني من الحق شيئاً » معناه: ان الظن لايغني من العلم ، لانه لابد من علم بحسن الفعل حتى يجوز أن يفعل، وان كان الظن في بعض الاشياء

---

(١) سورة الزمر : ٤ .

(١) في التبيان: ليس .

علامة للحسن، فماأغنى عن العلم .

فصل : قوله « ولله مافي السماوات ومافي الارض ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم » الايات: ٣١ ـ ٣٥ .

« كبائر الاثم » أي: عظائم الذنوب « والفواحش » والمعاصي عندنا كلها كبائر، غير أن بعضها أكبر من بعض، فقد تكون المعصية كبيرة بالاضافة الى مادونها وتكون صغيرة بالاضافة الى ماهو أكبر منها .

والفواحش جمع فاحشة ، وهي أقبح الذنوب وأفحشها . والاساءة مضرة يستحق بها الذم، ولايستحق الذم الا مسيء، وذم من ليس بمسيء في القبح كذم المحسن في القبح. والاحسان فعل ماهو يقع في نفسه، أوهو سبب النفع يستحق به الحمد، ولايستحق الحمد الا محسن .

والكبير من الذنوب هوالذي يعظم به الزجر الى حد يكفره الا التوبة منه عند من لم يجز اسقاط العقاب تفضلا. والصغير هوالذي يجب فيه الزجر الى حد يصح تكفيره من غير توبة عند من قال بالصغائر .

وقوله « الا اللمم » قال قوم : هوالهم بالمعصية من جهة مقاربتها وحديث النفس بها من غير مواقعتها ولاعزم عليها ، لان العزم على الكبير كبيرة ، ولكن يقرب من مكانها لشهوته لها من غير عزم عليها .

وقيل: اللمم مقاربة الشيء من غير دخول فيه، يقال : ألم بالشيء يلم الماماً اذا قاربه. وقيل: اللمم الصغير من الذنوب، كما قال « ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم »[1] ذهب اليه ابن عباس وابن مسعود .

وقيل: اللمم اتيان الشيء من غير اقامة عليه .

---

(١) سورة النساء : ٣٠ .

وقوله « وأعطى قليلا وأكدى » قال مجاهد: نزلت في الوليد بن المغيرة . وقيل : أعطى قليلا وأكدى هوالمنافق الذي يعطي قليلا في المعونة على الجهاد ثم يمنع .

وقال ابن عباس ومجاهد: معنى « وأكدى » قطع العطاء كمايقطع البئر الماء واشتقاق أكدى من كدية الركية ، وهي صلابة تمنع الماء اذا بلغ الحافر اليها يئس من الماء، فيقول: بلغنا كديتها أي صلابتها التي تويس من الماء ، يقال : اكدى يكدي اكداءاً اذا منع الخير .

وقيل : الكدية صخرة يبلغ اليها حافر البئر فلايمكنه الحفر .

فصل : قوله « أم لم ينبأ بمافي صحف موسى * وابراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر اخرى * وأن ليس للانسان الا ماسعى * وأن سعيه سوف يرى» الايات: ٣٦ - ٤٦ .

قوله « ابراهيم الذي وفى » أي: وفى بمايجب عليه لله عزوجل واستحق أن يمدح بهذا المدح .

وقوله « أن ليس للانسان الا ماسعى » ليس له من الجزاء الا جزاء ماعمل دون ماعمله غيره ، ومتى دعا الى الايمان من أجاب اليه فهو محمود عليه على طريق التبع ، وكأنه من أجل عمله صار له الحمد على هذا ، ولولم يعمل شيئاً مااستحق جزاءاً ولاثواباً ولاعقاباً .

وقوله « وان سعيه سوف يرى » معناه : أن مايفعله الانسان ويسعى فيه لابد أن يرى فيمابعد، بمعنى أنه يجازى عليه: اما من ثواب، أوعقاب .

وقوله « وان الى ربك المنتهى » معناه: وأن الى ثواب ربك وعقابه آخر الامور .

وقوله « وأنه هو أضحك وأبكى » قيل : أضحك بأن فعل سبب ذلك من

السرور والحزن، كمايقال : أضحكني فلان وأبكاني اذا سبب ذلك بمايقع عنده ضحكي وبكائي، فعلى هذا الضحك والبكاء من فعل الانسان .

وقدقال الله تعالى « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً »[١] ولولم يكن من فعلنا لماحسن ذلك، وقال تعالى « أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون »[٢] وقال « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون»[٣] فنسب الضحك اليهم .

فصل : قوله « وأن عليه النشأة الاخرى * وأنه هوأغنى وأقنى * وأنه هو رب الشعرى » الايات : ٤٧ ـ ٥٥ .

معناه : انه أغنى بالمال وأقنى بأصول الاموال . وقال مجاهد: أقنى أي أخدم . وقال الزجاج : معناه أغنى بعد الفقر، وأقنى بالمال الذي يقتني. وقيل : معنى أقنى أنه جعل له أصل مال ، وهو القنية التي يجعله الله للعبد. وأصل أقنى الاقتناء، وهو جعل الشيء للنفس على اللزوم .

وقوله « والمؤتفكة » يعني: المنقلبة ، وهي التي صار أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها، ائتفكت بهم يأتفك ائتفاكاً ، ومنه الافك الكذب، لانه قلب المعنى عن وجهه .

ومعنى «أهوى » أنزل بها في الهواء .

والسامد اللاهي، يقال: دع عنك سمودك أي أمرك فكأنه المستمر في اللهو يقال: سمد يسمد سموداً فهو سامد، قال الشاعر :

قيل قم فانظر اليهم ثم دع عنك السمودا[٤]

---

(١) سورة التوبة : ٨٣ .

(٢) سورة النجم : ٦٠ .

(٣) سورة المطففين : ٣٤ .

(٤) اللسان « سمد » .

سورة القمر

فصل: قوله « اقتربت الساعة وانشق القمر * وان يروآية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » الآيات: ١ ـ ٨ .

معنى « سحر مستمر» يشبه بعضه بعضاً. وقيل: سحر مستمر من الأرض الى السماء. وقال مجاهد وقتادة : معناه ذاهب مضمحل وقال قوم: معناه شديد من امرار الحبل وهو شدة فتله .

وقوله « مهطعين الى الداعي » قال الفراء: مهطعين الى الداعي ناظرين قبل الداعي .

وقال أبوعبيدة: مسرعين. وقال قتادة: معناه عامدين. والاهطاع الاسراع في المشي، يقال: أهطع يهطع اهطاعاً فهومهطع .

فصل: « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الارض عيوناً فالتقى الماء على أمر قدقدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاءاً لمن كان كفر » الآيات: ١١ ـ ١٤ .

انماقال « فالتقى الماء » والمراد به ماء السماء وماء الارض، ولم يثن لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير « على أمر قدقدر » فيه هلاك القوم في اللوح المحفوظ .

وقيل: معناه انه كان قدر ماء السماء مثل قدر ماء الارض .

وقوله « وحملناه على ذات ألواح ودسر » وهي المسامير التي تشد بها السفينة، في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد، واحدها دسار .

فصل: قوله « انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر » الآيات: ٢٧ ـ ٢٨ .

بيّن تعالى أنه أرسل الناقة وبعثها، بأن أنشأها معجزة لصالح، لانه أخرجها من الجبل الأصم يتبعها ولدها .

ومعنى « فتنة » ابتلاء لكم ومحنة ، لانه تعالى نهاهم أن ينالوها بسوء مع تضيق الشرب عليهم، بأن لها شرب يوم ولهم شرب يوم آخر .

والشرب بكسر الشين الحظ من الماء وبضم الشين فعل الشارب .

ثم حكى تعالى ماقال لصالح ، فانـه تعالى قال له « فاصطبر » أي: اصبر على أذاهم .

وقوله «كل شرب محتضر» أي: كل قسمة يحضره من هوله .

قال الضحاك: هشيم المحتظر هوالحظيرة تتخذ للغنم تيبس فتصير رميماً .

وقيل: الهشيم حشيش يابس متفتت يجمعه المحتظر لمواشيه .

فصل: قوله « أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر » الاية: ٤٣ .

يعني: كفار قريش وأهل مكة خير من أولئكم الكفار ، والمعنى أنهم ليسوا بخير من كفار قوم نوح وعاد وثمود .

وقوله « أم لكم براءة في الزبـر » معناه ألكم براءة في الكتب المنزلة من عذاب الله .

سورة الرحمن

فصل : قوله « الرحمن * علـم القرآن * خلق الانسان * علمـه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان » الايات : ١ ـ ١٣ .

معنى حسبان مصدر حسبته أحسبه حسباناً . وقيل: هو جمع حساب كشهاب وشهبان .

وقولـه « والنجم والشجر يسجدان » فالنجم من النبات ماطلع يقال: نجم

ينجم اذا طلع ، ونجم القرن والنبات[١] اذا طلع ، وبه سمي نجم السماء، وهو الكوكب لطلوعه .

والنجم هاهنا النبت الطالع من الارض ، وهو النبات الذي ليس له ساق ، في قول ابن عباس وسعيد . والشجر النبات الذي له ساق ، في قول ابن عباس وقتادة وسعيدوسفيان . والشجر عند أهل اللغة النبات الذي له ساق وورق وأغصان يبقى ساقه على دور الحول من الزمان ، وأكثره مماله ثمار يجتنى .

قوله « والارض وضعها للانام » قال ابن عباس : الانام كل شيء فيه روح . وقال الحسن : الانام الانس والجن . وقال قتادة : الانام الخلق .

وقوله « والحب ذوالعصف والريحان » قال ابن عباس وقتادة وابن زيد : العصف التبن ، لان الرياح تعصفه أي تطيره بشدة هبوبها . والحب حب الحنطة والشعير ونحوهما .

والريحان الرزق في قول ابن عباس والضحاك ومجاهد .

وقال الحسن وابن زيد : الريحان هو الذي يشم ، والعرب تقول : خرجنا نطلب ريحان الله أي رزقه .

فصل : قوله « خلق الانسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار * فبأي آلاء ربكما تكذبان » الايات : ١٤ - ٢١ .

الصلصال : الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة ، في قول قتادة «كالفخار» أي : مثل الطين الذي طبخ بالنار حتى صار خزفاً .

«وخلق الجان من مارج من نار» فالمارج هو المختلط الاحمر[٢]. قال الحسن: ابليس أبو الجن ، وهو مخلوق من لهب النار ، كما أن آدم أبو البشر مخلوق

---

(١) في النسخ : الناب .

(٢) في التبيان : الاجزاء .

من طين .

انما كررت هذه الآية في هذه السورة يعني قوله «فبأي آلاء ربكما تكذبان» لانه تقدم[1] بالنعمة عند ذكرها على التفصيل نعمة نعمة، كأنه قال : بأي هذه الالاء تكذبان.

قوله «بينهما برزخ لا يبغيان» البرزخ الحاجز بين الشيئين، ومنه البرزخ الحاجز بين الدنيا والاخرة . وقال قتادة : البرزخ الحاجزان يبغي الملح على العذب أو العذب على الملح . وقال مجاهد : معنى «لا يبغيان» لا يختلطان .

وقوله « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » فاللؤلؤ معروف ، ويقع على الصغار والكبار . والمرجان ضرب من الجوهر ، كالقضبان يخرج من البحر .

وقال ابن عباس: اللؤلؤ كبار الدر، والمرجان صغاره ، وبه قال الحسن وقتادة والضحاك ، وسمي المرجان بذلك لانه حب من الجوهر كبير مختلط من مرجت أي خلطت .

وانما جاز أن يقول «يخرج منهما» وهو يخرج من الملح دون العذب ، لان العذب والملح يلتقيان ، فيكون العذب كاللقاح للملح ، كما قال : يخرج الولد من الذكر والانثى ، وانما تلده الانثى .

وقال قوم : لا يخرج اللؤلؤ الا من الموضع الذي يلتقى فيه العذب والملح ، وذلك معروف عند الغواصين .

وقوله «كل من عليها فان» اخبار من الله تعالى أن جميع من على وجه الارض من العقلاء يفنون ويخرجون من الوجود الى العدم .

واذا ثبت ذلك وكانت الجواهر لا تفنى الا بفناء يضادها على الوجود ، فاذا وجد الفناء انتفت الجواهر كلها، لانه لا اختصاص لها بجوهر دون جوهر، فالاية دالة على عدم جميع الاجسام على ما قلناه، ولانه اذا ثبت عدم العقلاء بالاية ثبت عدم غيرهم،

(١) في التبيان : تقرير .

لان أحداً من الامة لايفرق بين الموضعين .

وقوله « ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام » معناه : ويبقى ربك الظاهر بأدلته ،كظهور الانسان بوجهه ، فالوجه يذكر على وجهين :

أحدهما : بعض الشيء كوجه الانسان .

الثاني : بمعنى الشيء المعظم في الذكر ،كقولهم هذا وجه الرأي ، وهذا وجه التدبير ، أي : هو التدبير وهو الرأي .

ومعنى قوله «كل يوم هو في شأن » ان كل يوم الله تعالى في شأن ، ويقال: لايشغله شأن عن شأن ، والمعنى أن كل يوم الله تعالى في شأن من احياء قوم واماتة آخرين ، وعافية قوم ومرض غيرهم ، ونجاة واهلاك ورزق وحرمان ، وغير ذلك من الامور والنعمة .

فصل : قوله « سنفرغ لكم أيها الثقلان » الايات : ٣١ ـ ٣٦ .

معنى قوله « سنفرغ لكم » من أبلغ الوعيد وأعظم التهديد . وقيل : في معناه قولان :

أحدهما : سنفرغ لكم من الوعيد وينقضي ويأتيكم المتوعد به ، فشبه ذلك بمن فرغ من شيء وأخذ في غيره .

الثاني : انا سنعمد عمد[1] من ينفرغ للعمل ، لتجويده من غير تضجيع فيه، كما يقول القائل : سأتفرغ لك ، والله تعالى لايشغله شيء عن شيء ، لانه من صفات الاجسام ، وهو من أبلغ الوعيد ،لانه يقتضي أنه يجازي بصغير ذنبه وكبيره اذا كان مستحقاً لسخط الله .

وقوله «أيها الثقلان» خطاب للجن والانس ، وانما سميا ثقلين لعظم شأنهما بالاضافة الى مافي الارض من غيرهما، فهما أثقل وزناً لعظم الشأن بالعقل والتمكين

(١) في التبيان : سنعمل عمل .

بالتكليف لاداء الواجب في الحقوق .

ومنه قول النبي ﷺ : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي[١] . يريد عظيمي المقدار ، فلذلك وصفهما بأنهما ثقلان .

وقوله «يرسل عليكما شواظ» فالشواظ لهب النار، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ، ومنه قول رؤبة :

ان لهم من وقعنا ايقاظاً ونار حرب تسعر الشواظا[٢]

والنحاس :الصفر المذاب للعذاب ،في قول ابن عباس ومجاهد ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس وسعيد : النحاس الدخان . قال النابغة الجعدي :

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاساً[٣]

أي : دخاناً .

فصل : قوله « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجان » الايات : ٣٧ - ٤١ .

قال الفراء : الدهان الاديم الاحمر . وقال الزجاج : يتلون كما يتلون الدهان المختلفة ، أي : فكان كلون فرس ورده ، وهو الكميت ، فيتلون في الشتاء لونه بخلاف لونه في الصيف ، وكذلك في الفصول سبحان خالقها .

والوردة واحدة الورد . وانما تصير السماء كالوردة في الاحمرار ثم تجري كالدهان وهو جمع دهن .

وقوله «فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجان» معناه :لايسأل في ذلك الموطن لما يلحقه من الدهش والذهول الذي تحاره العقول ، وان وقعت المسألة في وقت

---

(١) حديث متواتر رواه جمهور الفريقين في كتبهم .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٤٤ .

(٣) ديوان الجعدى ص ٧٥ .

غيره ، بدلالة قوله « وقفوهم انهم مسؤولون »[١] .

وقال قتادة : تكون المسألة قبل ثم يختم على الافواه عند الحجة[٢] فتنطق الجوارح .

وقيل : ان معناه ان يومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجان ، ليعرف المذنب من المؤمن المخلص ،لان الله تعالى جعل عليهم علامة كسواد الوجوه وقبح الخلق، ولم يدخل في ذلك سؤال المحاسبة للتوبيخ والتقريع ، لانه تعالى قال « وقفوهم انهم مسؤولون » .

وقيل : يجوز أن يكون المراد لايسأل أحد من انس ولاجان عن ذنب غيره ، وانما قيل هي سؤال توبيخ عن فعل نفسه .

وقوله «يعرف المجرمون بسيماهم» معناه :ان الله تعالى يجعل للكفار والعصاة علامات تعرفهم بها الملائكة ، فالسيماء العلامة ، ومنه قوله «سيماهم في وجوههم من أثر السجود »[٣] وهو مشتق من السوم ، وهو رفع الثمن عن مقداره .

وقوله « فيؤخذ بالنواصي والاقدام » فالناصية شعر مقدم الرأس ، ومنه ناصية الفرس وأصله الاتصال ، من قول الشاعر :

* في يناصيها بلاد قي *

فصل : قوله « ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * ذواتا أفنان » الايات : ٤٦ ـ ٥٥ .

المعنى: لمن خاف المقام الذي يقفه فيه ربه للمسألة عما عمل فيما يجب عليه المقام الموضع الذي يصلح للقيام فيه. وبضم الميم الموضع الذي يصلح للاقامة فيه.

---

(١) سورة الصافات : ٢٤ .

(٢) في التبيان : الجحد .

(٣) سورة الفتح : ٢٩ .

والاستبرق الغليظ من الديباج في قول عكرمة . وقيل: ثمارها دانيـة لايرد يده عنها بعد ولا شوك في قول قتادة . وقيل : الظواهر من سندس وهوالديباج الرقيق .

فصل : قوله « فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * كأنهن الياقوت والمرجان » الايات: ٥٦ ـ ٥٧ .

القاصر المانع من ذهاب الشيء الى جهة من الجهات ، والحور قاصرات الطرف من غيرأزواجهن .

وقوله « لم يطمثهن » قيل: في معناه قولان :

أحدهما : قال مجاهد وابن زيد وعكرمة : لم يمسسهن بجماع من قولهم « ماطمث هذا البعير حبل »[1] أي: مامسه حبل[2] .

الثاني: قال ابن عباس: لم يدمهن نكاح من قولهم « امرأة طامث » أي: حائض كأنه قال: هن أبكار .

فصل: قوله «فيهما عينان نضاختان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما فاكهة ونخل ورمان » الايات: ٦٦ ـ ٧٦ .

وصفهما بأنهما نضاختان فوارتان بالماء . وقيل : نضاختان بكل خير .

والنضخ بالخاء أكثر من النضح بالحاء لان النضح غير المعجمة الرش ، وبالخاء كالبرك والفوارة التي يرمى بالماء صعداً .

وانما أفرد النخل والرمان من الفاكهة وان كانا من جملتها ، تنبيهاً على فضلهما وجلالة النعمة بهما ، كماأفرد ذكر جبرئيل وميكائيل في قوله « من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين »[3] .

(١ـ٢) في التبيان: جمل .

(٣) سورة البقرة: ٩٨ .

وقولـه « حور مقصورات » الحور البيض الحسان. وقوله « مقصورات » أي: قصرت على أزواجهن فلايردن بدلا منهم. وقال أبوعبيدة: مقصورات أي: مخدورات .

وقوله « متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان » الرفارف جمع رفرف وهي المجالس، في قول ابن‌عباس وقتادة والضحاك . وقيل: الرفرف هو فصول المجالس للفرش. وقال الحسن: هي المرافق.

والعبقري الزرابي، في قول ابن‌عباس وسعيدبن‌جبير وقتادة، وهي‌الطنافس وقال مجاهد: هوالديباج. وقيل: عبقر اسم بلد ينسج به ضرب من الوشي .

سورة الواقعة

فصل: قوله «اذا وقعت الواقعة*ليس لوقعتهاكاذبة*خافضة رافعة» الايات : ١ - ١٣ .

قوله « ليس لوقعتهاكاذبة » معناه ليس لها مردودة ولارد قاله الفراء. وقيل: ليس لوقعتها قضية كاذبة فيها، لاخبار الله تعالى بها ودلالة العقل عليها .

ومعنى « خافضة رافعة » قيل: تخفض قوماً بالمعصية، وترفع قوماً بالطاعة . وقوله « وبست الجبال بساً » معناه فتتت فتاً ، في قول ابن‌عباس ومجاهد ، وهو كمايبس السويق، أي : بلت، قال لص من عطفان :

لاتخبز خبزاً وبسا بساً ملسا الحلسي ملسا[1]

والهباء غبار كالشعاع في الرقةكثيراً ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة .

وقوله «ماأصحاب‌الميمنة» يعني: أصحاب‌اليمن والبركة «وأصحاب المشأمة»

(٢) في التبيان المقطع الثاني كذا : ولاتطيلا مناخ حبسا .

معناه الثوم والنكد .

وقيل : أصحاب اليمين الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ، وأصحاب الشمال هم الذين يأخذون كتبهم بشمالهم .

وقوله «والسابقون السابقون» معناه الذين سبقوا الى اتباع الانبياء فصاروا أئمة في الهدى .

وقيل : السابقون الى طاعة الله . والسابق الى الخير انما كان أفضل ، لانه يقتدى به في الخير، ويسبق الى أعلى المراتب قبل من يجيء بعد ، فلهذا تميزوا من التابعين .

وقوله «ثلة من الاولين» فالثلة الجماعة وأصله القطعة من قولهم ثل عرشه اذا قطع ملكه .

فصل : قوله «يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين» الايات : ١٧ - ١٩ .

«مخلدون» قال مجاهد : معناه باقون لايموتون . وقال الحسن : معناه أنهم على حالة واحدة لايهرمون، يقال: رجل مخلد أي باق زماناً أسود اللحية لايشيب.

وقال الفراء : معناه مقرطون والخلد القرط ، والاكواب جمع كوب وهي أباريق واسعة الرؤوس بلا خراطيم .

«لا يصدعون عنها» أي : لا يلحقهم الصداع من شربها «ولا ينزفون» أي : لا تنزف عقولهم ، بمعنى لا تذهب بالسكر ، في قول مجاهد وقتادة والضحاك ومن قرأ «ينزفون» بالكسر وهو حمزة والكسائي وخلف ، حمله على أنه لا تفنى خمرهم ، قال الشاعر :

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

فصل : قوله «وأصحاب اليمين * ما أصحاب اليمين * في سدر مخضود *

وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب» الايات : ٢٧ ـ ٣٧ .

وقوله «وطلح منضود» قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد: الطلح شجر الموز .

وقال أبو عبيدة : كل شجر عظيم كثير الشوك .

وقال الزجاج : شجر أم غيلان ، فقد يكون على أحسن حال . والمنضود هو الذي نضد بعضه على بعض من الموز ، ذكره ابن عباس .

وقوله «عرباً أتراباً» فالعرب العواشق لازواجهن المتحببات اليهم، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ، قال لبيد :

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر[1]

والاتراب جمع ترب، وهو الذي ينشأ مع مثله في حال الصبا، وهو مأخوذ من لعب الصبيان بالتراب ، أي : هم كالصبيان الذين على سن واحد ، قال عمر ابن أبي ربيعة :

أبرزوها مثل المهاة تهادي بين عشر كواعب أتراب

فصل : قوله تعالى «ثم انكم أيها الضالون المكذبون * لاكلون من شجر من زقوم * فمالؤن منها البطون» الايات : ٥١ ـ ٥٣ .

الزقوم ما يبتلع بتصعب ، يقال : تزقم هذا الطعام تزقماً اذا ابتلعه بتصعب وقيل : هو طعام خشن مركريه يعسر نزوله في الحلق .

فصل : قوله « ولقد علمتم النشأة الاولى * فلولا تذكرون * أفرأيتم ما تحرثون» الايات : ٦٢ ـ ٧١ .

قوله «انا لمغرمون» المغرم الذي ذهب ماله بغير عوض منه، وأصله ذهاب المال بغير عوض ، فمنه الغريم لذهاب ماله بالاحتباس على المدين من غير عوض في

(١) مجاز القرآن ٢/٢٥١ .

الاحتباس .

والغارم الذي عليه الدين الذي يطالبه به الغريم ، ومنه قوله «ان عذابها كان غراماً»[١] أي : ملحاً دائماً كالحاح الغريم . وقال الحسن : هـو من الغرم . وقال قتادة : معنى «لمغرمون» لمعذبون قال الاعشى :

ان يعاقب يكن غراماً وان يعط فانه لا يبالى

قوله «لو نشاء جعلناه أجاجا» قال الفراء : الاجاج المر الشديد المرارة من الماء. وقال قوم : الاجاج الذي اشتدت ملوحته.

فصل: قوله تعالى «أفرأيتم النار التي تورون ﴿ءأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن» الايات : ٧١ - ٨٠ .

العرب تقدح بالزند والزندة، وهو خشب معروف يحك بعضه ببعض فيخرج منه النار، ذكره الزجاج وغيره. وفي المثل «كل شجر فيه نار واستمجد المرخ والعفار» .

فان قيل : لم لايكون نار الشجر بطبع الشجر لامن قادر عليه ؟ قيل : الطبع غير معقول ، فلا يجوز أن يسند اليه الافعال ، ولو جاز ذلك للـزم في جميع أفعال الله تعالى، وذلك باطل ، ولوكان معقولا لكان ذلك الطبع لابد أن يكون في الشجر والله تعالى الذي أنشأ الشجرة ومافيها، فقد رجع الى قادر عليه وان كان بواسطة .

ولو جاز أن يكون النار من غير قادر عليها ، لجاز أن يكون من عاجز ،لانه اذا امتنع الفعل ممن ليس بقادر عليه منا ، لانه فعل وكل فعل ممتنع ممن ليس بقادر عليه .

وقـوله « متاعاً للمقوين » يعني ينتفع بها المسافرون الذين نزلـوا الارض القي ، قال الراجز :

---

(١) سورة الفرقان : ٦٥ .

*قي يناصيها بلادقي *

وقيل : هو من أقوت الدار اذا دخلت من أهلها ، قال الشاعر :

أقوى وأقفر من نعم وغيرها هوج الرياح بهافي الترب موار

قال أبو علي الجبائي : القسم في كل ما ذكر في القرآن من المخلوقات انما هو قسم بربه .

وهذا ترك الظاهر من غير دليل ، لانه قد يجوز ذلك على جهة التنبيه على ما في الاشياء من العبرة والمنفعة ، وقد روينا أنه لاينبغي لاحد أن يقسم الا بالله ، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه ، فعلى هذا كل من أقسم بغير الله ، أو بشيء من صفاته من جميع المخلوقات أو الطلاق أو العتاق لايكون ذلك يميناً منعقدة ، بل يكون كلاماً لغواً .

قوله « في كتاب مكنون » قيل : هو اللوح المحفوظ أثبت الله فيه القرآن . والمكنون المصون .

وقوله « لايمسه الا المطهرون » قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : لايمس الكتاب الذي في السماء الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة ، في قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وجابر بن زيد وأبي نهيك ومجاهد . وقيل : لايمسه الا المطهرون في حكم الله .

وقداستدل بهذه الاية على أنه لايجوز للجنب والحائض والمحدث أن يمسوا القرآن ، ولاالمكتوب في الكتاب أو اللوح .

وقال قوم : انه لا يجوز أن يمسوا الكتاب الذي فيه ولا أطراف أوراقه . وحملوا الضمير على أنه راجع الى الكتاب ، وهو كل كتاب فيه القرآن .

وعندنا أن الضمير راجع الى القرآن، وان قلنا ان الكتاب هو اللوح المحفوظ فلذلك وصفه بأنه مصون ويبين ما قلناه قوله « تنزيل من رب العالمين» يعني هذا

القرآن تنزيل من رب العالمين أنزله الله الذي خلق الخلائق ودبرهم على ما أراد.

فصل : قوله تعالى « أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » الايات : ٨١ ـ ٨٩ .

قال ابن عباس : معنى « مدهنون » مكذبون . وقال مجاهد : معناه تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا اليهم ، لانه جريان معهم في باطلهم .

وقيل: معناه منافقون في التصديق بهذا الحديث، وسماه الله تعالى حديثاً، كما قال « الله نزل أحسن الحديث كتاباً »[1] ومعناه الحدوث شيئاً بعد شيء، ونقيض حديث قديم .

والمدهن الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر ، كالدهن في سهولة ذلك عليه .

وقوله « فلولا ان كنتم غير مدينين » معناه : هلا ان كنتم غير مجزيين بثواب أو عقاب على ماتدعونه من انكار البعث والنشور .

وقوله « فأما ان كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم » اخبار من الله تعالى بما يستحقه المكلفون من كان منهم سابقاً الى الخيرات والى أفعال الطاعات فله روح وريحان وهو الهواء الذي يلذ النفس ويزيل عنها الهم .

وقيل : الروح الراحة والريحان المشموم .

سورة الحديد

فصل: قوله « سبح لله مافي السماوات ومافي الارض وهو العزيز الحكيم * له ملك السماوات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير » الايات : ١ ـ ٥ .

(١) سورة الزمر: ٢٣ .

قد بينا في غير موضع معنى التسبيح، وأنه التنزيه له عن الصفات التي لا تليق به، فمن كان من العقلاء عارفاً به، فانه يسبحه لفظاً ومعنى. ومالیس بعاقل من سائر الحيوانات[١] والجمادات، فتسبيحها مافيها من الادلة الدالة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه وماقبلها[٢] من الحجج على انه لايشبه خلقه، وأن خلقه لايشبهه، فعبر عن ذلك بالتسبيح.

وقوله « هوالاول » قيل: في معناه قولان :

أحدهما ـ قال البلخي: انه كقول القائل: فلان أول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه، أي: عليه يدور الامر وبه يتم .

الثاني : قال قوم : هوأول الموجودات لانه قد سابق لجميع الموجودات وماعداه محدث[٣]، والقديم يسبق المحدث بمالايتناهى من تقدير الاوقات، والاخر بعد فناء كل شيء، لانه تعالى يفني الاجسام كلها وماقبلها من الاعراض ويبقى وحده ففي الاية دلالة على فناء الاجسام .

وقوله « هوالذي خلق السماوات والارض في ستة أيام » لمافي ذلك من اعتبار الملائكة لظهور شيء بعدشيء من جهته[٤]، ولمافي الاخبار به من المصلحة للمكلفين ، ولولا ذلك لكان يخلقهما في لحظة واحدة، لانه قادر على ذلك من حيث هو قادر لنفسه .

وقوله « ثم استوى على العرش » أي : استولى عليه بالتدبير، قال البعيث :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

---

(١) فى التبيان : الحيوان .

(٢) فى التبيان : فيها .

(٣) الى هنا انتهى نسخة « ق » وهى نسخة مكتبة الاستان قدس الرضوى عليه السلام

(٤) فى التبيان: جهة .

وهو بشربن مروان لماولاه أخوه عبدالملك بن مروان .

وقيل: معناه ثم عمد وقصد الى خلق العرش، وقدبينا ذلك فيماتقدم .

فصل: قوله « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور » الايات : ٦ ـ ١٠ .

قوله « وقد أخذ ميثاقكم » معناه: انه لماذكر تعالى دعاء الرسول الى الايمان بين أنه قد أخذ ميثاقكم أيضاً به .

ومعنى « أخذ ميثاقكم» نصب لكم الادلة الموصلة الى الايمان بالله ورسوله ورغبكم فيه وحثكم عليه وزهدكم في خلافه .

وقوله « لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل » بين تعالى أن الانفاق قبل الفتح في سبيل الله اذا انضم اليه الجهاد في سبيله كان أكثر ثواباً عند الله . والمراد بالفتح فتح مكة .

وليس في الاية دلالة على فضل انسان بعينه ممن يدعى له الفضل ، لانه يحتاج الى أن يثبت أن له الانفاق قبل الفتح، وذلك غيرثابت، ويثبت أن له القتال بعده ولمايثبت ذلك أيضاً فكيف يستدل به على فضله .

فصل : قوله « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه وله أجر كبير * يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم » الايات : ١١ ـ ١٥ .

قوله « نقتبس » أي: نأخذ قبساً من نوركم وهو جذوة منه .

وقوله « له باب باطنه فيه الرحمة » لان فيه الجنة «وظاهره من قبله العذاب» يعني من قبل المنافقين العذاب لكون جهنم هناك .

قوله « وغركم بالله الغرور » يعني : الشيطان ، وسمي بذلك لكثرة مايغر الناس، وقرىء بالضم وهو كل ماغر من متاع الدنيا ، ذكره الزجاج. والغرور

بضم العين المصدر .

ومعنى قوله « النار مولاكم » أي: هي أولى بكم. قال لبيد :

قعدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

أي: تحسب ان كليهما أولى بالمخافة .

فصل: قوله « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » الايات : ١٦ - ٢١ .

قوله « جنة عرضها كعرض السماء والارض » في السعة. وقال الحسن: ان الله تعالى يفني الجنة ويعيدها على ماوصفه في طولها وعرضها ، فبذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء والارض .

وقال غيره: ان الله تعالى قال: عرضها كعرض السماء الدنيا والارض والجنة المخلوقة في السماء السابعة، فلاتنافي بين ذلك . واذا كان العرض بهذه السعة ، فالطول أكثر منه أومثله .

فصل: قوله « والله لايحب كل مختال » الاية: ٢٣ .

أي: كل متبختر متجبر « فخور » على غيره على وجه التكبر عليه، فان من هذه صفته لايحبه الله، وفرح البطر مذموم، وفرح الاغتباط بنعم الله محمود، كما قال تعالى « فرحين بما آتاهم الله من فضله »[1] والبخل هو منع الواجب .

فصل: قوله « ولقد أرسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهم النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون * ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم » الايات: ٢٦ - ٢٩ .

التقفيه جعل شيء في أثر شيء على الاستمرار فيه، ولهذا قيل لمقاطع الشعر قوافي، اذ كانت تتبع البيت على أثره مستمرة في غيره على منهاجه ، فكأنه قال:

---

(١) سورة آل عمران : ١٧٠ .

وأنفذنا بعدهم بالرسل رسولا بعد رسول .

قوله « يـؤتكم كفليـن من رحمته » قال ابن عباس : معناه يعطكم أجرين : أجراً لايمانكم بمحمد ﷺ ، وأجراً لايمانكم بمن تقدم من الرسل .

وأصل الكفل الحظ في قول الفراء، ومنه الكفل الذي يكتفل به الراكب وهو كساء ونحوه .

سورة المجادلة

فصل : قوله « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجـها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير * الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكراً من القول وزوراً» الايات: ١ ـ ٥ .

الظهار قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمـي . وكان أهل الجاهلية اذا قال الرجل منهم لامرأته هذا بانت منه وطلقت، وفي الشرع لاتبين المرأة الا أنه لايجوز له وطؤها الا بعد أن يكفر .

وعندنا أن شروط الظهار هي شروط الطلاق، سواء من كون المرأة طاهراً طهراً لم يقربها فيه بجماع ، ويحضره شاهدين ويقصد التحريم ، فان اختل شيء من ذلك لم يقع به ظهار .

قيل: ان هذه الايـة نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت ، في قول قتادة . ولا خلاف أن الحكم عام في جميع من يظاهر ، وان نزلت الاية على سبب خاص .

والجدال والمجادلة المخاصمة ، وقـد يقال للمراجعة والمقابلة للمعنى ما يخالفه مجادلة ، ومن قابـل المعنى بخلافه طلباً للفائدة فليس بمجادل ، فمجادلة

المرأة لرسول الله ﷺ كان مراجعتها اياه في أمر زوجها .

والتجاور التراجع وهوالمحاورة، تقول : تحاورا تحاوراً وحاوره محاورة أي راجعه في الكلام ، قال عنترة :

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لـو علـم الكـلام مكلمي

قوله «ثم يعودون لما قالوا» اختلفوا في معنى العود ، فقال قتادة : العود هو العزم على وطأها .

وقال قوم : العود الامساك عزم أو لم يعزم. وقال الشافعي : هو أن يمسكها بالعقد ولا يتبع الظهار بطلاق .

وقال قوم : معناه : ثم يعودون لنقض ما قالوا وارتفاع حكمه .

وقال قوم: لاتجب عليه الكفارة حتى يعود للقول[1] ثانية، وهو خلاف أكثر أهل العلم .

والذي هـو مذهبنا أن العود المراد به ارادة الوطىء أو نقض القول الذي قاله ، فانه لايجوز له الوطىء الا بعد الكفارة ، ولا يبطل حكم قول الاول الا بعد أن يكفر .

وقال الفراء: يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون الى ما قالوا وفيما قالوا وفي نقض ماقالوا، أي: يرجعون عما قالوا. ويجوز في العربية أن تقول: ان عاد لما فعل تريد أن يفعله مرة أخرى ، ويجوز ان عاد لما فعل ، أي : نقض ما فعل ، كما تقول : حلف أن يضربك ، بمعنى حلف ألا يضربك .

وقوله «فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا» بيان لكيفية الكفارة، فان أول ما يلزمه من الكفارة عتق رقبة ، والتحرير هو أن يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق ، بأن يقول : انه حر .

---

(١) في التبيان : يعاود القول .

والرقبة ينبغي أن تكون مؤمنة ، سواء كانت ذكراً أو أنثى ، صغيرة أو كبيرة اذا كانت صحيحة الاعضاء ، فان الاجماع واقع على أنه يقع الاجزاء بها .

وقال الحسن و كثير من الفقهاء: ان كانت كافرة أجزأت، وفيه خلاف وتفاصيل ذكرناه في كتب الفقه .

وتحرير الرقبة واجب قبل المجامعة ، لظاهر قوله «من قبل أن يتماسا» أي : من قبل أن يجامعها فيتماسا ، وهـو قول ابن عباس ، وكان الحسن لايرى بأساً أن يغشى المظاهر دون الفرج، وفي رواية أخرى أنه يكره للمظاهر أن يقبل. والنهي يقتضيه الظاهر أن لايقربها بجماع على حال ولا مماسة شهوة .

والاطعام لا يجوز الا للمسلمين دون أهل الذمة، وفيه خلاف. ومسائل الظهار وفروعها ذكرناها في كتب الفقه .

ثم قـال « ان الذين يحادون الله ورسوله » والمحادة المخالفة في الحدود أي : من خالف الله ورسوله فيما ذكراه مـن الحدود «كبتوا» أي : اخذوا في قول قتادة . وقال غيره : أذلوا .

فصل: قوله «يوم يبعثهم الله جميعاً فينبؤهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد» الايات : ٦ ـ ١٠ .

قوله «نهوا عن النجوى» قال مجاهد: كان النبي ﷺ نهى اليهود عن النجوى بينهم ، لانهم كانوا لا يتناجون الا بما يسوء المؤمنين .

وقال الفراء : نزلت في المنافقين واليهود، ونهو أن يتناجوا اذا اجتمعوا مع المسلمين في موضع واحد . والنجوى هو السرار ، والنجوة الارتفاع من الارض وهو الاصل ، ومنه النجاء الارتفاع في السير ، والنجاه الارتفاع من البلاد .

قوله « واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله » قال قتادة ومجاهد وهو المروي عن عائشة: انه كانت تحيتهم السام عليك ياأبا القاسم. وقال ابن عباس: كان المنافقون

يقولون ذلك .

وقيل : كان النبي يرد على من قال ذلك فيقول : وعليك .

وقال ابن زيد : السام الموت . وقال الحسن : كانت اليهود يقول : السام عليكم أي : انكم ستسأمون دينكم هذا ، أي : تملونه وتدعونه ، فهذا من سئمت الامر اسأمه سأماً وسآماً .

فصل : قوله « ياأيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير » الايات : ١١ - ١٥ .

ورفع الذين أوتوا العلم درجات ، لانهم أحق بالرفعة . وفي ذلك دلالة على أن فعل العالم أكثر ثواباً من فعل من ليس بعالم .

قوله «ياأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول» أي: سارر تموه[1] « فقدموا بين يدي نجواكم صدقة » قال الزجاج : كان سبب نزول هذه الاية أن الاغنياء كان يستخلون النبي عليه السلام فيسارونه[2] بما يريدون، والفقراء لايتمكنون من النبي تمكنهم.

ففرض الله عليهم الصدقة قبل النجوى ليمتنعوا من ذلك، وتعبدهم بأن لايناجي أحد رسول الله الابعد أن يتصدق بشيء ماقل أم كثر ، فلم يفعل أحد ذلك على ما روي ، فاستقرض أمير المؤمنين علي عليه السلام ديناراً وتصدق به ثم ناجى النبي عليه السلام فنسخ الله تعالى ذلك الحكم بالاية التي بعدها .

فصل : قوله « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله » الايات : ١٩-٢٢.

معناه : استولى عليهم ، فالاستحواذ الاستيلاء على الشيء بالاقتطاع ، وأصله من حاذه يحوذه حوذاً ، مثل جازه يجوزه جوزاً .

وقوله « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله»

---

(١) في التبيان : شاورتموه .

(٢) في التبيان : فيشاورونه .

معناه : ان المؤمن لايكون مؤمناً كامل الايمان ، والثواب يواد من خالف حدود الله ويشاقه ويشاق رسوله .

معنى « يواده » يواله وان كان الذي يواده أباه أو أمه أو أخاه أو عشيرته ، فمن خالف ذلك ووالى من ذكرناه كان فاسقاً ولايكون كافراً ، وكل كافر فهو محاد لله ورسوله .

سورة الحشر

فصل : قوله « سبح لله مافي السماوات ومافي الأرض وهو العزيز الحكيم* هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر» الايات: ١ـ٥.

قوله « لاول الحشر » قال قوم : أول الحشر هو حشر اليهود من بني النضير الى أرض الشام ، وثاني الحشر حشر الناس يوم القيامة الى أرض الشام أيضاً .

وقال البلخي : يريد أول الجلاء ، لان بني النضير أول من أجلى من أرض العرب . والحشر جمع الناس من كل ناحية ، ومنه الحاشر الذي يجمع الناس الى ديوان الخراج .

قوله « يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين » معناه: انهم كانوا يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا ويخرب المؤمنون من خارج، على ماذكره الحسن.

ثم قال « فاعتبروا ياأولي الابصار » معناه : اتعظوا وفكروا فلاتغفلوا كما فعل هؤلاء ، فيحل بكم ماحل بهم . والحصون جمع حصن ، وهو البناء العالي المنيع.

ومن استدل بهذه الاية على صحة القياس في الشريعة فقد أبعد ، لان الاعتبار ليس من القياس في شيء ، وانما معناه الاتعاظ على مابيناه ، ولايليق بهذا الموضع قياس الشرع ، لانه لو قال بعد قوله « يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين»

فقيسوا الارز على الحنطة ، لما كان كلاماً صحيحاً ولالائقاً[١] بما تقدم ، وانما يليق بما تقدم الاتعاظ والانزجار عن مثل أفعال القوم من الكفر بالله .

وقوله « ماقطعتم من لينة » فاللينة كل نخلة لينة سوى العجوة ، في قول ابن عباس وقتادة ، وهي لغة أهل المدينة .

وقال بعضهم : الا البرني والعجوة . وقال باقي المفسرين : اللينة النخلة ولم يستثنوا ، قال ذو الرمة :

طراق الخوافي واقع فوق لينة[٢] ندى ليلة في ريشه يترقرق

فصل: قوله « وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير » الايات : ٦ ـ ١٠ .

الفيء رد ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك الله اياهم ذلك على ماشرطه فيه ، يقال: فاء يفيء فيئاً اذا رجع. وقال عمر بن الخطاب ومعمر : مال الفيء هو مال الجزية والخراج .

والفيء كل ما رجع من أموال الكافرين الى المؤمنين ، فمنه غنيمة وغير غنيمة ، فالغنيمة ما أخذ بالسيف ، فأربعة أخماسه للمقاتلة ، وخمسه للذين ذكرهم الله في قوله « واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه »[٣] الاية .

وقال كثير من العلماء أن الفيء المذكور في هذه الاية هو الغنيمة .

وقال قوم: مال الفيء خلاف مال الصدقات، لان مال الفيء أوسع، فانه يجوز أن يصرف في مصالح المسلمين ، ومال الصدقات انما هو الاصناف الثمانية .

وقال قوم: مال الفيء يأخذ منه الفقراء من قرابة رسول الله باجماع الصحابة

---

(١) في التبيان : ولايليق .

(٢) في التبيان : طراق الخوافي مشرق فوق ربعة .

(٣) سورة الانفال : ٤١ .

في زمن عمر، ولم يخالف فيه أحد الا الشافعي، فانه قال: يأخذ منه الفقراء والاغنياء وانما ذكروا في الاية لانهم منعوا الصدقة ، فبين الله أن لهم في مال الفيء حقاً .

والذي نذهب اليه أن مال الفيء غير مال الغنيمة، فالغنيمة كل ما أخذ من دار الحرب بالسيف عنوة مما يمكن نقلـه الى دار الاسلام، ومالايمكن نقله الى دار الاسلام، فهو لجميع المسلمين ينظر فيه الامام ، ويصرف ارتفاعه الى بيت المال لمصالح المسلمين .

والفيء كل ما اخذ من الكفار بغير قتال أو انجلى أهلها ، و كان ذلك للنبي عليه السلام خاصة يضعه في المذكورين في هذه الاية، وهو لمن قام مقامه من الائمة الراشدين، وقد بين الله تعالى ذلك ومال بني النظير كان للنبي خاصة وقد بينه الله «وما أفاء الله» يعني : ما رجعه الله ورده على رسوله «منهم » يعني من بني النظير.

ثم بين فقال تعالى «فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب» أي : لم توجفوا على ذلك بخيل ولا ركاب . والايجاف الايقاع ، وهـو تسيير الخيل أو الركاب والركاب الابل .

ثم قال مبيناً من استحق ذلك ، فقال «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» يعني : قرى بني النظير «فلله وللرسول ولذي القربى» يعني : أهل بيت رسول الله «واليتامى والمساكين وابن السبيل » من أهل بيت رسول الله لان تقديره : ولذي قرباه ويتامى أهل بيته وابن سبيلهم ، لان الالف واللام يعاقب الضمير ، وظاهـره يقتضي أنه لهؤلاء سواء كانوا أغنياء أو فقراء .

ثم بين لم فعل ذلك، فقال «كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم» فالدولة بضم الدال نقلة النعمة من قوم الى قوم. وبفتح الدال المرة من الاستيلاء والغلبة.

وقوله «للفقراء المهاجرين» الذين هاجروا من مكة الى المدينة ، أو هاجروا من دار الحرب الى دار الاسلام «الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم» الذي كان

لهم بمكة فأخرجوا منها . قسمة الغنيمة عندنا للفارس سهمان ، وللراجل سهم .

وقال قوم: للفارس ثلاثة أسهم، وللراجل سهم الا ما كان من الارض والاشجار فانه للامام أن يقسمها ان شاء، وله أن يجعلها أرض الخراج ويردها الى من كانت في أيديهم قبل على هذا الوصف بحسب ما يرى ،كما فعل عمر بأرض السواد .

وقيل : ان النبي ﷺ فتح مكة عنوة ولم يقسم أرضها بين المقاتلة .

وقال قوم : فتحها سلماً وقسم كثيراً من غنائم حنين في المؤلفة قلوبهم .

فصل : قوله «ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن خرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً» الايات : ١١ - ١٥ .

قوله تعالى «لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله» أي : أنتم أشد خوفاً في قلوب هؤلاء المنافقين يخافونكم ما لا يخافون الله ، لانهم قوم لايفقهون الحق ولا يعرفونه ولا يعرفون معاني صفات الله ، فالفقه العلم بمفهوم الكلام في ظاهره ومتضمنه عند ادراكه وبتفاصيل أحوال الناس فيه .

وقوله «أو من وراء جدر » أي: من وراء الحيطان ، فالجدار الحائط . فمن قرأ على التوحيد، فلانه اسم جنس يقع على القليل والكثير، ومن قرأ على الجمع فلاختلاف الجدران .

فصل : قوله «عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار» الايات: ٢٢-٢٤.

قال الحسن : الغيب ما أخفاه العباد ، والشهادة ما أعلنوه ، ففي الوصف بهاتين كونه عالماً بجميع المعلومات ، لانها لا تعدو هذين القسمين .

«هو الرحمن» يعني المنعم على جميع خلقه «الرحيم» بالمؤمنين، ولايوصف بالرحمن سوى الله تعالى . فأما الرحيم ، فانه يوصف به غيره تعالى .

«القدوس» معناه المطهر فتطهر صفاته عن أن يدخل فيها صفة نقص .

«السلام» وهوالذي يسلم عباده من ظلمة «المؤمن» الذي أمن العباد من ظلمه لهم ، اذ قال «لايظلم مثقال ذرة »[1].

«المهيمن» قال ابن عباس : معناه الامين . وقال قوم : معناه المؤمن الا أنه مبالغة في الصفة ، لانه جاء على الاصل في المؤيمن ، فقلبت الهمزة هاءاً وفخم اللفظ به لتفخيم المعنى . وقال قتادة : معناه الشهيد .

سورة الممتحنة

سميت هذه السورة بالممتحنة باسم امرأة التي جاءت تشكو الى رسول الله ﷺ أمرها ، وهي ثلاثة عشر آية .

فصل: قوله «قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك» الايات : ٤ ـ ٥ .

قوله «الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك» استثناء لقول ابراهيم لابيه «لاستغفرن» أي : فلا تقتدوا به فيه ، فان ابراهيم عليه السلام انما استغفر لابيه لموعدة وعدها اياه لان أباه كان وعده بالايمان ، فوعده ابراهيم بالاستغفار ، فلما أظهر له الايمان استغفر له ابراهيم في الظاهر .

«فلما تبين له أنه عدو لله» وعرف ذلك من جهته «تبرأ منه» وقال الحسن : انما تبين ذلك عند موت أبيه، ولولم يستثن ذلك لظن انه يجوز الاستغفار للكفار مطلقا من غير موعدة بالايمان منهم .وقد قيل : ان الاستثناء راجع الى قوله «وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً» .

---

(١) سورة النساء : ٣٩ .

فصل : قوله « ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ماأنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذاآتيتموهن أجورهن ولاتمسكوا بعصم الكوافر » الاية : ١٠ .

قيل : في كيفية الامتحان أربعة أقوال :

قال ابن عباس :كانت امتحان[١] رسول الله اياهن أن يحلفن بالله ماخرجت من بغض زوج ، وبالله ماخرجت رغبة عن أرضي ، وبالله ماخرجت في التماس ديناً ، وبالله ماخرجت الاحباً لله ولرسوله .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال :كان امتحانه أن يشهدن أن لااله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله . وروي عن عائشة أنه كان امتحانهن بمافي الاية التي بعدها « ياأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئاً ولا يسرقن » الاية .

ثم قال تعالى « فان علمتموهن مؤمنات » يعني في الظاهر « فلاترجعوهن الى الكفار» أي: لاتردوهن اليهم «لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهم» قال ابن زيد :وفرق بينهما النبي ﷺ وان لم يطلق المشرك .

وقيل : ان النبي ﷺ كان شرط لهم رد الرجال دون النساء ، فعلى هذا لانسخ في الاية . ومن قال :كان شرط رد النساء والرجال قال : نسخ الله حكم ردالنساء.

وقوله تعالى« وآتوهم ماأنفقوا» قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد : أعطوا رجالهن[٢] ماأنفقوا من الصداق .

---

(١) في «ن» و «م» : محبة .

(٢) في التبيان : رجالهم .

وقال الزهري : لولا الهدنة لم يرد الى المشركين صدقاً كما كان يفعل قبل[1] نسخ رد المهور على الازواج من المشركين .

ثم قال تعالى « ولاجناح عليكم » معاشر المؤمنين «أن تنكحوهن» يعني : المهاجرات ،لانهن بالاسلام قد بن من أزواجهن « اذاآتيتموهن أجورهن »يعني: مهورهن التي يستحل به فروجهن .

وقوله تعالى « ولاتمسكوا بعصم الكوافر » فالكوافر جمع كافرة ، والعصمة سبب تمنع من المكروه ، وجمعه عصم . وفي ذلك دلالة على أنه لايجوز العقد على الكافرة ،سواءكانت ذمية أوحربية أوعابدة وثن وعلى كل حال ،لانه عام جميع ذلك ، وليس لاحدأن يخص الاية بعابدة الوثن لنزولها بسببهم ،لان المعتبر بعموم اللفظ لابالسبب .

وقوله تعالى « واسألوا ماأنفقتم » يعني : اذا صارت المرأة المسلمة الى دار الحرب ، فسألوهم أن يردوا عليكم مهرهن ،كما سألوكم مهر نسائهم اذا هاجرن اليكم .

والمفسرون على أن حكم هذه الاية منسوخ ، وعندنا أن الاية غير منسوخة وفيها دلالة على المنع من تزوج المسلم اليهودية والنصرانية ، لانهما كافرتان ، والاية على عمومها في المنع من التمسك بعصم الكوافر ، ولانخصها الا بدليل .

فصل : قوله « وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون * ياأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك » الايات : ١١ ـ ١٣ .

ووجه بيعة النساء مع أنهن ليس من أهل النصرة بالمحاربة هو أخذ العهد عليهن بما يصلح شأنهن في الدين للانفس والازواج ، وكان ذلك في صدر الاسلام

(١) فى التبيان : يفعل قبل وقيل .

لئلا ينفتق بهن فتق لما صيغ من الاحكام ، فبايعهن النبي ﷺ حسماً لذلك . وقيل انه كان يبايعهن من وراء الثوب .

وروي أنه استدعى ماءاً فوضع يده فيه ، ثم أمر النساء أن يضعن أيديهن فيه فكان ذلك جارياً مجرى المصافحة بأخذ العهد « على أن لايشركن بالله شيئاً » من الاصنام والاوثان ، « ولايسرقن» لامن أزواجهن ولا من غيرهم « ولا يأتين ببهتان» يعني : بكذب « يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » .

وقال ابن عباس : لايلحقن بأزواجهن غير أولادهم .

وقال الفراء :كانت المرأه تلتقط فتقول لزوجها : هذا ولدي منك ، فذلك البهتان المفترى .

قوله « كما يئس الكفار من أصحاب القبور » قال الحسن: الذين يئسوا من الاخرة اليهود ، أي : مع الاقامة على ما يغضب الله ، كما يئس كفار العرب أن يحيى[1] أهل القبور أبداً .

وقيل : هم أعداء المؤمنين من قريش قد يئسوا من خير الاخرة ، كما يئس سائر الكفار من العرب من النشأة الثانية .

سورة الصف

فصل: قوله «سبح لله ما في السماوات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم* يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا ما لاتفعلون* ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » الايات: ١ – ٥.

قيل : في معنى « مرصوص » قولان :

أحدهما كانه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله.

---

(١) فى التبيان : يرجع .

والثاني: كأنه حائط ممدود على رص البناء، أي: احكامه واتصاله واستقامته، والمرصوص المتلائم الذي لا خلل فيه .

وقوله« فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» فالزيغ الذهاب عن الشيء باسراع فيه، والا ظهر فيه الذهاب عن الحق. والمعنى: انهم لما ذهبوا عن طريق الحق ومالوا الى طريق الباطل أزاغ الله قلوبهم، بمعنى أنه حكم عليهم بالزيغ والميل عن الحق ولذلك قال « والله لايهدي القوم الفاسقين » ومعناه: لايحكم لهم بالهداية. وقيل: معناه فلما زاغوا عن الايمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب. ولايجوز أن يكون المراد أزاغ الله قلوبهم عن الايمان، لان الايمان لايزيغ أحداً ولا يضله عن الايمان .

وأيضاً فانه لافائدة في الكلام على ماقالوه ، لانهم اذا زاغوا عن الايمان فقد حصلوا كفاراً ، فلا معنى لقوله «أزاغ الله» .

فصل : قوله «والله لايهدي القوم الظالمين * يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » الايات : ٧ - ٩ .

معناه : لايحكم بهداية القوم الظالمين الذين هم الكفار .

وقيل : معناه لايهدي الكفار الى الثواب ، لانهم كفار ظالمون لنفوسهم[1] بفعل الكفر والمعاصي التي يستحق بها العقاب ، فكل كافر ظالم لانه أضر بنفسه بفعل معصية استحق بها العقاب من الله تعالى ، وكفره ضرر قبيح .

فصل : قوله « ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » الايات : ١٠ - ١٤ .

انما قال «ذلكم خير لكم» مع أن تركه قبيح ومعصية لله ، لان المعنى ذلكم خير لكم من رفعه عنكم ،لان مأدى الى الثواب خير من رفعه الى نعيم ليس بثواب

(١) في التبيان: لانفسهم

من الله تعالى، والتكليف خير من رفعه الى الابتداء بالنعيم لكل من عمل بموجبه[١].

سورة الجمعة

فصل : قوله « يسبح لله مافي السماوات ومافي الارض الملك القدوس العزيز الحكيم * هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياتـه ويـزكيهم » الايات : ١ ـ ٥ .

القدوس المستحق للتعظيم بتطهير صفاته عن كل صفة نقص .

قال قتادة ومجاهد : الاميون العرب . وقال قوم : هم أهل مكة لانها تسمى أم القرى .والامي منسوب الى أنه ولد في أمة لايحسنون[٢] الكتابة ، ووجه النعمة في جعل النبوة في أمي قوله لما تقدمت البشارة به في كتب الانبياء السالفة ، ولما فيه من أنه أبعد من توهم الاستعانة على ماأتى به من الحكمة .

«رسولا» مفعول أرسله «منهم» يعني من نسب الاميين ومن جملتهم .

قوله «كمثل الحمار يحمل أسفاراً» قال ابن عباس : الاسفار الكتب واحدها سفر ، لانها تكشف عن المعنى باظهاره لـه ، يقال : سفر الرجل عن عمامته اذا كشف ، لان الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لايدري مافيها ولايحس بها ،كمثل من يحفظ الكتاب ولم يعمل به ، مثل من لايعلم مافيما يحمله .

وعلى هذا من تلا القرآن ولم يفهم معناه وأعرض عن ذلك اعراض من لايحتاج اليه كان هذا المثل لاحقاً به ، وان حفظ وهو طالب لمعناه وقد قدم حفظه فليس من أهل هذا المثل .

فصل : قوله « ياأيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة مـن يوم الجمعة فاسعوا

---

(١) الى هنا تم المقابلة مع المجلد التاسع من كتاب التبيان .

(٢) فى التبيان : لايحسن

الى ذكر الله وذروا البيع » الايات : ٩ ـ ١١ .

معناه : اذا سمعتم أذان يوم الجمعة فامضوا الى الصلاة .

قال قتادة : امضوا الى الصلاة مسرعين غير متثاقلين ، وبه قال ابن زيد والضحاك

وقال الزجاج : فامضوا الى السعي الذي هو الاسراع ، قال : وقرأ ابن مسعود فامضوا الى ذكر الله . ثم قال : لو علمت الاسراع لاسرعت حتى يقع ردائي من كتفي .

وفرض الجمعة لازم جميع المكلفين ، الا صاحب العذر من سفر أو مرض أو عمى أو عرج أو آفة وغير ذلك . وعند اجتماع شروطه بكون سلطان عادل أو من نصبه السلطان للصلاة ، وبتكامل العدد عندنا سبعة ، وعند قوم أربعين وعند آخرين أربعة وثلاثة ، وقد بينا الخلاف في ذلك في اختلاف الفقهاء .

وظاهر الاية متوجه الى المؤمنين ، وانما يدخل فيه الفاسق على التغليب ، كما يغلب المذكر على المؤنث ، هذا على قول من يقول : ان الفاسق ليس بمؤمن ، فأما من قال : انه مؤمن مع كونه فاسقاً ، فالاية متوجهة اليهم كلهم .

وقال مجاهد وسعيد بن المسيب المراد بالذكر موعظة الامام في خطبه .

وقال غيرهما : يعني الصلاة التي فيها ذكر الله .

وقوله « وذروا البيع » معناه : اذا دخل وقت الصلاة أتركوا البيع والشراء .

قال الضحاك : اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء .

وقال الحسن : كل بيع يفوت فيه الصلاة يوم الجمعة ، فانه بيع حرام لا يجوز ، وهو الذي يقتضيه ظاهر مذهبنا ، لان النهي يدل على فساد المنهي عنه .

قوله « واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها » قال جابر بن عبدالله والحسن : قدم عير لدحية الكلبي فيها طعام المدينة بعد ما أصابتهم مجاعة ، فاستقبلوه باللهو والمزامير والطبول ، في قول جابر بن عبدالله ومجاهد ، فكانوا مع النبي ﷺ في

الصلاة ، فلما سمعوا صوت الطبول والمزامير .

«انفضوا» أي : تفرقوا الى العير يبصرونه ، وتركواالنبي ﷺ قائماًوحده.

فقال الله لنبيه « قل » يامحمد « ماعند الله » من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة « خير من اللهو ومن التجارة » وأنفع وأحمد عاقبة «والله خير الرازقين » أي : ليس يفوتهم بترك البيع شيء من رزق الله .

والتقدير : واذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا اليها ، أي : اليه ، وانما قال «اليها» لانهاكانت أهم اليهم ، ذكره الفراء .

وقيل: تقديره واذا رأوا لهوا أوتجارة انفضوا اليها، فرد الضمير الى أقرب المذكورين ، لانهكان أهم اليهم ، وكذلك قرأ ابن مسعود في مصحفه .

سورة المنافقين

قوله «اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انكلرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » الايات : ١ ـ ٥ .

قال زيد بن أرقم : نزلت الاية في عبدالله بن أبي [بن][1] سلول ، لما قال : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، وقال « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل»فلما وقف على ذلك جحده أنه ماقاله حتى نزلت السورة.

وقوله « ذلك بأنهم آمنوا » بألسنتهم عند الاقرار بـ «لااله الاالله محمدرسول الله » « ثم كفروا » بقلوبهم لماكذبوا بهذا ، وهوقول قتادة « فطبع على قلوبهم » أي : ختم عليها بسمة تميز الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة «فهم لايفقهون» ذلك بجحدهم توحيد الله .

قوله «كأنهم خشب مسندة» فشبههم الله بالخشبة المسندة ، قيل : انهم شبهوا

---

(١) الزيادة من التبيان .

بخشب نخرة متأكلة لاخير فيها الا أنها مسندة بخشب من رآها أنها صحيحة سليمة .

فصل : قوله : «سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدي القوم الفاسقين * هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا» الايات : ٦ ـ ٧ .

بين أنه تعالى لايهدي القوم الفاسقين الى طريق الجنة، فلهذا يجب أن يئسوا من العفو بالاستغفار .

وقال الحسن: أخبر الله تعالى أنهم يموتون على النفاق فلم يستغفر لهم بعد .

وقيل : المعنى لايحكم الله بهدايتهم ، وقد كان النبي ﷺ يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبة ، وأن يكون باطنهم مثل ظاهرهم ، فبين بها أن ذلك لاينفع مع ابطانهم الكفر والنفاق .

ومعنى «ينفضوا» حتى يتفرقوا عنه لفقرهم وحاجتهم ، فالانفضاض التفرق وفض الكتاب اذا فرقه ونشره، وسميت الفضة فضة لتفرقها في أثمان الاشياء المشتراة.

سورة التغابن

قوله «يسبح لله ما في السماوات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير * هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن» الايات: ١ ـ ٥.

قد فسرنا معنى قوله «يسبح لله ما في السماوات وما في الارض» وأن المراد بها ما في خلق السماوات والارض وما فيهما من الادلة الدالة على توحيده وصفاته التي باين بها خلقه، وأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وأنه منزه عن القبائح وصفات النقص ، فعبر عن ذلك بالتسبيح من حيث كان معنى التسبيح التنزيه لله عما لا يليق به .

«وهو على كل شيء قدير» يعني : مما يصح أن يكون مقدوراً له ، فلا يدخل في ذلك مقدورات العباد ، لانه يستحيل أن يكون مقدوراً لله .

فصل: قوله « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي ليبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير» الايات : ٧ ـ ٩ .

قال المؤرج : «زعم» معناه كذب «الذين» جحدوا لغة حمير . وقال شريح: زعم كنية الكذب ، والحدة كنية الجهل «أن لن يبعثوا» أي : لايحشرهم الله في المستقبل للحساب .

والتغابن هو التفاوت في أخذ الشيء بدون القيمة ، فالذين اشتروا الدنيا بالاخرة بهذه الصفة في أنهم أخذوا الشيء بدون القيمة فقد غبنوا أنفسهم .

فصل : قوله «ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول» الايات : ١١ ـ ١٥ .

يقول الله تعالى مخاطباً لخلقه: انه ليس يصيبكم مصيبة الا باذن الله. والمصيبة المضرة التي تلحق صاحبها ، كالرمية التي تصيبه .

قوله «ما أصاب من مصيبة الا باذن الله» ففي المصائب ما هو ظلم والله لايأذن في الظلم ، لانه لايحسن في الحكمة . ألا ترى أنه ليس منها الا ما أذن الله في وقوعه أو التمكين منه، وذلك اذن للملك الموكل به ،كأنه قيل له : لاتمنع من وقوع هذه المصيبة، وقد يكون ذلك بفعل التمكين من الله، كأنه يأذن له أن يكون.

وقال البلخي : معناه الا بتخلية الله بينكم وبين من يريد فعلها .

وقال قوم : هو خاص فيما يفعله الله أو يأمر به . ويجوز أن يكون المراد بالاذن ها هنا العلم ، وكأنه قال : لايصيبكم مصيبة الا والله تعالى عالم بها .

وقوله «ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم» قال ابن عباس نزلت الاية في قوم أسلموا بمكة وأرادوا الهجرة فمنعوهم من ذلك .

وقال عطاء بن يسار : نزلت الاية في قوم أرادوا الغزو فمنعهم هؤلاء .

وقال مجاهد : هي في قوم اذا أرادوا طاعة الله منعهم أزواجهم وأولادهم ،

فبين الله تعالى أن في هذا[١] من هو عدو لكم في الدين فاحذروهم فيه .

فصل : قوله «فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» الايات : ١٦ – ١٨ .

كل ما يأمر الله به فلابد أن يكون مشروطاً بالاستطاعة ، فان كانت الاستطاعة غير باقية على مذهب من يقول بذلك ، فالامر بما يفعل في الثالث وما بعده مشروط بأن يفعل له استطاعة قبل الفعل بوقت ، والا لايكون مأموراً بالفعل .

وان كانت باقية، فالامر على صفة الاستطاعة ، لانه لايصح الشرط بالموجود لان الشرط يحدث ، فليس يخلو من أن يكون على شريطة وقوع القدرة ، أو على صفة وجود القدرة .

وقال قتادة: قوله «فاتقوا الله ما استطعتم» ناسخ لقوله «اتقوا الله حق تقاته»[٢] كأنه يذهب الى أن فيه رخصة كحال التقية وما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة وان كانت معه القدرة على الحقيقة .

وقال غيره : ليس بناسخ وانما هو مبين لامكان العمل بها ، وهو الصحيح لان تقديره : اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم .

قوله «ان تقرضوا الله قرضاً حسناً» فالقرض أخذ قطعة من المال بتمليك الاخذ له على رد مثله ، وأصله القطع من قرض الشيء يقرضه قرضاً اذا قطع منه قطعة وذكر القرض في صفة الله تلطفاً في الاستدعاء الى الانفاق في سبيل، فهو كالقرض في مثله مع أضعافه .

سورة الطلاق

فصل : قوله «يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة

(١) في التبيان : هؤلاء .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٢ .

واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهم ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً» الايات : ١ ـ ٥ .

يقول الله تعالى مخاطباً لنبيه والمراد به أمته: «يا أيها النبي اذا طلقتم النساء» ومعناه : اذا أردتم طلاق النساء كما قال «اذا قمتم الى الصلاة»[1] وروي عن ابن عباس أنه قال : نزل القرآن باياك أعني واسمعي يا جاره . فيكون الخطاب للنبي والمرادبه الامة من ذلك .

وقال قوم : تقديره يا أيها النبي قل لامتك اذا طلقتم النساء ، فعلى قول هذا القول النبي يكون خارجاً من الحكم .

وقال آخرون : هو على خطاب الرئيس الذي يدخل فيه الاتباع ، فعلى هذا حكم النبي حكم أمته في هذا الحكم. وأجمعت الامة على أن حكم النبي عليه السلام حكم أمته في الطلاق .

والطلاق في الشرع عبارة عن تخلية المرأة بحل عقدة من عقد النكاح ، بأن يقول : أنت طالق يخاطبها ، أو يقول : هذه طالق ويشير اليها ، أو فلانة طالق بنت فلان .

وعندنا لايقع الطلاق الابهذا اللفظ المخصوص، ولايقع بشيء من الكنايات طلاق ، أراد به الطلاق أو لم يرد، وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف .

وأما الفراق، فقد يحصل بغير طلاق، كالارتداد واللعان والخلع عند كثير من أصحابنا، وان لم يسم ذلك طلاقاً. وأما فسخ النكاح والرد بالعيب فقد يحصل بأشياء لايسمى طلاقاً .

ومن شرط وقوع الطلاق عندنا أن تكون المرأة طاهراً طهراً لم يقربها فيه

(١) سورة المائدة : ٧ .

بجماع بمحضر من شاهدين، ويقصد به ايقاع الطلاق ويتلفظ بماقدمناه، فحينئذ يقع تطليقة واحدة، وهوأملك برجعتها مالم تخرج من العدة، فان خرجت قبل أن يراجعها كان كواحد من الخطاب .

ومتى تلفظ بثلاث تطليقات، فان كانت المرأة طاهراً مع باقي الشروط وقعت واحدة، وخالف جميع الفقهاء في ذلك وقالوا: يقع الثلاث .

ثم اختلفوا فقال الشافعي ومن وافقه: يكون ذلك مسنوناً .

وقال أهل العراق: المسنون أن يطلقها واحدة بلفظ واحد، ومتى أوقع ثنتين أوثلاثاً وقع. وأما غير المدخول بها ، فعند جميعهم يقع الثلاث ولاعدة عليها . وعندنا لايقع الا واحدة، وفي أصحابنا من يقول: متى تلفظ بالثلاث لايقع شيء والاعتماد على ماقلناه أولا .

ومتى طلقها ثلاثاً أوواحدة وهي حائض وكان دخل بها ولايكون غائباً عنها شهراً فصاعداً لايقع عندنا شيء أصلا. وقال جميع الفقهاء : هو بدعة وتبين المرأة بذلك .

وقوله «فطلقوهن لعدتهن» معناه: أن يطلقها وهي طاهر من غير جماع، ويستوفي باقي الشروط .

وقال ابن عباس: هوأن يطلقها طاهراً من غير جماع، وبه قال مجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي، فعلى هذا متى طلقها في الحيض فلايقع طلاقها، لانه خلاف المأمور به، وهو منهي عنه والنهي يدل على فساد المنهي عنه وعند الفقهاء أنه يقع الطلاق وان كان بدعة .

ثم قال « واحصوا العدة» فالعدة قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضي المدة المرتبة في الشريعة. وعدة المرأة على ضروب :

أحدها: عدة التي لم تبلغ المحيض، ومثلها لاتحيض وهي التي لم تبلغ تسع

سنين، فهذه لاعدة عليها عند أكثر أصحابنا، وفيهم من قال : عدتها بالشهور، وبه قال باقي الفقهاء .

وعدة التي تحيض مثلها ثلاثة أشهر بلاخلاف . وعدة التي تحيض ثلاثة أقراء، وهي الاطهار عندنا وعندكثير من الفقهاء، وعند قوم أنها الحيض .

وعدة التي ارتفع حيضها ومثلها تحيض ثلاثة أشهر بلاخلاف، وقد حد ذلك أصحابنا بأن يكون سنها أقل من خمسين سنة .

وعدة الايسة من المحيض ومثلها لاتحيض فلاعدة عليها عند أكثر أصحابنا وقال بعضهم: عدتها بالاشهر، وهو مذهب جميع الفقهاء، وحد ذلك أصحابنا بأن يزيد سنها على خمسين سنة. والقرشية حدوها بستين سنة فصاعداً.

وعدة الحامل وضع مافي بطنها اذا كانت عدة الطلاق، فان كانت عدة الوفاة فأبعد الاجلين من وضع الحمل أومضي أربعة أشهر وعشرة أيام، وهو مذهب علي عليه السلام وابن عباس. وقال الفقهاء: عدة المتوفى وضع مافي بطنها .

وقوله تعالى « واحصوا العدة » يعني: مدة زمان العدة.

ثم قال « واتقوا الله ربكم » بارتكاب[1] المعاصي «ولاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن » هن يعني زمان العدة ، لانه لايجوز اخراجها من بيتها ، وعندنا وعند جميع الفقهاء يجب عليه السكنى والنفقة والكسوة اذا كانت تطليقة رجعية فان كانت بائنة فلانفقة لها ولاسكنى . وقال الشافعي : لانفقة لها ولا السكنى اذا كانت بائناً . وقال أهل العراق: لها السكنى والنفقة .

وقوله « الاأن يأتين بفاحشة مبينة » من فتح الياء أراد فاحشة أظهرت، ومن خفض الياء أراد بفاحشة ظاهرة. وقال عطاء والضحاك وقتادة: لايجوز أن يخرج من بيتها حتى تنقضي عدتها الا عند الفاحشة .

---

(١) في التبيان: بأن لاترتكبوا .

وقال الحسن وعامر الشعبي ومجاهد وابن زيد: الفاحشة هاهنا الزنا تخرج لاقامة الحد .

وقال ابن عباس: الفاحشة النداء على أهلها، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام. وقال قتادة: الفاحشة هو النشوز .

وقوله «وتلك حدود الله» يعني: ماتقدم ذكره من كيفية الطلاق والعدة وترك اخراجها عن بيتها الا عند الفاحشة حدود الله، فالحدود نهايات تمنع أن يدخل في الشيء ماليس منه، أو يخرج عنه ماهو منه، فقد بين الله بالامر والنهي الحدود في الطاعة والمعصية بماليس لاحد أن يدخل في شيء من ذلك ماليس منه ، أو يخرج عنه ماهو منه .

وقوله «لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » قال قوم: معناه لاتدري لعل الله يغير رأي الزوج في محبة الطلاق، فيكون بتطليقه على ماأمر الله به، ويملك الرجعة فيمابين الواحدة والثانية ، ومابين الثانية والثالثة .

وقال الضحاك والسدي وابن زيد : لعل الله يحدث بعد ذلك أمر الرجعة في العدة . وقيل: معناه لعل الله يحدث بعد ذلك شهوة المراجعة .

وقوله «فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أوفارقوهن بمعروف » معناه: اذا قاربن أجلهن الذي هو الخروج من عدتهن، لانه لايجوز أن يكون المراد فاذا انقضى أجلهن ، لانه عند انقضاء أجلهن لايملك رجعتها وقد ملكت نفسها وبانت منه بواحدة، ثم يتزوج من شاءت هو أوغيره .

وانما المعنى اذا قاربن الخروج من عدتهن فامسكوهن أن يراجعهن[1] بمعروف بمايجب لها من النفقة والكسوة والسكنى وحسن الصحبة «أوفارقوهن بمعروف» بأن تتركوهن حتى يخرجن من العدة .

(١) في التبيان : تراجعوهن .

وقوله «وأشهدوا ذوي عدل منكم» فعند أصحابنا أن الاشهاد شرط في وقوع الطلاق، لان ظاهر الامر بذلك يقتضيه، والامر عندنا على الوجوب. وقال قوم: ان ذلك راجع الى الرجعة، وتقديره : واشهد على الامساك ان أمسكتم ذوي عدل منكم وهي الرجعة في قول ابن عباس .

وقال الشافعي: الاشهاد على الرجعة أولى، ويجوز عند أكثرهم بغير اشهاد ، وانما ذكر الله الاشهاد كما ذكر في قوله «واشهدوا اذا تبايعتم»[1] وهو على الندب وهذا[2] ترك الظاهر . ومتى حملنا الاشهاد على الفراق وهو الطلاق حملناه على ظاهره من الوجوب، وجعلناه شرطاً في وقوع الطلاق .

ثم قال «وأقيموا الشهادة لله » اذا طولبتم باقامتها « ذلكم » معاشر المكلفين « يوعظ بـه من كان يؤمن بالله واليوم الاخر » والوعظ معنى يدعو الى الحق بالترغيب والترهيب .

ثم بين كيفية العدد باختلاف أحوال النساء، فقال «واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر» يعني: ان الايسة من المحيض اذا كانت ترتاب بنفسها ولاتدري أرتفع حيضها لكبر أو لعارض «فعدتها ثلاثة أشهر» وهي التي قلنا ان مثلها تحيض ، لانها لو كانت في سن من لاتحيض لم يكن لريبتها معنى .

وقال الزهري وعكرمة وقتادة : ان ارتبتم فلم تدروا للكبر أم لدم الاستحاضة فالعدة ثلاثة أشهر .

وقال قوم : ان ارتبتم فلم تدروا الحكم في ذلك فعدتهن ثلاثة أشهر .

وقوله «واللائي لم يحضن» تقديره : واللائي لم يحضن ان ارتبتم فعدتهن

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ .

(٢) في « ن » : وهو .

ثلاثة أشهر ، فحذف لدلالة الكلام الاول عليه ، والكلام فيه كالكلام في الائسة.

وقال قتادة : اللائي يئسن الكبار واللائي لم يحضن الصغار .

ثم قال «وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن» بين أن عدة الحامل من الطلاق وضع الحمل التي [١] معها ، فان وضعت عقيب الطلاق فقد ملكت نفسها.

ويجوز لها أن تعقد لغيره على نفسها، غير أنه لايجوز له وطؤها، لان نفاسها كالحيض سواء ، فاذا طهرت من نفاسها حل له ذلك .

فان كانت حاملا باثنين ووضعت واحداً، لم تحل للازواج حتى تضع جميع الحمل ، لقوله «أن يضعن حملهن» فأما انقطاع الرجعة ، فقد روى أصحابنا أنها اذا وضعت واحداً انقطعت عصمتها من الاول ، ولا يجوز لها العقد لغيره حتى تضع الاخر .

فأما اذا توفى عنها زوجها، فعدتها عندنا أبعد الاجلين، ان وضعت قبل الاربعة الاشهر استوفت أربعة أشهر وعشرة أيام ، وان مضت منها أربعة أشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل .

وقال ابن عباس : الاية في المطلقة خاصة كما قلناه . وقال ابن مسعود وأبي ابن كعب وقتادة والسدي وأكثر الفقهاء: ان حكم المطلقة والمتوفى عنها زوجها واحد في أنها متى وضعت حلت للازواج. والذي اخترناه هو مذهب علي عليه السلام. وقد بينا أن السكنى والنفقة يجب للرجعية بلا خلاف . فأما المبتوتة[٢] فلا سكنى لها ولا نفقة عندنا .

وقوله «من وجدكم» قال السدي : من ملككم . وقال ابن زيد : هو اذا قال صاحب المسكن : لاأترك هذه في بيتي فليس من وجده ، ويجوز له حينئذ أن

---

(١) كذا وفى التبيان : الذى .

(١) وفى التبيان : البائنة .

ينقلها الى غيره .

والوجد ملك مايجده المالك له، وذلك أنه قد يملك المالك مايغيب عنه، وقد يملك ما هو حاضر له فذلك وجده .

فصل : قوله «اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولاتضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى » الايات : ٦ ـ ١٠ .

قوله «وان كن» يعني النساء المطلقات «أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن» أمر من الله تعالى بالانفاق على الحامل المطلقة ، سواء كانت رجعية أو مبتوتة، ولا خلاف في ذلك. وانما يجب أن ينفق عليها بسبب ما في بطنها، وانما تسقط نفقتها بالوضع . والحمل بفتح الحاء ما يكون في البطن ، ويقال للعدل الحمل بالكسر .

وقوله «فان ارضعن لكم فآتوهن أجورهن» أمر من الله تعالى، بأن الام المطلقة متى ولدت ورغبت في رضاع ولدها، كان على الاب أجرة الرضاع أجرة المثل فان رضيت الاجنبية بشيء معلوم لاجرة الرضاع ورضيت بمثله الام كانت الام أولى ، وان لم ترض الام بذلك القدر كان للاب تسليمه الى الاجنبية . وان كان الولد لايقبل الا لبن الام أجبرت عليه ، والا أدى الى هلاك الولد .

والرضاع سقي المرأة من لبنها للولد ، ومنه قول النبي ﷺ : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب . يعني ان المرضعة تصير بمنزلة الام ، وأمها بمنزلة الجدة ، وأختها خالة ، وبنتها أختاً ، وابنها أخاً ، وهكذا سائر المحرمات .

وقوله «وان تعاسرتم فسترضع له أخرى » خطاب للرجل وزوجته المطلقة أنهما متى اختلفا في رضاع الصبي أرضعته امرأة اخرى .

فصل: قوله تعالى «رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور» الايتان : ١١ ـ ١٢ .

قوله «الله الذي خلق سبع سماوات» اخبار من الله تعالى أنه الذي أنشأ سبع سماوات «ومن الارض مثلهن» أي : وخلق من الارض مثلهن في العدد لا في الكيفية،لان كيفية السماء مخالفة لكيفية الارض. والمثل ماسد مسد غيره فيما يرجع الى ذاته . وليس في القرآن آية تدل على أن الارضين سبع غير هذه الاية ، ذكره الجبائي .

سورة التحريم

قوله « ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض » الايات : ١ ـ ٥ .

هذا خطاب من الله تعالى للنبي عليه السلام وعتاب له على تحريمه على نفسه ماأباحه الله له وأحله له ، ولايدل ذلك على أنه وقعت منه معصية ، لان العتاب قد يكون على أمر يكون الاولى خلافه ، كما يكون على ترك الواجب .

وقيل : في سبب نزول قوله « ياأيها النبي » قولان :

أحدهما قال زيد بن أسلم ومسروق وقتادة والشعبي وابن زيد والضحاك : ان النبي صلى الله عليه وآله حرم على نفسه مارية القبطية بيمين أنه لايقربها طلباً لمرضاة حفصة زوجته ، لانها غارت عليه من أجلها .

وقال الحسن : حرم رسول الله أم ولده ابراهيم وهي مارية القبطية على نفسه

وأسر بذلك الى زوجته حفصة والى[1] عائشة ، وكانت حفصة بنت عمر قد زارت عائشة فخلى بيتها ، فوجه رسول الله ﷺ الى مارية ، فكانت معه ، فجاءت حفصة فأسر اليها التحريم .

وعندنا أنه لايلزم بقوله أنت حرام علي شيء ووجوده كعدمه ، وهو مذهب مسروق من الفقهاء ، وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف . وانما أوجب الله الكفارة لان النبي ﷺ كان حلف أن لايقرب جاريته .

وقوله « قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » أي : قدر الله تعالى ماتحلون به يمينكم اذا فعلتموه ، وذلك يدل على أنه عليه السلام كان حلف دون أن يكون قال هي علي حرام ، لان ذلك ليس بيمين عند أكثر الفقهاء .

وتحلة اليمين هو فعل مايسقط تبعة اليمين : اما بكفارة ، أوتناول شيء من المحلوف عليه ، فمن حلف أن لايأكل من هذا الطعام ، فمتى أكل حنث ولزمته كفارة وينحل اليمين بها ، ومن حلف أنه يأكل من هذا الطعام وأكل منه شيئاً قليلا فقد انحلت يمينه ، فلذلك سمي تحلة اليمين .

وقوله « والله مولاكم » معناه : والله ناصركم وهو أولى بكم منكم بأنفسكم ومن كل أحد ، وهو العليم بجميع الاشياء الحكيم في جميع أفعاله .

وقوله تعالى « واذ أسر النبي » معناه : واذكروا حين أسر النبي « الى بعض أزواجه حديثاً » فالاسرار القاء المعنى الى نفس المحدث على وجه الاخفاء عن غيره ، يقال : أسر اليه كذا وكذا اسراراً والاسرار نقيض الاعلان .

وقيل : انه كان أسر الى حفصة أن لاتخبر عائشة بكونه مع مارية في يوم عائشة .

وقيل : انه حرمها على نفسه فاطلعت عليه عائشة فاستكتمها النبي ﷺ ، فأخبرت حفصة بذلك ، فانتشر الخبر ، فعاتبهما الله على ذلك . وقال الزجاج والفراء : أسر

---

(١) في التبيان : فأفضت به الى .

اليها بأنه سيلي الامر بعده أبو بكر وعمر وعثمان ، فتباشرا بذلك فانتشر الخبر .

وروى أصحابنا أنه أسر الى عائشة بما يكون بعده من قيام من يقوم بالامر ودفع علي عليه السلام عن مقامه ، فبشرت بذلك أباها ، فعاتبها[1] الله على ذلك .

وقوله تعالى « فلما نبأت به وأظهره الله عليه » معناه : لما أخبرت التي أسر اليها بما خبرها بـه الى غيرها وأعلم الله تعالى نبيه ذلك فأظهره له « عرف بعضه وأعرض عن بعض » .

وقوله « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » مع أن لهما قلبين ، لان كل ماتثبت الاضافة فيه معنى التثنية ، فلفظ الجمع أحق به ، لانه أمكن وأخف باعراب الواحد وقلة الزائد ، وذلك في كل شيئين من شيئين ، ويجوز التثنية لانها الاصل ، كما قال الراجز :

* ظهراهما مثل ظهور الترسين *

فجمع المذهبين .

وقوله «وان تظاهرا عليه » معناه : وان تعاونا على خلافه «فان الله هو مولاه » يعني الله هو الذي يتولى حفظه وحياطته ونصرته «وجبريل» أيضاً معين له وناصره «وصالح المؤمنين» قال الضحاك : يعني خيار المؤمنين .

وقال قتادة : يعني الاتقياء .

وقال الزجاج : صالح المؤمنين واحد في موضع الجمع .

وقال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني : هو صالح المؤمنين على الجمع ، غير أنه حذفت الواو للاضافة . وهذا غلط ، لان النون سقطت للاضافة ، فكان يجب أن يثبت الواو في الخط ، وفي المصاحف بلا واو .

وروت الخاصة والعامة أن المراد بـ « صالح المؤمنين » علي عليه السلام ، وذلك

(١) في التبيان : فعاتبهم .

يدل على أنه أفضلهم ، لأن القائل اذا قال : فلان فارس قومه ، أوشجاع قبيلته أوصالحهم ، فانه يفهم من جميع ذلك أنه أفرسهم وأشجعهم وأصلحهم .

وقوله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير» معناه : معين له ، فالظهير المعين.

ومعنى « خيراً منكن » أي : أفضل منكن وأصلح له .

ثم وصفهن فقال «مسلمات» وهن اللواتي يظهرن الاسلام والشهادتين مستسلمات لما أمر الله به « مؤمنات »اي : مصدقات بتوحيد الله واخلاص العبادة له ، مقرات بنبوة نبيه ﷺ.

وقيل : معناه مصدقات في قولهن وفعلهن «قانتات» أي : خاضعات متذللات لله تعالى .

وقيل : معنى « قانتات » راجعات الى الله بفعل مايجب له عزوجل .

«سايحات» معناه : ماضيات في طاعة الله . وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: معنى «سايحات» صائمات . وقال زيد بن أسلم : معنى « سايحات » مهاجرات ، وهو اختيار الجبائي . وقيل للصائم سائح ، لانه يستمر به في الامساك عن الطعام، كما يستمر السائح في الارض .

وقوله « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً» مروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصيته .

ثم وصف الله تعالى النار التي حذرهم منها ، فقال « وقودها الناس والحجارة» قيل : حطب تلك النار الناس والحجارة، يعني حجارة الكبريت ، وهو أشد مايكون من العذاب .

« عليها ملائكة غلاظ شداد » ومعناه : غلاظ في الاخلاق وان كانوا رقاق الاجسام ، لان الظاهر من حال الملك أنه روحاني ، فخروجه عن الروحانية كخروجه عن صورة الملائكة ، شداد في القوى لايعصون الله ماأمرهم به .

وفي ذلك دلالة على أن الملائكة الموكلين بالنار وبعقاب العصاة معصومون

من فعل القبيح ، لايخالفون الله في أمره ، ويمتثلون كل مايأمرهم به ، وعمومه يقتضي أنهم لايعصونه في صغير ولاكبير .

وقال الرماني : لايجوز أن يعصي الملك في صغيرة ولاكبيرة ، لتمسكه بما يدعو اليه العقل دون الطبع ، وكل من يمسك بما يدعوا اليه العقل دون الطبع، فانه لايقع منه قبيح ، وقد اختارهم الله على مافي المعلوم منهم .

قوله « ياأيها النبي جاهد الكفاروالمنافقين » قيل : معناه جاهد الكفاربالقتال والحرب ، والمنافقين بالقول الذي يردع عن القبيح لابالحرب ، الا أن فيه بذل المجهود، فلذلك سماه جهاداً . وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام :جاهدالكفاربالمنافقين ، لانه عليه السلام يجاهد الكفار وفي عسكره جماعة من المنافقين يقاتلون معه .

وقوله تعالى « واغلظ عليهم » أي : أشدد عليهم .

وقوله « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين» قال ابن عباس :كانت امرأة نوح وامرأة لوط منافقين فخانتاهما.

قال ابن عباس :كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس : انه مجنون ، وكانت امرأة لوط تدل على أضيافه ، وكان ذلك خيانتهما لهما ، ومازنت امرأة نبي قط ، لما في ذلك من التنفير عن الرسول والحاق الوصمة به ، فمن نسب أحداً من زوجات النبي الى الزنا فقد أخطأ خطأ عظيماً ، وليس ذلك قولا لمحصل .

ثم قال «فلم يغنيا عنهما » أي : لم يغن نوح ولوط المرأتين « من الله شيئاً » أي : لم ينجياهما من عقاب الله وعذابه « وقيل » لهما يوم القيامة « ادخلا النار مع الداخلين » من الكفار .

قال الفراء : هذا مثل ضربه الله تعالى لعائشة وحفصة وبين أنه لايغنيهما ولا ينفعهما مكانهما من رسول الله صلى الله عليه وآله ان لم يطيعا الله ورسوله ويمتثلا أمرهما ،كمالم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط كونهما تحت نبيين .

وفي ذلك زجر لهما عن المعاصي ، وأمر لهما أن يكونا كآسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران في طاعتهما لله تعالى وامتثال أمره ونهيه .

فصل : قوله « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين * ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » الايتان : ١١ ـ ١٢ .

الفائدة في هذه الاية وفي الاية التي قبلها : أن أحداً لاينفعه الاعمله ، ولا يؤخذ بجرم غيره ، وانكان خصيصاً به وملازماً له . وبين ان امرأة نوح وامرأة لوط لم ينفعهما قربهما من نبيين واختصاصهما والتصاقهما بهما ، لماكانتاكافرتين عاصيتين ، بل عاقبهما بالنار بكفرهما وسوء أفعالهما . وبين في هذه الاية أن كفر فرعون لم يتعد الى زوجته لماكانت مؤمنة طائعة لله تعالى .

وقوله « أحصنت فرجها » فاحصان الفرج منعه من دنس المعصية ، يقال : أحصن يحصن احصاناً، ومنه الحصن الحصين، لانه بناء منيع . والفرس الحصان الذي يمنع من ركوبه .

وقوله « فنفخنا فيه » قال قتادة : معناه فنفخنا في جيبها من روحنا .

وقال الفراء كل شق فهو فرج، فأحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرئيل عليه السلام والظاهر أنه أراد الفرج الذي يكنى عنه .

وقوله « فيه » يعني : في الفرج ، فلذلك ذكر في الانبياء «فيها» لانه رد الى التي أحصنت فرجها. وقيل : ان جبرئيل نفخ في فرجها ، فخلق الله فيه المسيح.

« وصدقت بكلمات ربها » يعني : بماتكلم الله به وأوحاه الى أنبيائه .

سورة الملك

قوله « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور * الذي خلق سبع سماوات طباقاً ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين » الايات : ١ ـ ٥ .

معنى قوله « من فطور » أي : من شقوق وصدوع ، يقال : فطره يفطره فطوراً فهو فاطر اذا شقه ، ومنه قوله تعالى « تكاد السماوات يتفطرن منه »[1] أي: يتصدعن .

وقال ابن عباس : هل ترى من وهن . وقال قتادة : من خلل . وقال سفيان : من شقوق .

ثم أكد ذلك بقوله « ثم ارجع البصر كرتين » أي: دفعة ثانية ، لان من نظر في الشيء كرة بعد أخرى بأن له مالم يكن ثانياً له .

وقوله « خاسئاً » يعني : ذليلا صاغراً ، في قول ابن عباس . وقال قتادة : معناه كال معيي، فالحسير الكليل .

فصل: قوله « ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير * وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » الايات : ١٢ ـ ١٥ .

قوله «ألا يعلم من خلق» معناه: من خلق الصدور يعلم مافي الصدور . ويجوز أن يكون المراد ألايعلم من خلق الاشياء مافي الصدور .

وقيل : تقديره ألايعلم سر العبد من خلقه ، يعني من خلق العبد . ويجوز أن

---

(١) سورة مريم : ٩٠ .

يكون المراد ألا يعلم خلق[١] من خلق، وحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه.

ولايجوز أن يكون المراد ألايعلم من خلق أفعال القلوب ، لانه لوأراد ذلك لقال : ألا يعلم ماخلق ، لانه لايعبر عمالايعقل بـ «من» .

ولايدل ذلك على أن الواحد منالايخلق أفعاله من حيث أنه لايعلم الضمائر ، لانابينا أن المراد ألا يعلم من خلق الصدور أي خلق الاشياء ، والواحد منالايخلق ذلك ، فلايجب أن يكون عالماً بالضمائر .

فصل : قوله «أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير * ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير * أولم يروا الى الطير فوقهن صافات » الايات : ١٧ - ٢١ .

المعنى : «أمنتم من في السماء سلطانه ونهيه وأمره ، كما قال « وهو الله في السماوات والارض يعلم سركم وجهركم»[٢] أي : وهو الله في السماوات والارض معلومة لايخفى عليه شيء منه .

وقيل : أيضاً يجوز أن يكون المراد أأمنتم من في السماء ، يعني : الملك الكائن في السماء أن يخسف بكم الارض بأمر الله .

فصل: قوله « أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم » الايات : ٢٢ - ٢٦ .

يقال : أكب يكب اكباباً فهو مكب فيمالايتعدى ، قال الاعشى :

مكباً على روقيه يحفر عرقه[٣] على ظهر عريان الطريقة أهيما[٤]

---

(١) في التبيان : سر .

(٢) سورة الانعام : ٣ .

(٣) في التبيان : عرقها .

(٤) ديوان الاعشى ص ١٨٨ .

سورة النون

قوله« ن والقلم ومايسطرون * ماأنت بنعمة ربك بمجنون» الايات : ١ -١٦.

اختلفوا في معنى نون في هـذا الموضع ، فقال قوم : هواسم مـن أسماء السورة ، مثل «حم» و « المص » و «ق» وماأشبه ذلك ، وهو الذي قلنا انه أقوى الاقوال .

وقال ابن عباس في رواية عنه: ان النون الحوت الذي عليه الارضون . وفي رواية أخرى عنه : ان النون الدواة ، وهو قول الحسن وقتادة .

قوله « لعلى خلق عظيم » قال الحسن : على دين عظيم وهو الاسلام . وقيل: أدب القرآن. وقال المؤرج : معناه على دين عظيم بلغة قريش . والخلق المرور في الفعل على عادة ، والخلق الكريم الصبر على الحق وسعة القول[1] وتدبير الامور على مقتضى العقل ، وفي ذلك الرفق والاناة والحلم والمداراة .

قوله « بأيكم المفتون » قيل : في معناه قولان :

أحدهما : بأي فرقكم المفتون بمايجري مجرى الجنون .

والثاني: أن يكون معنى « بأيكم المفتون » كمايقال: ليس له معقول، أي : عقل فتقديره ستعلم ويعلمون بمن منكم الجنون. وقيل: معنى الباء « في » فكأنه قال: في أيكم الجنون .

والمفتون المبتلى بتخيـل الرأي كالمجنون ، وذلك كما يبتلى بشدة الهوى للمحبوب ، فيقال : فتن فلان بفلانه على هذا المعنى . وقال ابن عباس : بأيكم الجنون .

---

(١) فى التبيان : البذل .

والهاء[1] في بصيرة مثل الهاء في علامة للمبالغة .

وقوله «لاتحرك به لسانك لتعجل به» قال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك كان النبي ﷺ اذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبه اياه، فنهاه الله عن ذلك.

والتحريك تغيير الشيء من مكان الى مكان، أو من جهة الى جهة بفعل الحركة فيه .

والعجلة طلب عمل الشيء قبل وقته الذي ينبغي أن يعمل فيه ونقيضه الابطاء والسرعة عمل الشيء في أول وقته الذي هو له، وضده الاناة .

وقوله « ان علينا جمعه وقرآنه » قال ابن عباس والضحاك : معناه ان علينا جمعه في صدرك وقراءته عليك حتى يمكنك تلاوته .

فصل: قوله «كلا اذا بلغت التراقي * وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * الى ربك يومئذ المساق » الايات: ٢٦ ـ ٤٠ .

قوله «والتفت الساق بالساق» قال ابن عباس ومجاهد: معناه التفت شدة أمر الاخرة بأمر الدنيا .

وقال الحسن: التفت حال الموت بحال الحياة، ويقولون : قامت الحرب على ساق عند شدة الامر ، قال الشاعر :

فاذا شمرت لك عن ساقها فويهاً ربيع ولا تسأم

وقوله « ثم ذهب الى أهله يتمطى » فالتمطي تمدد البدن من الكسل . والذم بكسل التثاقل عن الداعي الى الحق .

وقال مجاهد وقتادة : معنى « يتمطى » يتختر . وقيل : نزلت الاية في أبي جهل .

---

(١) هنا سقط في النسخ راجع التبيان ١٠/٧٦ ـ ١٩٥ .

وقوله « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » قال قتادة: هووعيد علىوعيد وقيل: معنى «أولىلك» وليك الشر ياأباجهل .

وقيل: معناه الذم أولىلك من تركه، الاأنه حذف وكثر فيالكلام حتىصار بمنزلة الويل لك .

سورة الانسان

فصل: قوله «هل أتى على الانسان حين من الدهر لميكن شيئاً مذكوراً * انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً * انا هديناه السبيل اما شاكراً واماكفوراً * انا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيراً » الايات : ١ ـ ١٠ .

قوله « هل أتى » قال الزجاج : معناه ألم يأت على الانسان حين من الدهر وقدكان شيئاً الا أنه لميكن مذكوراً ، لانهكان تراباً وطيناً .

وقال قوم «هل» يحتمل معناه أمرين :

أحدهما: أن يكون بمعنى قد أتى .

والثاني: أن يكون معناها أتى على الانسان، والاغلب عليها الاستفهام .

والانسان في اللغة حيوان على صورة الانسانية، وقدتكون الصورة الانسانية ولاانسان، وقديكون حيوان ولاانسان، فاذا حصل المعنيان صح انسان لامحالة .

والحين مدة من الزمان، وقديقع علىالكثير والقليل، قال الله تعالى «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون »[1] أي : وقت تمسون ووقت تصبحون، وقال تعالى « تؤتي أكلها كل حين»[2] يعني: كل ستة أشهر .

---

(١) سورة الروم: ١٧ .

(٢) سورة ابراهيم : ٢٥ .

وفي الاية دلالة على ان المعدوم لايسمى شيئاً، وانماسمى زلزلة الساعة شيئاً مجازاً، والمعنى انها اذا وجدت كانت شيئاً عظيماً .

وقوله « أمشاج » قال ابن عباس : أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة، ويقال مشجت هذا بهذا أي خلطته به وهو ممشوج به ومشيج به أي مخلوط بـه ، قال رؤبة :

يطرحـن كل معجـل نشـاج لم تكس جلداً في دم أمشاج[1]

وقوله «اناهديناه السبيل» معناه: انا أرشدناه الى سبيل الحق وبيناه له ودللناه عليه .

وقوله « اما شاكراً واما كفوراً » قال الفراء : ان شكر وان كفر على الجزاء ، والمعنى اما أن يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى والاعتراف بنعمـه فيصيب الحق . واما أن يكفر نعمه ويجحد احسانه، فيكون ضالا عن الصواب .

وليس المعنى أنـه مخير في ذلك ، وانماخرج ذلك مخرج التهديد ، كما قال تعالى « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»[2] بدلالة قوله « انااعتدنا للظالمين ناراً» وانما المراد البيان عن أنه قادر عليهما، فايهما اختار جوزي بحسبه.

وفي الايـة دلالة على أنه قد هدى جميع المكلفيـن ، لانه قوله تعالى « انا هديناه السبيل » عام في جميعهـم ، وذلك يبطل قول المجبرة : ان الله لم يهد الكافر بنصب الدلالة له على طريق الحق واجتناب الباطل .

والكأس اناء الشراب اذا كان فيه، ولايسمى كأساً اذا لم يكن فيه شراب، ذكره الزجاج .

وقوله «كان مزاجها كافوراً » قيل: مايشم من ريحها لامن جهة طعمها .

---

(١) مجاز القرآن ٢/٢٧٩ .

(٢) سورة الكهف: ٢٩ .

وقولـه « عيناً يشرب بها عباد الله » نصب على البدل من كافورا. ويجوز أن يكون على تقدير ويشربون عيناً. ويجوز أن يكون نصباً على الحال من مزاجها قال الفراء : يشربها ويشرب بها[١] سواء في المعنى .

والوفاء بالنذر هوأن يفعل ماندر عليه، فالوفاء امضاء العقد على الامر الذي يدعو اليه العقل، ومنه قوله « ياأيها الذين آمنوا أوفـوا بالعقود »[٢] الصحيحة، لانه لايلزم أحداً أن يفي بعقد فاسد، وكل عقد صحيح يجب الوفاء به .

القمطرير الشديد في الشر ، وقد اقمطر اليوم ويوم قمطرير وقماطر كأنه قد التف شر بعضه على بعض، قال الشاعر :

بني عمنا هل تذكرون بلاءنـا عليكـم اذا ماكان يوماً قماطـر

وقد روت الخاصة والعامة أن هذه الاية نزلت في علي وفاطمة والحسن و والحسين عليهم السلام فانهم آثروا المسكين واليتيم والاسير ثلاث ليال .

فصل : قوله « فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً * وجزاهم بماصبروا جنة وحريراً » الايات: ١١ ـ ٢٠ .

الزنجبيل ضرب من القرفـة طيب الطعم لحدو[٣] اللسان ويربى بالعسل ، يستدفع بـه المضار ، واذا مزج بـه الشراب فاق في الالذاذ ، والعرب تستطيب الزنجبيل جداً، قال الشاعر :

كأن القـرنفـل والزنجبـيل باتـا بفـيها واريـاً مشوراً[٤]

وقوله « عيناً » نصب على أنه بدل من الزنجبيل .

---

(١) في التبيان: شربها وشرب منها .

(٢) سورة المائدة : ١ .

(٣) في التبيان: يلذع .

(٤) ديوان الاعشى ص٨٥ .

وقوله «سلسبيلا» فهو الشراب السهل اللذيذ. وقيل: سلسبيل معناه منقاد ماؤها حيث شاؤا، عن قتادة . وقيل: شديد الجرية .

وقوله « مخلدون » قال قتادة: لايموتون. وقيل: مستورون بلغة حمير. وقال بعض شعرائهم :

ومخلـدات بـاللجيـن كأنمـا أعجاز هـن اقـاوز الكثبان[1]

فصل : قوله تعالى « عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا * ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً» الايات: ٢١ ـ ٣١ .

السندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن وهو فعلل . وقوله « خضر » فمن جره جعله صفـة لسندس خضر ، ووصف سندس بخضر وهو لفظ جمـع ، لان سندساً اسم جنس يقع على الكثير والقليل . ومن رفعه جعله نعتاً للثياب ، كأنه قال: ثياب خضر من سندس .

وقوله « استبرق » مـن رفعـه عطفه على ثياب سندس ، فكأنه قال : عاليهم ثياب سندس وعاليهم استبرق . ومن جره عطفه على سندس .

والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق ، فهم يتصرفون في فاخر اللباس ، كما يتصرفون في لذيذ الطعام والشراب .

وقيل: الاستبرق له غلظ الصفاقة لاغلظ السلك، لاغلظ الديبقي وان كان رقيق السلك.

السجود وضع الجبهة على الارض على وجه الخضوع ، وأصله الانخفاظ كما قال الشاعر :

* ترى آلاءكم فيه سجداً للحوافر *

والسجود من العبادة التي أكد الله الامر بها ، لما فيها من صلاح العباد .

---

(١) مقاييس اللغة ٢/٢٠٨ .

قوله « وشددنا أسرهم » قال ابن عباس : الاسر الخلق ، وهـو من قولهم : أسر هذا الرجل فأحسن أسره ، أي: خلق فأحسن خلقه، أي: شد بعضه على بعض أحسن الشد .

وقال ابن زيد: الاسر القوة ، وقوله « خذ بأسره » أي : بشده قبل أن يحل، ثم كثر حتى جاء بمعنى خذ جميعه ، قال الاخطل :

من كل مجتلب شديد أسره سلس القياد تخالـه مختالا

وأصل الاسر الشد ، ومنه قتب مأسور ، أي : مشدود ، ومنه الاسير ، لانهم كانوا يشدونه بالقيد .

وقوله « فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا » معناه : من شاء اتخذ الى رضا ربه طريقاً ، بأن يعمل بطاعته وينتهي عن معصيته، وذلك يدل على أنه قادر على ذلك قبل أن يفعله ، بخلاف مايقوله المجبرة .

وقوله« ما تشاؤن الا أن يشاء الله» أي: وليس تشاؤون شيئاً من العمل بطاعته وبما يرضاه ويوصلكم الى ثوابه الا والله يشاؤه ويريده ، لانـه يريد من عباده أن يطيعوه .

وليس المراد أن يشاء كل مـا يشاؤه العبد من المعاصي والمباحات ، لان الحكيم لايجوز أن يريد القبائح ولا المباحات ، لان ذلك صفة نقص ويتعالى الله عن ذلك ، وقـد قال الله تعالى « يـريد الله بكم اليسر ولا يـريد بكم العسر »[1] والمعصية والكفر من أعظم العسر، فكيف يكون الله تعالى شائياً[2] له ؟ وهل ذلك الا تناقض ظاهر .

---

(١) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٢) في التبيان : مشيئاً .

سورة المرسلات

قوله تعالى « والمرسلات عرفاً * فالعاصفات عصفاً * والناشرات نشراً * فالفارقات فرقاً * فالملقيات ذكراً * عذراً أونذراً * انما توعدون لواقع * فاذا النجوم طمست * واذا السماء فرجت * واذا الجبال نسفت » الايات : ١ ـ ١٠.

قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وأبـو صالح : المرسلات هاهنا الرياح. وفي رواية اخرى عن ابن مسعود: انها الملائكة. وقال قوم: «المرسلات عرفاً»الانبياء جاءت بالمعروف. وقوله«عرفاً»أي: متتابعة كعرف الفرس«والعاصفات عصفاً» يعني : الرياح الهابة بشدة .

فصل : قوله « ألم نجعل الارض كفاتاً * أحياءاً وأمواتاً » الايات : ٢٥-٢٨ .

نصب « كفاتاً » على الحال ، وتقديره : ألم نجعل الارض لكم ولهم كفاتاً، فالكفات الضمام قدجعل اللهالارض للعباد تكفتهم « أحياءاً وأمواتاً » أي : تضمهم في الحالين ، كفت الشيء يكفته كفتاً وكفاتاً ، أي : ضمه . وقيل : كفاتاً وعاءاً هذا كفته لي وعاؤه .

وقال الشعبي ومجاهد : فظهرها للاحياء وبطنها للاموات ، وهو قول قتادة . ونصب احياءاً وأمواتاً على الحال ، ويجوز على المفعول بـه .

فصل: قوله تعالى« انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب * لاظليل ولا يغني مـن اللهب * انها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جمالات صفر » الايات : ٢٩ ـ ٤٠ .

قيل : معناه ينشعب مـن النار ثلاث شعب : شعبة فوقه ، وشعبة عـن يمينه ، وشعبة عن شماله ، فتحيط بالكافر .

قوله « لاظليل » معناه : غير مانع من الاذى يستره عنه .

وقوله « كالقصر » أي : ذلك الشرر كالقصر أي مثله في عظمه وتخويفه يتطاير على الكافرين من كل جهة ، نعوذ بالله منها . والقصر واحد القصور من البنيان ، في قول ابن عباس ومجاهد .

وقال قتادة والضحاك: والقصر أصول الشجر، واحدته قصرة مثل جمرة وجمر، والعرب تشبه الابل بالقصور . قال الاخطل :

كأنه برج رومي بشيده لز بجص وآجر وأحجار

والقصر في معنى الجمع الا أنه على طريق الجنس. ثم شبه القصر بالجمال فقال « كأنه جمالات صفر » قال الحسن وقتادة: كأنها أنيق سود لما يعتري سوادها من الصفرة .

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: قلوس السفن . وجمالات جمع جمل ، كرجل ورجالات وبيت وبيوتات .

وقوله « هذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون » اخبار من الله تعالى أن ذلك اليوم لاينطق الكافر . وقيل : في معناه قولان :

أحدهما : أن ذلك اليوم مواطن ، فموطن لاينطقون لانهم يبلسون على هول ما يرونه ، وموطن يطلق فيه عن ألسنتهم فينطقون ، فلذلك حكى عنهم أنهم قالوا « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل » [1]

والثاني : أنهم لاينطقون بنطق ينتفعون به فكأنهم لم ينطقوا .

وقوله « هذا يوم الفصل » يعني يفصل بين الخلائق بالحكم لكل أحد بماله وعليه ، والفصل قطع علق الامور بتوفية الحقوق ، وهذا الفصل الذي هو فصل القضاء يكون ذلك في الاخرة على ظاهر الامر وباطنه. وأما في الدنيا فهو على ظاهر الامر ، لان الحاكم لايعرف البواطن .

---

(١) سورة غافر : ١١ .

فصل : قوله تعالى « ان المتقين في ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون * انا كذلك نجزي المحسنين » الآيات : ٤١ - ٥٠ .

فواكه وهي جمع فاكهة ، وهي ثمار الاشجار التي من شأنها أن تؤكل ، وقد يكون من الثمر ماليس كذلك، كثمر المر فانه ليس من الفاكهة .

ثم قال تعالى لهم « كلوا واشربوا هنيئاً » صورته صورة الامر والمراد به الاباحة . وقال قوم : هو أمر على الحقيقة ، لان الله تعالى مريد منهم الاكل والشرب في الجنة ، وأنهم اذا عملوا ذلك زاد في سرورهم ، فلا تكون ارادته لذلك عبثاً .

والهنيء هو الذي لا أذى فيه فيما بعد .

وقيل : الهنيء النفع الخالص من شائب الاذى ، والشهوة يعني في القلب اذا صادف المشتهي كان لذة ، وضده النفار اذا صادفه كان ألماً .

سورة النبأ

قوله تعالى «عم يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون * كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون * ألم نجعل الارض مهاداً * والجبال أوتاداً » الآيات : ١ - ١٦ .

معنى « كلا » زجر وردع ، كأنه قال : ارتدعوا وانزجروا وليس الامر كما ظننتم . وقال قوم : معناه حقاً ستعلمون عاقبة أمركم .

قوله « وجعلناكم أزواجاً » أي : أشكالا كل واحد بشكل[1] الاخر .

وقيل : معناه ذكراً وأنثى حتى يصح منكم التناسل.

---

(١) في التبيان : يشاكل .

وقوله « وجعلنا نومكم سباتاً » قيل : معنى « سباتاً » أي : نعاساً في أوله تطلب النفس الراحة به.

وقيل : معناه جعلنا نومكم راحة . وقيل : معناه جعلنا نومكم طويلا ممتداً تعظم به راحة أبدانكم ،ومنه سبت من الدهر ، أي : مدة طويلة ، والسبات قطع العمل للراحة .

وقوله « وجعلنا النهار معاشاً » أي : متصرفاً للعيش ، والعيش الانتعاش الذي تبقى معه الحياة على حال الصحة. والنهار اتساع الضياء في الافاق ، وأصله من أنهر الدم اذا وسع مجراه ، ومنه النهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء ، والانتهار الاتساع في الاغلاظ .

وقوله «وبنينا فوقكم سبعاً شداداً » يعني : سبع سماوات وانما جعلها سبع سماوات لما في ذلك من الاعتبار للملائكة ، ولما في تصور الطبقات من عظم القدرة وهول تلك الامور .

وقوله « وجعلنا سراجاً وهاجاً » يعني : الشمس جعلها الله سراجاً للعالم . والوهاج الوقاد وهو المشتعل بالنور .

وقوله «وأنزلنا من المعصرات» قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني الرياح كأنها تعصر السحاب . وقيل : هي السحاب تتحلب بالمطر ، في قول الربيع .

وقوله «وجنات ألفافاً» أي : بساتين ملتفة بالشجر يخرجها الله تعالى لعباده بالمطر .

والالفاف الاختلاط المتداخلة يدور بعضها على بعض واحدها لف، والمعاني الملتفة المتداخلة باستتار بعضها ببعض حتى لاتبين الا في خفي. وقيل : واحده لف ولفيف .

فصل: قوله تعالى« ان يوم الفصل كان ميقاتاً * يوم ينفخ في الصور فتأتون

أفواجاً * وفتحت السماء فكانت أبوابا * وسيرت الجبال فكانت سرابا * ان جهنم كانت مرصاداً » الايات : ١٧ ـ ٣٠ .

الغساق صديد أهل النار، في قول ابراهيم وقتادة وعكرمة وعطية. وقال أبو عبيدة : الغساق ماء وهو من الغسل أي سيال . وقال غيره : هو البارد . وقيل : المنتن .

والميقات منتهى المقدار المضروب لوقت حدوث أمر من الامور، وهو مأخوذ من الوقت ، كما أن الميعاد من الوعد .

وقوله تعالى « يوم ينفخ في الصور » فالنفخ اخراج ريح الجوف من الفم، ومنه نفخ الزق . والنفخ في البوق. والصور قرن ينفخ فيه. وقال الحسن : هو جمع صورة .

وقوله «لابثين فيها أحقاباً» أي : ماكثين فيها أزماناً كثيرة. وواحد الاحقاب حقب . وانما قال « لابثين فيها أحقاباً » مع أنهم مخلدون مؤبدون لامرين :

أحدهما: أحقاباً لا انقضاء لها الا أنه حذف للعلم بحال أهل النار من الكفار باجماع الامة عليه. وقال ابن عباس: الحقب ثمانون سنة. وقال الحسن: سبعون سنة.

وقوله « لايذوقون فيها برداً ولا شراباً» قال أبو عبيدة: البرد هاهنا النوم، قال الكندي

فيصدني عنها وعن قبلتها البرد

أي : النوم ، فكأنهم لاينامون من شدة ما هم فيه من العذاب .

وقال الحسن: الجنة والنار مخلوقتان في الايام الستة الاول، وهي الجنة التي سكنها آدم وهي الجنة التي يسكنها المتقون في الاخرة ، ثم يفنيها الله لهلاك الخلائق ، ثم يعيدها فلا يفنيها أبداً .

وقال قوم: هما مخلوقتان ولا يفنيهما الله. وقال آخرون: هما غير مخلوقتين،

والجنة التي كان فيها آدم جنة أخرى ليست جنة الخلد .

وقوله « وكل شيء أحصيناه كتاباً » معناه : وأحصينا كل شيء احصيناه في كتاب ، فلما حذف حرف الجر نصبه . وقيل : انما نصبه لان في « أحصيناه » معنى كتبناه فكأنه قال : كتبناه كتاباً .

والوجه في احصاء الاشياء في الكتاب ما فيه من الاعتبار للملائكة بموافقة ما يحدث لما يقوم به الاثبات ، مع أن تصور ذلك يقتضي الاستكثار من الخير والاجتهاد فيه ، كما يقتضي اذا قيل للانسان ما تعمله فانه يكتب لك وعليك .

فصل : قوله تعالى «ان للمتقين مفازاً * حدائق وأعناباً * وكواعب أتراباً * وكأساً دهاقا * لايسمعون فيها لغواً ولاكذابا * جزاء من ربك عطاء حسابا * رب السماوات والارض »الايات : ٣١ ـ ٤٠ .

الاتراب جمع ترب،وهي اللذة التي تنشأ[1] على سن الصبي الذي يلعب بالتراب فكأنه قيل : هم على سن واحدة . قال قتادة : أتراباً يعني في سن واحدة .

وقوله « وكأسا دهاقا » الدهاق ملىء بشدة الضغط ،والدهق شدة الضغط في الكأس ملى مترعة .

وقوله « عطاءاً حساباً » أي :بحساب العمل كل انسان على قدر عمله ،معناه: عطاءاً كافياً من قولهم « أعطاني ما أحسبني » أي : ما كفاني ، وحسبك أي : اكتف ، وحسبي الله أي : كفاني الله .

« وقال صوابا » فالصواب موافقة الغرض الحكمي، كأنه أصابه ذلك الغرض الذي تدعو اليه الحكمة ، ونقيضه الخطأ وهو مخالفة الغرض الحكمي .

« ويقول الكافر » في ذلك اليوم « ياليتني كنت تراباً » أي : يتمنى أن لوكان تراباً لايعاد ولايحاسب ليتخلص من عقاب ذلك اليوم ، لانه ليس معه شيء يرجوه

(١) في التبيان : وهي التي تنشأ مع لدتها .

من الثواب .

وقيل : ان الله يحشر البهائم وينتصف للجماء من القرناء ، فاذا أنصف بينهما جعلهما تراباً ، فيتمني الكافر عند ذلك ليت كان مثل ذلك تراباً.

سورة النازعات

قوله تعالى « والنازعات غرقا * والناشطات نشطاً * والسابحات سبحاً * فالسابقات سبقاً* فالمدبرات أمرا * يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة*قلوب يومئذ واجفة» الايات : ١ – ١٤ .

معنى النازعات الملائكة تنزع الارواح من الابدان ، فالنازعات الجاذبات الشيء من أعماق ماهو فيه . وقال الحسن وقتادة : هي النجوم أي تنزع من أفق السماء الى أفق آخر .

«الناشطات نشطا» قيل: هي الخارجات من بلدالى بلد بعيدالاقطار، ينشاط[1] كما ينشط الوحش بالخروج من بلد الى بلد .وقال ابن عباس : هي الملائكة أي تنشط بأمر الله الى حيث كان .

وقال مجاهد : السابحات الملائكة ، لانها تسبح فى نزولها من الله تعالى ، كما يقال : الفرس يسبح في جريه اذا أسرع .

وقوله « أئنالمردودون في الحافرة » قال ابن عباس والسدي : الحافرة الحياة الثانية . وقيل : الحافرة الارض المحفورة ، أي ونرد في قبورنا بعد موتنا أحياءاً ، قال الشاعر :

احافرة على صلع وشيب معاذ الله من جهل و طيش

والحافرة الكائنة على حفر أول الكرة ، يقال : رجع في حافرته اذا رجع

(١) فى التبيان : ينشط .

من حيث جاء ، وذلك كرجوع القهقري ، فردوا في الحافرة ، أي : ردوا كما كانوا أول مرة ، ويقال : رجع فلان على حافرته ،أي : من حيث جاء . وقولهم النقد عند الحافرة، معناه اذا قال: بعتك رجعت عليه بالثمن. وقال قوم : معناه النقد عند حافر الدابة .

وقوله« فأخذه الله نكال الاخرة » فالنكال عقاب ينكل به عن الاقدام على سببه بشدته نكل به تنكيلا اذاشوه به في عقابه بما يكون زاجراً لغيره عن مثل جزائه أشد الزجر الذي يزعج النفس .

فصل : قوله تعالى « ان في ذلك لعبرة لمن يخشى * أ أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها *والارض بعد ذلك دحاها*أخرج منها ماءها ومرعاها* والجبال أرساها»الايات:٢٦ـ ٣٣.

قوله « وأخرج ضحاها » قال مجاهد والضحاك : أخرج نورها .

وقوله تعالى « والارض بعد ذلك دحاها » قال مجاهد والسدي : معناه دحاها مع ذلك ، كما قال « عتل بعد ذلك[1] » أي : مع ذلك . ومعنى « دحاها » بسطها دحى يدحو دحواً ، قال أوس بن حجر :

ينفي الحصى عن حديد الارض مبترك كأنه فاحص أو لاعب داح[2]

فصل : قوله تعالى « فاذا جاءت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الانسان ما سعى * وبرزت الجحيم لمن يرى * فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فان الجحيم هي المأوى » الايات : ٣٤ ـ ٤٦ .

المنذر النبي عليه السلام قال الله تعالى « انما أنت منذر ولكل قوم هاد »[3]قال قوم

(١) سورة القلم : ١٣ .

(٢) ديوان أوس ص ١٦ .

(٣) سورة الرعد : ١٣ .

المنذر النبي عليه السلام والهادي علي عليه السلام .والطامة هي النفخة الثانية .

سورة عبس

قوله تعالى «عبس وتولى أن جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى* فأنت له تصدى * وماعليك ألا يزكى* وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى» الايات : ١ ـ ١٠ .

يقول الله تعالى: انه « عبس وتولى » معناه قبض وجهه وأعرض . والعبوس تقبض الوجه عن تكره .

وقوله « أن جاءه الاعمى » معناه : عبس لان جاءه الاعمى . وقال ابن خالوية : تقديره اذ جاءه الاعمى ، والاعمى المراد به عبدالله بن أم مكتوم ، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد .

واختلفوا في من وصفه الله تعالى بذلك، فقال كثير من المفسرين وأهل الحشو : ان المراد به النبي صلى الله عليه وآله، قالوا : وذاك أن النبي صلى الله عليه وآله كان مع جماعة من أشراف قومه ورؤسائهم قد خلا بهم ، فأقبل ابن أم مكتوم ليسلم فأعرض النبي صلى الله عليه وآله عند كراهية أن تكره القوم اقباله عليه ، فعاتبه الله على ذلك .

وقيل : ان أم مكتوم كان مسلماً ، وانما كان يخاطب النبي وهو لايعلم أن رسول الله مشغول بكلام قوم ، فيقول : يارسول الله ويكرر به .

وهذا فاسد ، لان النبي صلى الله عليه وآله قد أجل الله قدره عن هذه الصفات ، وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب من وصفه بأنه على خلق عظيم[1]، وأنه لو كان فظاً غليظاً القلب لانفضوا من حوله ، وكيف يعرض عمن تقدم وصفه مع قوله تعالى « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه»[2] ومن عرف النبي عليه السلام

(١) في سورة القلم : ٤ .

(٢) سورة الانعام : ٥٢ .

وحسن أخلاقه وما خصه الله به من مكارم الاخلاق وحسن الصحبة حتى أنه قيل : انه لم يصافح أحداً قط فنزع يده من يده حتى يكون ذلك الذي ينزع يده منه .

فمن هذه صفته كيف يغضب[1] في وجه أعمى جاء يطلب الاسلام ، على أن الانبياء عليهم السلام منزهون عن مثل هذه الاخلاق وعما هو دونها ، لما في ذلك من التنفير عن قبول قولهم والاصغاء الى دعائهم. ولا يجوز مثل هذا على الانبياء عليهم السلام من عرف مقدارهم وتبين صفتهم .

وقال قوم : ان هذه الايات نزلت في رجل من بني أميه كان واقفاً مع النبي صلى الله عليه وآله فلما أقبل ابن أم مكتوم تنفر منه وجمع نفسه وعبس في وجهه وأعرض بوجهه عنه ، فحكى الله ذلك وأنكره معاتبة على ذلك .

وقوله تعالى « وما يدريك » خطاب للنبي صلى الله عليه وآله تقديره : قل له يامحمد وما يدريك لعله يزكى ، وانما أضاف العبوس الى النبي من أضافه لقوله تعالى « وما يدريك » فرآه متوجهاً اليه ظن أنه عتب له دون أن يكون متوجهاً اليه على أن يقول لمن فعل ذلك ويوبخه عليه .

وقوله «فأنت عنه تلهى» أي تعرض عنه، واللهي عن الشيء هو التروح بالاعراض عنه والتلهي به التروح بالاقبال عليه ، ومنه قولهم « اذا استأثر الله بشيء فاله عنه» أي : اتركه وأعرض عنه .

قوله « فمن شاء ذكره » في الاية دليل على بطلان مذهب المجبرة في أن القدرة مع الفعل ، وأن المؤمن لاقدرة له على الكفر ، وأن الكافر لا يقدر على الايمان ، لانه تعالى بين أن من شاء أن يذكره ذكره لانه قادر عليه .

قوله تعالى «فأقبره» فالاقبار جعل القبر لدفن الميت فيه ، يقال : أقبره اقباراً

(١) في التبيان : يقطب .

والقبر الحفر المهيأ للدفن فيه ، يقال: أقبرني فلاناً أي : جعلني أقبره ، فالمقبر هو الله تعالى يأمر عباده أن يقبروا الناس اذا ماتوا ، والقابر الدافن للميت بيده قال الشاعر :

لو اسندت ميتاً الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر[١]

فصل : قوله تعالى «فلينظر الانسان الى طعامه * أنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الارض شقاً * فأنبتنا فيها حباً* وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلا * وحدائق غلباً * وفاكهة وأباً» الايات : ٢٤ ـ ٣٢ .

القضب الرطبة ، في قول الضحاك والفراء ، وأهل مكة يسمون القث قضباً وأصله فيما يقطع رطباً. والغلب جمع أغلب، وهي الغلاظ العظيم الاشجار، شجرة غلباً اذا كانت غليظة ، قال الفرزدق :

عرى فاثار اغلب ضيغمياً فويل ابن المراغة ما استثارا[٢]

والاب المرعى من الحشيش وسائر النبات الذي ترعاه الانعام والدواب والانعام الماشية بنعمة المشي من الابل والبقر والغنم، بخلاف الحافر لشدة وطئه بحافره من الخيل والبغال والحمير .

فصل : قوله تعالى «فاذا جاءت الصاخة * يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه» الايات : ٣٣ ـ ٤٢ .

قوله «لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه» صعوبة الامر وشدة أهواله .

ومعنى «يغنيه» أي : يكفيه من يأتي عليه، أي: ليس فيه فضل لغيره لما هو فيه من الامر الذي قد اكتنفه ، فصار كالغني عن الشيء .

---

(١) ديوان الاعشى ص٩٣ .

(٢) ديوان الفرزدق ٢/٤٤٣ .

سورة التكوير

قوله تعالى « اذا الشمس كورت * واذا النجوم انكدرت * واذا الجبال سيرت * واذا العشار عطلت * واذا الوحوش حشرت * واذا البحار سجرت» الايات : ١ ـ ١٤ .

يقول الله تعالى مخبراً عن وقت حضور القيامة وحصول شدائدها «اذا الشمس كورت» ثم انفطرت ، واللفظ وان كان ماضياً فالمراد به الاستقبال ، لانه اذا أخبر الله تعالى بشيء فلابد من كونه فكأنه واقع، والفعل الماضي يكون بمعنى المستقبل في الشرط والجزاء وفي أفعال الله تعالى وفي الدعاء اذا تكرر، كقولك : حفظك الله وأطال بقاك .

ومعنى «كورت» في قول ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة والضحاك: ذهب نورها ، والتكوير تلفيف على جهة الاستدارة، وهو كور العمامة ومنه الكارة ويقال: كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً وكورتها تكويراً.

وقوله «واذا النجوم انكدرت» فالانكدار انقلاب الشيء حتى يصير الاعلى الاسفل بما لو كان ماء لتكدر . وقيل : أصل الانكدار الانصباب قال العجاج :

* أبصر خربان فضاء فانكدر *

وقوله « واذا العشار عطلت » فالعشار جمع عشراء وهي الناقة التي قد أتي عليها عشرة أشهر من حملها ، وهو مأخوذ من العشرة ، والناقة اذا وضعت لتمام فهي مسنة .

وقال الفراء : العشار لقح الابل عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم .

وقال الجبائي: معناه ان السحاب يعطل مما يكون فيها من المياه التي ينزلها الله على عباده في الدنيا .

وقوله تعالى «واذا البحار سجرت» معناه: ملئت ناراً كما يسجر التنور. وأصل السجر الملء ، قال لبيد :

فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاوز أقدامها

أي : مملوءة ، ومنه «البحر المسجور»[١].

وقوله «واذا الموؤدة سئلت» فالموؤدة المقتولة بدفنها حية ، فكانت العرب تئد البنات خوف الاملاق ، وعلى هذا جاء قوله تعالى «ولا تقتلوا أولادكم من املاق»[٢] وقيل : مؤودة للثقل الذي عليها من التراب ، ومنه قوله تعالى «ولايؤده حفظهما»[٣] أي : لايثقله ، قال الفرزدق :

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يؤود[٤]

وانما يسأل الموؤدة على جهة التوبيخ لقاتلها ، وهو أبلغ من سؤاله ، لان هذا مما لايصلح الا بذنب وأي ذنب كان لك ، فاذا ظهر أنه لاذنب لها جاءت الطامة الكبرى على قاتلها .

وقوله «واذا السماء كشطت» فالكشط القلع عن شدة التزاق، والكشط والنشط واحد .

وقوله «واذا الجنة أزلفت» أي : قربت من أهلها يوم القيامة، فالازلاف ادناء ما يجب ، ومنه الزلفة القربة ، ومنه المزدلفة لانها قريبة من مكة .

فصل: قوله تعالى «فلاأقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل اذا عسعس * والصبح اذا تنفس * انه لقول رسول كريم» الايات : ١٥ ـ ٢٩ .

---

(١) سورة الطور : ٦ .

(٢) سورة الانعام : ١٥١ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٤) ديوان الفرزدق ١/٢٠٣ .

الخنس جمع خانس، وهو الغائب عن طلوع، خنست الوحشة في الكناس اذا غابت فيه بعد طلوع، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الخنس النجوم لانها تخنس بالنهار وتبدو بالليل .

وقيل : تخنس في مغيبها بعد طلوعها، وبه قال الحسن ومجاهد . وقال ابن مسعود وابراهيم : هم بقر الوحش .

والجارية النجوم السيارة ، والجارية السفن في البحر ، والجارية المرأة الشابة .

وقوله «الكنس» لغت للجوار، وهو جمع كانس، وهي الغيب في مثل الكناس وهو كناس الوحشية بيت تتخذه من الشجر تختفي فيه ، قال طرفة :

كأن كناسي ضالة مكنفانها واطرقسي تحت صلب مؤيد[1]

ومعنى «عسعس» أدبر بظلامه ، في قول أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ، قال علقمة بن قرط :

حتى اذا الليل[2] لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

والافق ناحية من السماء ، وفلان ينظر في آفاق السماء. وقال الحسن وقتادة الافق المبين حيث تطلع الشمس .

وقوله تعالى « وما هو على الغيب بظنين » قال ابن عباس وسعيد بن جبير وابراهيم والضحاك: معناه ليس على وحي الله وما يخبر من الاخبار بمتهم، أي: ليس ممن ينبغي أن يظن به الريبة، لان أحواله ناطقة بالصدق والامانة. ومن قرأ بالضاد معناه ليس ببخيل على الغيب .

وقوله « وماتشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين » قيل :في معناه ثلاثة أقوال:

---

(١) ديوان طرفة ص٢٥ .

(٢) في التبيان : الصبح .

أحدها : وماتشاؤون من الاستقامة الاوقد شاءها الله ، لانه قدجرى ذكرها ، فرجعت الكناية اليها ، ولايجوز أن يشاء العبد الاستقامة الاوقد شاءها الله ، لانه أمر بها ورغب فيها أتم الترغيب ، ومن ترغيبه فيه ارادته له .

والثاني : وماتشاؤون شيئاً الا أن يشاء الله يمكنكم منه ، لان الكلام يقتضي الاقتدار على تمكينهم اذا شاء ومنعهم اذا شاء .

والثالث : وماتشاؤون الاأن يشاءالله أن يلطف لكم فى الاستقامة، لمافي الكلام من معنى النعمة .

وروي عن النبي عليه السلام أنه قال : شيبتني هود وأخواتها الواقعة واذا الشمس كورت ، وهو جميع ماوعظ الله به عباده .

فان قيل : أليس أنس لما سأل هل اختضب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : ماهأنه الشيب ، فقال : أو شين هو ياأبا حمزة . فقال : كلكم يكرهه .

قيل : عنه جوابان :

أحدهما : أنه روي أن علياً عليه السلام لماغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وجد في لحيته شعرات بيضاء ، ومالا يظهر الا بعد التفتيش لايكون شيباً .

والثاني : أنه أراد لوكان أمر يشيب منه انسان لشبت من قراءة مافي هذه السورة ومافيها من الوعيد .

سورة الانفطار

قوله تعالى « اذا السماء انفطرت * واذا الكواكب انتثرت * واذا البحار فجرت * واذا القبور بعثرت * علمت نفس ماقدمت وأخرت * ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم » الايات : ١ ـ ١٢ .

قوله « واذا البحار فجرت » أي : خرق بعض مواضع الماء الى بعض ،

يقال: فجر الانهار يفجرها تفجيراً ، ومنه الفجر لانفجاره بالضياء ، ومنه الفجور لانخراف صاحبه بالخروج الى كثير من الذنوب . وقال قتادة : معنى فجرت أي تفجر عذبها في مالحها ، ومالحها في عذبها .

وقوله تعالى « واذا القبور بعثرت » معناه بحثرت .

ومعنى « ماقدمت وأخرت » ماأخذت وتركت مما يستحق به الجزاء .وقيل: معناه كل مايستحق به الجزاء مماكان في أول عمره أوآخره . وقيل : معناه ماقدمت من عملها وماأخرت من سنة سنتها يعمل بها ، ذكره القرطي . وقال ابن عباس وقتادة : معناه ماقدمت من طاعة أو تركت. وقيل : ما قدمت وأخرت من احسان أواساءة اذا قرأكتابه وجوزي بعمله .

والغرور : ظهور أمر يتوهم به جهل الامان من المحذور .

وقوله تعالى «في أي صورة ماشاء ركبك» فالصورة البنية التي تمثل[1] بالتأليف.

وقال مجاهد : معناه في أي صورة ماشاء ركبك من شبه أب أوأم أو خال أو عم .

وقال قوم : معناه في أي صورة ماشاء ركبك من ذكر أو أنثى ، وجسيم أو نحيف ، وطويل أوقصير ، ومستحسن أومستقبح .

ومن قال : الانسان غير هذه الجملة استدل بقوله « في أي صورة ماشاء ركبك » قالوا : لانه بين أنه يركب القابل[2] في أي صورة شاء . فدل على أنه غير الصورة .

وقد بينا القول في تأويل ذلك ، على أن عندهم أن ذلك الحي لايصح عليه التركيب ، والله تعالى بين أنه يركبه كيف شاء وفي أي صورة شاء ، وذلك خلاف

---

(١) فى التبيان : تميل .

(٢) فى «م» : الفاعل .

مذهبهم .

وقوله « وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون » أي : لايخفى عليهم شيء من الذي تعملونه ، فيثبتون ذلك كله .

وقيل : ان الملائكة تعلم مايفعله العبد اما باضطرار ، كما تعلم أنه يقصدالى خطابنا وأمرنا ونهينا. واما باستدلال اذ رآه وقد ظهر منه الامور التي لايكون الاعن علم وقصد من نحو التحري في الوزن والكيل ورد الوديعة وقضاء الدين .

وقال الحسن : يعلمون ماتفعلون من الظاهر دون الباطن . وقيل : بل هو على ظاهر العموم ، لان الله تعالى يعلمهم اياه .

فصل: قوله تعالى «ان الابرار لفي نعيم * وان الفجار لفي جحيم * يصلونها يوم الدين * وماهم عنها بغائبين * وماأدراك ما يوم الدين * ثم ماأدراك ما يوم الدين » الايات : ١٣ ـ ١٩ .

أخبر تعالى بأن الفجار وهم الذين خرجوا عن طاعة الله الى معصيته والمراد به هاهنا الكفار لفي جحيم ، جزاءاً على كفرهم ومعاصيهم .

« وماهم عنها بغائبين » يعني : لايكونون غائبين عن الجحيم بل يكونون مؤبدين فيها ، وليس يدل ذلك على أن فساق أهل الملة لايخرجون من النار ، لانا بينا أن الاية مخصوصة بالكفار من حيث بينافي غير موضع أن معهم ثواباً دائماً على ايمانهم لم ينحبط لبطلان القول بالاحباط[1]، فاذن لابد من اخراجهم من النار ليوفوا ثوابهم .

سورة المطففين

قوله تعالى « ويل للمطففين * الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون *

---

(١) في التبيان : بالتحابط .

واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين » الايات : ١ ـ ٦ .

«ويل» كلمة موضوعة للوعيد والتهديد ، ويقال ذلك لمن وقع في هلاك وعقاب. وقيل : ان ويلا واد في جهنم قعره سبعون سنة .

والمطفف المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن . والطفيف النزر القليل ، وهو مأخوذ من طف الشيء ، وهو جانبه ، والتطفيف التنقيص على وجه الخيانة في الكيل أو الوزن .

فصل : قوله «كلا ان كتاب الفجار لفي سجين * وما أدراك ما سجين * كتاب مرقوم * ويل يومئذ للمكذبين » الايات : ٧ ـ ١٧ .

قوله « ان كتاب الفجار » يعني كتابهم الذي فيه ثبت أعمالهم من المعاصي والفجور « لفي سجين » قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : يعني في الارض السابعة السفلى ، وهو قول الضحاك .

وقال مجاهد : تحت صخرة في الارض السابعة السفلى ، وروي في الخبر أن سجين جب في جهنم . وقال أبو عبيدة : سجين شديد وأنشد :

* ضرباً تواصى بـه الابطال سجينا *

يعني شديداً فكأنه كشدة السجن .

وقوله «أساطير الاولين » فواحد الاساطير أسطورة ، مثل أحدوثة وأحاديث. وقيل: معناه أباطيل الاولين .وقيل: معناه هذا ماسطره الاولون أي كتبوه ولا أصل له.

ثم قال « كلا بل ران على قلوبهم » ومعناه ليس الامر على ما قالوه بل غلب على قلوبهم ، يقال منه رانت الخمر على عقله يرين رينا اذا سكر فغلبت ، فالرين غلبة السكر على القلب ، قال أبو زبيد الطائي :

ثم لما رآه رانت به الخمر وأن لا يرينه بابقاء يرينه

أي : مخافة أن يسكر فهو لايبقيه .

فصل: قوله تعالى « كلا ان كتاب الابرار لفي عليين * وما أدراك ماعليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون * ان الابرار لفي نعيم * على الائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم » الايات : ١٨ – ٢٨ .

قوله « عليين » أي : مراتب عالية محفوفة بالجلالة . وجمعت بالواو والنون تشبيهاً بما يعقل في الفصل وعظم الشأن.

وقال ابن عباس : العليون الجنة . وقال كعب وقتادة ومجاهد والضحاك : أرواح المؤمنين في السماء السابعة .

وقال الضحاك : في رواية عليون سدرة المنتهى ، وهي التي ينتهي اليها كل شيء من أمر الله تعالى .

وقيل : عليون علواً على علو مضاعف ، ولهذا جمع بالواو والنون تفخيماً لشأنه ، قال الشاعر :

وأصبحت المذاهب قد أذاعت بـه الاعصار بعد الـوابلينا

يريد مطراً بعد مطر غير محدود العدد ،وكذلك تفخيم شأن العدد الذي ليس على الواحد نحو ثلاثين الى تسعين ، وجرت العشرون عليه .

«على الارائك ينظرون» قال ابن عباس: الارائك الاسرة . وقال مجاهد : هي من اللؤلؤ والياقوت واحدها أريكة، وهو سرير في حجلة ينظرون الى ما أعطاهم الله من الملك والكرامة ، والحجلة كالقبة على الاسرة .

والرحيق : الخمر الصافية الخالصة من كل غش . قال الخليل : هي أفضل الخمر وأجودها ، قال حسان :

يسقون من ورد البريص عليهم بـرداً يصفق بالرحيق السلسل

وقوله «ختامه مسك» قيل : في معناه قولان :

أحدهما : ان مقطعه مسك بأن يوجد ريح المسك عند خاتمة شربه ، ذكره ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك .

الثاني : أنه ختم اناؤه بالمسك بدل الطين الذي يختم بمثله الشراب في الدنيا ذكره مجاهد وابن زيد .

قوله «ومزاجه من تسنيم» فالمزاج خلط المائع بالمائع ، والتسنيم عين ماء يجري من علو الى أسفل يتسنم عليهم من الغرف واشتقاقه من السنام. قال ابن عباس : التسنيم أشرف شراب في الجنة . وقال عكرمة : من تشريف ، ويقال سنام البعير لعلوه من بدنه .

قوله «انقلبوا فاكهين» أي : لاهين . ومن قرأ «فكهين» أراد مرحين معجبين بجمالهم .

«واذا رأوهم» يعني الكفار اذا رأوا المؤمنين في دار الدنيا «قالوا» يعني بعضهم لبعض «ان هؤلاء» وأشاروا به الى المؤمنين «لضالون» عن طريق الحق وعادلون عن الاستقامة .

فقال الله تعالى «وما أرسلوا عليهم حافظين» أي: لم يرسل هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين، فيحفظون ما هم عليه[1]، والمراد بذلك الذم لهم بعيب المؤمنين بالضلال من غير أن كلفوا منعهم من المراد .

قوله تعالى «هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون» قيل : في معناه قولان :

أحدهما: هل جوزي الكفار اذا فعل بهم هذا الذي ذكر بما كانوا يفعلون .

الثاني: ينظرون هل جوزي الكفار ، فيكون موضعه نصباً بـ«ينظرون» .

---

(١) في التبيان : عليهم .

سورة الانشقاق

قوله تعالى «اذا السماء انشقت* واذنت لربها وحقت* واذا الارض مدت* وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت * يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه* فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً» الايات : ١ ـ ٩ .

قوله «وأذنت لربها وحقت» قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة معناه : سمعت وأطاعت، أي: كأنها سمعت باذن وأطاعت بانقياد لتدبير الله تعالى تقول العرب : أذن لك هذا الامر اذناً بمعنى أستمع لك ، قال عدي بن زيد :

أيها القلب تعلل بددن ان هي في سماع وأذن

وقال آخر :

صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

أي : سمعوا . وقال عدي بن زيد :

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ما ذي مشار

وقيل : ان معنى «وحقت» حق لها أن تأذن بالانقياد لامر ربها ، يقال : حق له أن يكون على هذا الامر بمعنى جعل ذلك حقاً .

قوله «يا أيها الانسان انك كادح» الكدح السعي الشديد في الامر، يقال: كدح الانسان في أمره يكدح كدحاً ، وفيه كدوح وخدوش ، أي : آثار من شدة السعي في الامر .

ومعنى «كادح الى ربك كدحاً» أيها الانسان انك ساع في أمرك بشدة ومشقة الى أن تلقى جزاء عملك من ربك ، فأنت لاتخلو في الدنيا من مشقة ، فلاتعمل

لها واعمل لغيرها فيما يصل[1] به الى الراحة من الكدح .

فصل: قوله تعالى «وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبوراً* ويصلى سعيراً * انه كان في أهله مسروراً * انه ظن أن لن يحور * بلى ان ربه كان به بصيراً» الايات : ١٠ ـ ١٥ .

لما ذكر الله تعالى حكم من يعطي كتابه بيمينه من المؤمنين وأهل الطاعات وما أعده لهم من أنواع النعيم وانقلابه الى أهله مسروراً ، ذكر حكم الكفار الذين يعطون كتاب أعمالهم وراء ظهورهم .

وروي أنه يخرج شماله من ظهره ويعطي كتابه منه، والوجه في ذلك ماقدمناه من كون ذلك امارة للملائكة والخلائق أنه من أهل النار ،كما أن اعطاء الكتاب على أنه من أهل الجنة .

ثم حكى ما يحل به فقال «فسوف يدعو ثبوراً» الهلاك أن يقول : واهلاكاه والمثبور الهالك .

فصل: قوله تعالى «فلاأقسم بالشفق* والليل وما وسق * والقمر اذا اتسق* لتركبن طبقاً عن طبق * فمالهم لايؤمنون *واذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون» الايات : ١٦ ـ ٢٥ .

قيل : معنى «وسق» جمع الى مسكنه ما كان منتشراً بالنهار في متصرفه ، يقال وسقته أسقه وسقاً اذا جمعته، وطعام موسوق أي : مجموع في الغرائر والاوعية والوسق الطعام المجتمع وقدره ستون صاعاً .

وقوله «لتركبن طبقاً عن طبق» معناه منزلة عن منزلة وطبقة عن طبقة ، وذلك أن من كان على صلاح دعاه الى صلاح قومه ، ومن كان على فساد دعاه الى فساد قومه ، لان كل شيء يحن الى شكله . وقيل : معنى «طبقاً عن طبق» جزاء عن

(١) في التبيان : تصير .

عمل . وقيل : معناه شدة عن شدة .

سورة البروج

قوله تعالى «والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود» الايات : ١ ـ ١٠ .

قوله « وشاهد ومشهود » فالشاهد هو النبي ، والمشهود يوم القيامة ، في قول الحسن بن علي عليهما السلام ، وتلا قوله تعالى «فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً»[١] وقال «ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود»[٢] وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب. وقال قتادة: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، وروي ذلك في أخبارنا . وقال الجبائي : الشاهد هم الذين يشهدون على الخلائق ، والمشهود هم الذين يشهدون عليه .

فصل: قوله تعالى «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير * ان بطش ربك لشديد * انه هو يبدىء ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد » الايات : ١١ ـ ٢٢ .

البطش : الاخذ بالعنف ، بطش به يبطش بطشاً .

وقوله « بل هو قرآن مجيد » أي : كريم ، فالمجيد الكريم العظيم الكريم بما يعطي من الخير ، فلما كان القرآن يعطي المعاني الجليلة والدلائل النفيسة كان كريما [مجيداً][٣] بما يعطي من ذلك .

---

(١) سورة النساء : ٤٠ .

(٢) سورة هود : ١٠٤ .

(٣) الزيادة من التبيان .

ويقال : مجدت الابل تمجد مجوداً اذا رعيتها فرعت وشبعت ولافعل لك ، وأمجدتها امجاداً اذا أشبعتها من العلف وملات بطونها ولافعل لها في ذلك، وفي المثل « في كل شجر نار واستمجد المرخ والغفار » ومعناه كثرناره لانه ليس في الشجر أكثر ناراً من الغفار .

سورة الطارق

قوله تعالى « والسماء والطارق * وما أدراك ماالطارق * النجم الثاقب * ان كل نفس لما عليها حافظ * فلينظر الانسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب » الايات : ١ ـ ١٠ .

الثاقب المضي المنير ، وثقوبه توقده بنوره ، تقول العرب : أثقب نارك أي اشعلها حتى تضيء .

قوله «يخرج من بين الصلب والترائب» فالصلب هو الظهر ، والترائب جمع تريبة وهو موضع القلادة من صدر المرأة ، في قول ابن عباس ، وهو مأخوذ من تذليل حركتها كالتراب .

قال المثقب :

ومن ذهب يشن على تريب كلون العاج ليس بذي غضون[1]

وقال آخر :

والزعفران على ترائبها شرقا به اللبات والصدر[2]

فصل : قوله تعالى « والسماء ذات الرجع * والارض ذات الصدع * انه لقول فصل * وماهو بالهزل * انهم يكيدون كيداً * وأكيد كيداً * فمهل الكافرين

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٤ .

(٢) في التبيان : والنحر .

أمهلهم رويداً » الايات : ١١ – ١٧ .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : ذات الرجع ذات المطر .

وقال ابن زيد : يعني شمسها وقمرها ونجومها تغيب ثم تطلع .

وقيل : رجع السماء اعطاؤها الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال.

وقيل : الرجع الماء لكثرة تردده بالرياح . قال المنخل في صفة السيف :

أبيض كالرجع رسوب اذا ماثاخ في محتفل يختلى

وقوله « ذات الصدع » بالنبات يصدع الارض انشقاقها بالنبات لضروب الزروع .

قوله « وأكيد كيداً » أي: أجازيهم على كيدهم ، وسمي الجزاء على الكيد باسمه لازدياد الكلام .

سورة الاعلى

قوله تعالى « سبح اسم ربك الاعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى * والذي أخرج المرعى * فجعله غثاءاً أحوى * سنقرؤك فلا تنسى * الا ما شاء الله » الايات : ١ – ١٠ .

الغثاء: ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات. والاحوى الاسود، والحوة السواد[1] ، قال ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

وقوله « سنقرؤك فلا تنسى » معناه : سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك ، والنسيان ذهاب المعنى عن النفس بعد أن كان حاضراً لها ، ونقيضه الذكر ومثله السهو ، يقال : نسي ينسى نسياناً .

---

(١) في التبيان : السوداء .

وقيل: فلا تنسى الا ما شاء الله أن تنساه برفع حكمه وتلاوته، في قول الحسن وقتادة . وقيل : معنى «الا ما شاء الله» أي : ما شاء نسيانه مما لا يكلف القيام بأدائه، لان التكليف مضمن بالذكر .

وقوله «سيذكر من يخشى» معناه: سيتعظ وينتفع بدعائك وذكرك من يخاف الله ويخشى عقابه ، لانه من لايخافه لاينتفع بها.

فصل : قوله تعالى « ويتجنبها الاشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى * قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا » الايات : ١١ - ١٩ .

قال الحسن: النار الكبرى نار جهنم، والنار الصغرى نار الدنيا. وقال الفراء: النار الكبرى التي في الطبقة السفلى من جهنم .

وقوله تعالى « ثم لا يموت فيها ولا يحيى » معناه: ان هذا الشقي لا يموت في النار فيتخلص من العذاب، ولا يحيى حياة له فيها لذة، بل هي في ألوان العذاب وفنون العقاب .

وقوله « قد أفلح من تزكى » معناه : قد فاز من تزكى ، يعني صار زاكياً بأن عمل الطاعات ، في قول ابن عباس والحسن، وذكر اسم الله على كل حال، وصلى على ما أمره الله به .

ثم قال : بل هؤلاء الكفار يؤثرون، أي: يختارون الحياة الدنيا على الاخرة، بأن يعملوا للدنيا ولا يعملوا للاخرة .

سورة الغاشية

فصل : قوله تعالى « هل أتاك حديث الغاشية * وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية * تسقى من عين آنية * ليس لهم طعام الا من

ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع » الايات : ١ ـ ١٠ .

معنى « هل أتاك » قد أتاك يامحمد « حديث الغاشية » قال ابن عباس وقتادة والحسن : الغاشية القيامة تغشى الناس بالاهوال . وقال سعيد بن جبير : الغاشية النار تغشى وجوه الكفار بالعذاب .

وقوله « عاملة ناصبة » قال الحسن : معناه لم تعمل لله في الدنيا فأعملها[1] في النار .

وقال قوم : معناه عاملة ناصبة في الدنيا بمايؤديها الى النار ، وهومماتصلت صفتهم في الدنيا بصفتهم في الاخرة . ومعنى الناصبة والنصبة التعبة ، وهي التي أتعبها الانتصاب للعمل ، يقال : نصب الرجل ينصب نصباً اذا تعب في العمل .

والضريع نبات يأكله الابل يضر ولاينفع كما وصفه الله . وقيل : الضريع الشبرق .

فصل: قوله تعالى «لاتسمع فيها لاغية* فيها عين جارية * فيهاسررمرفوعة* وأكواب موضوعة * ونمارق مصفوفة * وزرابي مبثوثة » الايات : ١١ ـ ٢٠.

الاكواب كالاباريق لاعرى لهاولاخراطيم، وهي آنيةتتخذللشراب . والنمارق الوسائد واحدها نمرقة . والزرابي البسط الفاخرة واحدها زربية .

ثم نبه على الادلة التي يستدل بها على توحيده ووجوب اخلاص العبادة له ، فقال « أفلا ينظرون » أي : أفلا يتفكرون بنظرهم « الى الابل » ويعتبرون ماخلقه اللهعليه من عجيب الخلق، ومع عظمه وقوتهذلله للصبي الصغير، فينقاد له بتسخير الله له ويبركه ويحمل عليه ثم يقوم ، وليس ذلك في شيء من الحيوان .

---

(١) فى التبيان : فاعمالها .

سورة الفجر

قوله « والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل اذا يسر * هل في ذلك قسم لذي حجر * الم تر كيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد » الآيات : ١ ـ ١٤ .

الفجر : شق عمود الصبح ، فجره الله لعباده يفجره فجراً اذا أظهره في أفق المشرق بادبار الليل المظلم واقبال النهار المضيء .

والفجر فجران : أحدهما الفجر المستطيل ، وهو الذي يصعد طولا كذنب السرحان ولاحكم له في الشرع . والآخر : هو المستطير ينتشر في أفق السماء ، وهو الذي يحرم عنده الاكل والشرب ويوجب الصوم في شهر رمضان ، وهو ابتداء اليوم .

وقوله « وليال عشر » قال ابن عباس والحسن وعبدالله بن الزبير ومجاهد ومسروق والضحاك وابن زيد : هي العشر الاول من ذي الحجة شرفها الله ليسارع الناس فيها الى عمل الخير .

وقال قوم : هي العشر من أول المحرم . والاول هو المعتمد .

وقوله « والشفع والوتر » قال ابن عباس وكثير من أهل العلم : الشفع الخلق بماله من الشكل والمثل ، والوتر الخالق الفرد الذي لامثل له .

وقوله « لذي حجر » أي : لذي عقل ، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن .

وقوله « ألم تر كيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد » قيل : عاد الاولى عاد ابن ارم . وقيل : ان ارم بلد منه الاسكندرية في قول القرطبي . وقال المعري : هو دمشق . وقال مجاهد : هم أمة من الامم .

وقوله « ذات العماد » قال ابن عباس ومجاهد : معناه ذات الطول . وقيل :

ذات عمد الابيات ينتقلون من مكان الى مكان للانتجاع. وقيل: ان ارم هو سام بن نوح.

وقوله «التي لم يخلق مثلها في البلاد» يعني: في عظم أجسامهم وشدة قواهم.

وقوله «جابوا الصخر بالواد» معناه: قطعوا الصخر من الجبال لشدة قوتهم، قال النابغة:

أتاك أبو ليلى يجوب بـه الدجى دجى الليل جواب الفلاة عميم[1]

قال مجاهد: قطعوا الجبال بيوتاً، كمال قال «وتنحتون من الجبال بيوتا»[2]

وقوله «وفرعون ذي الاوتاد» قال ابن عباس: معناه ذي الجنود الذين كانوا يشيدون أمره. وقال مجاهد: كان يوتد الاوتاد في أيدي الناس. وقيل: ان فرعون كان اذا غضب على الرجل مده بين أربعة أوتاد حتى يموت.

وقوله «سوط عذاب» أي: قسط عذاب، كالعذاب بالسوط الذي يعرف الا أنه أعظم.

وقوله «ان ربك لبالمرصاد» معناه: ان ربك يامحمد لايفوته شيء من أعمال العباد كما لايفوت من بالمرصاد، والمرصاد مفعال من رصده يرصده فهو راصد اذا راعى مايكون منه ليقابل بمايقتضيه.

فصل: قوله تعالى «فأما الانسان اذا ماابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول رب أكرمن *وأما اذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول رب أهانن *كلابل لاتكرمون اليتيم *ولاتحاضون على طعام المسكين» الايات: ١٥ - ٣٠.

قوله «كلا» معناه: ليس الامر على ماظن هذا الانسان الكافر الذي لايؤمن بالله واليوم الاخر، ذكره قتادة.

وقوله «وتأكلون التراث أكلا لما» أي: جمعاً، يقال: لممت ماعلى الخوان

(١) في التبيان: غشمشم.

(٢) سورة الشعراء: ١٤٩.

ألمه لماً اذا أكلته أجمع . والتراث الميراث .

وقوله « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » معناه : وجاء أمر الله أوعذاب الله .

وقيل : معناه وجاء جلائل آياتـه ، فجعل مجيء جلائل الايـات مجيئاً لها تفخيماً لشأنها .

وقال الحسن : معناه وجاء قضاء الله كما يقول القائل : جاءتنا الروم أي سيرتهم.

وقال بعضهم : معنى جاء ظهر بضرورة المعرفة كما توصف الايـة اذا وقعت ضرورة المعرفة ، لانها تقوم مقام الرؤية .

ثم قال « فيومئذ لايعذب عذابه أحد » معناه في قراءة من كسر الذال اخبار من الله تعالى أنه لايعذب عذاب الله احد في ذلك اليوم .

ومن فتح الذال قال : معناه لايعذب عذاب الجاني الكافر الذي لم يقدم لحياته أحد من الناس ، لانا علمنا أن ابليس أشد عـذاباً من غيره بحسب اجرامه، واذا أطلق الكلام لقيام الدلالة على ذلك قيل : معناه لايؤاخذ بذنب غيره ، لانه المستحق للعذاب ، ولايؤاخذ الله أحداً بجرم غيره .

سورة البلد

فصل : قوله تعالى « لاأقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد * ووالد وما ولد * لقدخلقنا الانسان في كبد * أيحسب أن لن يقدرعليه أحد » الايات :١ـ١٠.

قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد : يعني بالبلد مكة .

وقوله « وأنت حل بهذا البلد » معناه في قول ابن عباس انه حلال لك به قتل من رأيت حين أمر بالقتال ، فقتل ابن حنظل صبراً وهو آخذ باستار الكعبة ولـم يحل لاحد بعده ، وبه قال مجاهد وقتادة وعطاء وابن زيد والضحاك . وقال عطاء : لم يحل الا لنبيكم ساعة من النهار .

وقوله « لقد خلقنا الانسان في كبد » قال ابن عباس والحسن : في شدة ، قال لبيد :

ياعين هلابكيت أربد اذ قمناوقام الخصوم في كبد[١]

أي : في شدة نصب ، فالكبد في اللغة شدة الامر .

وقوله « أهلكت مالا لبداً » قال الحسن : معناه يقول أهلكت مالا كثيراً فمن يحاسبني عليه . واللبد : الكثير الذي قد تراكب بعضه على بعض ، ومنه بليد القطن والصوف اذا تراكب بعضه على بعض ، وكذلك الشعر .

ومعنى قوله « هديناه النجدين » قال ابن عباس : معناه نجد الخير والشر ، وبه قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة ، وفي رواية عن ابن عباس انهما الثديان ، وشبه طريق الخير والشر بالطريقين الغالبين لظهوره فيهما ، وأصل النجد العلو .

فصل: قوله تعالى «فلااقتحم العقبة* وماأدراك ماالعقبة * فك رقبة *أواطعام في يوم ذي مسغبة * يتيماً ذا مقربة * أومسكيناً ذا متربة » الايات : ١١ ـ ٢٠ .

تلخيصه : هلااقتحم العقبة ، ولايجوز الصراط الامن كان بهذه الصفة يفك رقبة، أويطعم يتيماً في يوم ذي مجاعة ، فلا اقتحم بمعنى «لم» كما قال تعالى « فلاصدق ولاصلى »[٢] ومعناه لم يصدق ولم يصل .

ومعنى «مؤصدة» الوصيد الباب من أوصدته فهو مؤصد . قال الحسن :عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه والشيطان .

وحكي عن ابن عباس أنه قال : تقديره افلاأقتحم وحذف الاستفهام والاقتحام الدخول على الشدة .

وقوله « أواطعام في يوم ذي مسغبة » فالمسغبة المجاعة ، قال جرير :

---

(١) ديوان لبيد ١/١٩ .

(٢) سورة القيامة : ٣١ .

تعلل وهي ساغبة بنيها بأنفاس من الشبم القراح[١]

واليتيم الصبي الذي قدمات أبوه أوأمه ، والاغلب في اليتيم من الاب في الناس .

وقوله «ذامقربة» معناه : ذاقرابة ، ولايقال فلان قرابتي وانما يقال : ذوقرابتي لانه مصدر ، كما قال الشاعر :

يبكي الغريب عليه ليس[٢] يعرفه وذو قرابته في الحي[٣] مسرور

وقوله «ذامتربة» معناه: ذا حاجة شديدة من قولهم ترب الرجل اذ افتقر .

وقوله « عليهم نارمؤصدة » قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : معناه مطبقة.

سورة الشمس

قوله تعالى « والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها * والنهار اذا جلاها * والليل اذا يغشاها * والسماء وما بناها * والارض وما طحاها» الآيات: ١ ـ ١٠.

قوله « وضحاها » يعني : ضحى الشمس ، وهو صدر وقت طلوعها ومجيء النهار .

قال ابن زيد : القمر اذا اتبع الشمس في النصف الأول من الشهراذا غربت الشمس تلاها القمر بالطلوع، وفي آخر الشهر يتلوها في الغروب . وقال الحسن «اذاتلاها» معناه : ليلة الهلال .

قوله « والارض وماطحاها » معنى طحاها بسطها حتى أمكن التصرف عليها. وقال الحسن ومجاهد : طحاها ودحاها واحد بمعنى بسطها ، قال علقمة :

---

(١) اللسان « قرح» .

(٢) فى التبيان : حين .

(٣) فى التبيان : الناس .

طحا بك قلب في الحسان طروب

قوله « فألهمها فجورها وتقواها » قال ابـن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وسفيان : معناه عرفها طريقة الفجور والتقوى ، ورغبها في التقوى وزهـدها في الفجور . وقال قوم : خذلها حتى اختارت الفجور وألهمها تقواها بأن وفقها لها .

وقوله « وقد خاب من دساها » معناه : قد خاب أي خسر من دنس نفسه في معاصي الله منهمكاً في القبائح التي نهاه الله عنها .

فصل : قولـه تعالى «كذبت ثمود بطغواها * اذ انبعث أشقاهـا * فقال لهم رسول الله ناقةالله وسقياها* فكذبوه فعقروها* فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها* ولايخاف عقباها » الايات : ١١ ـ ١٦ .

قوله « اذ انبعث أشقاها » أي :كان تكذيبها حين انبعث أشقى ثمود .وقيل : اسمه قدار بن سالف . وقال قوم : عقر الناقة هو تكذيبهم .

وقوله «فدمدم عليهم ربهم» معناه: أهلكهم الله عقوبة على ذنبهم. وقيل : معنى دمدم عليهم دمر عليهم. وقيل : معناه أطبق عليهم بالعذاب . وقيل: دمدم عليهم أي غضب عليهم ، فالدمدمة ترديد الحال المتكرهة .

وقوله « ولايخاف عقباها » معناه : لايخاف الله تبعة الدمدمة .

سورة الليل

قوله تعالى «والليل اذا يغشى * والنهار اذا تجلى * وماخلق الذكر والانثى* ان سعيكم لشتى * فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى » الايات : ١ـ١٣.

التيسير لليسرى يكون بأن يصيرهـم الى الجنة ، والتيسير الى العسرى بأن يصيرهم الى النار . ويجوز أن يراد بالتمكين من سلوك طريق الجنة ، والتمكين من سلوك طريق النار .

ومعناه : انا لسنا نمنع المكلفين من سلوك أحد الطريقين ولانضطرهم اليه ، وانما نمكنهم بالاقرار عليهما ورفع المنع ، والترغيب في أحدهما، والتزهيد في الاخر ، فان أحسن الاختيار اختار مايؤديه الى الجنة ، وان أساء فاختار مايؤديه الى النار ، فمن قبل نفسه أتى .

وقوله « ومايغني عنه ماله اذا تردى » معناه : أي شيء يغني عن هذا الرجل الذي بخل بماله ولم يخرج حق الله منه اذا تردى في نار جهنم ، في قول قتادة وأبي صالح ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام .

وقيل : في قوله « ان علينا للهدى » دلالة على وجوب هدى المكلفين الى الدين ، وأنه لايجوز اضلالهم عنه .

وقوله « ومالاحد عنده من نعمة تجزى » معناه: ليس ذلك لد سلفت تكافيء عليها ، ولاليد يتخذها عند أحد من العباد .

وقوله « الا ابتغاء وجه ربه الاعلى » معناه : بل انما فعل ذلك طلب رضوان الله ، وذكر الوجه طلباً لشرف الذكر ، والمعنى الا لله .

سورة الضحى

قوله تعالى « والضحى * والليل اذا سجى * وما ودعك ربك ماقلى * وللاخرة خير لك من الاولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى * ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فاغنى » الايات : ١ - ١١ .

وقوله « والليل اذا سجى » قال الحسن : معنى سجى غشى بظلامه . وقال قتادة :معنى سجى سكن، وهذا من قولهم بحر ساج أي ساكن ، وبه قال الضحاك، قال الاعشى :

فماذنبينا ان جاش بحرابن عمكم وبحركساج مايواري الدعامصا[١]

وقوله « ماودعك ربك وماقلى » قيل : انه لما تأخر الوحي عنه خمس عشرة ليلة قال قوم من المشركين : ودع الله محمداً وقلاه ، فأنزل الله تعالى هذه السورة تكذيباً لهم .

ثم عدد تعالى نعمه في دار الدنيا فقال «ألم يجدك يتيماً فآوى» ومعناه تقريره على نعم الله حين مات أبوه وبقي يتيماً فآواه ، بأن سخر لـه عبد المطلب أولا ، ولما مات عبد المطلب آواه الى أبي طالب وسخره للاشفاق عليه والحنين الى حفظه ومراعاته .

وقوله « ووجدك ضالا فهدى » قيل : في معناه أقوال :

أحدها : وجدك لاتعرف الحق فهداك اليه ، بأن نصب لك الادلـة وأرشدك اليها حتى عرفت الحق وذلك من نعم الله .

وثانيها: وجدك ضالا عما أنت عليه الان من النبوة والشريعة فهداك اليهما.

وثالثها : وجدك في قوم ضلال ، أي : فكأنك واحد منهم .

ورابعها : ووجدك مضلولا عنك فهدى الخلق الى الاقرار بنبوتك والاعتراف بصدقك ، فجعل ضالا بمعنى مضلول ، كما قيل: ماء دافق بمعنى مدفوق وسركاتم بمعنى مكتوم .

وخامسها: أنه لما هاجر الى المدينة ضل في الطريق وضل دليله، فأرشدهم الله الى الطريق الواضح حتى واصوا ، فاذاقيل : السورة مكية أمكن أن يقال : ان المراد بذلك الاستقبال والاعلام له أنه يكون هذا على وجه البشارة له به ولم يكن ضلالة[٢] معصية ، لانه ليس ذهاباً عما كلف .

---

(١) ديوان الاعشى ص ١٠٠ .

(٢) في التبيان : فعلا له .

وقوله « ووجدك عائلا فأغنى » فالعائل الفقير وهو ذوالعيلة ، قال الشاعر :

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل[١]

أي: متى يفتقر. فان قيل: في هذا ونظائره مما عدده الله على خلقه من النعمة وامتنانه عليهم كيف يمنن الله تعالى على خلقه بالنعم ، وذلك من فعل البخلاء[٢] ، لان الواحد منا لومن على غيره بما يسدى اليه كان مقبحاً .

قيل : انما يقبح الامتنان اذا كان الغرض الازراء بالمنعم عليه والتقصير به ، فأما اذا كان الغرض تعريف النعمة وتعديدها واعلامه وجوهها ليقابلها بالشكر ، فيستحق به الثواب والمدح فانه نعمة أخرى، وتفضل آخر يستحق به الشكر، فبطل ماقالوه .

سورة الانشراح

قوله تعالى « ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك * فان مع العسر يسرا * ان مع العسر يسرا * فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب» الايات : ١ – ٧.

روى أصحابنا ان « ألم نشرح » مع «الضحى » سورة واحدة ، لتعلق بعضها ببعض ولم يفصلوا بينهما بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» وأوجبوا قراءتهما في الفرائض في ركعة وألايفصل بينهما ، ومثله قالوا في سورة «ألم تر كيف» و «لايلاف قريش» وفي المصحف هما سورتان فصل بينهما ببسم الله .

قوله « ووضعنا عنك وزرك » قال الحسن : يعني بالوزر الذي كان عليه في الجاهلية قبل النبوة . وقال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد: يعني ذنبك، قالوا :

---

(١) مجاز القرآن ٢/٣٠٢ .

(٢) في التبيان : النجل .

وانما وصفت ذنوب الانبياء بهذا الثقل مع أنها صغار مكفرة لشدة اغتمامهم بها وتحسرهم على وقوعها مع ندمهم عليها .

وهذان التأويلان لايصحان على مذهبنا ، لان الانبياء عليهم السلام لايفعلون شيئاً من القبائح لاقبل النبوة ولابعدها ، لاصغيرة ولاكبيرة . فاذا ثبت هذا فمعنى الاية هو : ان الله تعالى لما بعث نبيه وأوحى اليه وانتشر أمره وظهر حكمه[1] كان يلقي من كفار قومه ، وتتبعهم لاصحابه بأذاهم له، وتعرضهم اياهم ماكان يغمه ويسوءه ويضيق به صدره ويثقل عليه ، فأزال الله ذلك بأن أعلى كلمته وأظهر دعوته وقهر عدوه .

فان قيل : السورة مكية وكان ماذكرتموه بعد الهجرة .

قيل : ليس يمتنع أن يكون الله أخبره بأن ذلك سيكون فيما بعد ليبشره بـه ويسليه عما هو عليه، فجاء بلفظ الماضي وأراد الاستقبال ،كما قال «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار »[2] وكما قال « ونادوا يامالك ليقض علينا ربك »[3] والوزر الثقل في اللغة .

وقوله « فاذا فرغت فانصب » قال ابن عباس : معناه فاذا فرغت من فرضك فانصب الى مارغبك الله فيه من العمل .

وقال قتادة : معناه فاذا فرغت من صلاتك فانصب الى ربك في الدعاء .

وقال مجاهد : معناه فاذا فرغت من أمر دنياك فانصب الى عبادة ربك .

ومعنى « فانصب » فاتعب ، يقال ناله هم ناصب أي ذونصب .

سورة التين

قوله تعالى « والتين والزيتون* وطورسينين * وهذاالبلد الامين* لقد خلقنا

---

(١) فى « ن » : بمكة .

(٢) سورة الاعراف : ٤٣ .

(٣) سورة الزخرف : ٧٧ .

الانسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين » الايات : ١ ـ ٨ .

قال الحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة: هو التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر. وقال ابن زيد: التين مسجد دمشق، والزيتون بيت المقدس .

والطور جبل، وسينين معناه مبارك، فكأنه قيل : جبل فيه الخير الكثير، لانه اضافة تعريف .

وقال الحسن: طور سينين هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وقيل: سينين بمعنى حسن، لانه كثير النبات والشجر، في قول عكرمة.

وقوله «البلد الامين» قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: البلد الامين مكة، والامين بمعنى آمن .

قوله «ثم رددناه أسفل سافلين » قال ابن عباس وابراهيم وقتادة: معناه الى أرذل العمر. وقال الحسن ومجاهد وابن زيد: ثم رددناه الى النار في أقبح صورة .

سورة العلق

قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم» الايات: ١ ـ ١٠ .

النطفة تستحيل في الرحم علقة ، ثم مضغة وتسمى ضرب من الدود الاسود العلق، لانه يعلق على الشفتين لداء يصيبهما فيمتص الدم . وفي خلق الانسان من علق دليل على مايصح أن ينقلب اليه الجوهر .

وقوله «أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى » تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم واعلام لمايفعله بمن ينهاه عن الصلاة .وقيل: ان الاية نزلت في أبي جهل والمراد بالاية النبي صلى الله عليه وسلم بأن أبا جهل كان ينهي النبي عن الصلاة ، وكان النبي لما قال له أبو جهل : ألم أنهك عن الصلاة ، انتهره واغلظ له ، فقال له أبوجهل: أنا أكثر أهل هذا

الوادي نادياً، ذكره ابن عباس وقتادة. والمعنى: أرأيت يامحمد من فعل ماذكرناه من منع الصلاة وينهى المصلين عنها، ماذا يكون جزاؤه؟ ومايكون حاله عندالله؟

فصل: قوله تعالى « أرأيت انكان على الهدى * أوأمر بالتقوى * أرأيت ان كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى * كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة » الايات : ١١ ـ ١٩ .

قوله : « لنسفعن بالناصية » أي : لنغيرن بها الى حال تشويه ، يقال : سفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تشويه. وقيل: هو أن يجر بناصيته الى النار، والناصية شعر مقدم الرأس، وهو من ناصى يناصي مناصاة اذا واصل، قال الراجز :

* قي يناصيها بلا دقي *

فالناصية متصلة بشعر الرأس .

وقوله « واسجد » فالسجود فرض وهو من العزائم ، وهي أربع مواضع : الم تنزيل، وحم السجدة، والنجم، واقرأ باسم ربك، وماعداها في جميع القرآن مسنون وليس بمفروض، وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف .

وقوله « واقترب » معناه من ثوابه. وقيل: معناه تقرب اليه بطاعته دون الرياء والسمعة .

سورة القدر

قوله تعالى « انا أنزلناه في ليلة القدر * وماأدراك ماليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر » الايات: ١ ـ ٥ .

قيل: سميت ليلة القدر لعظم شأنها وجلال وقعها من قولهم « فلان له قدر »

وليلة القدر في العشر الاخر من شهر رمضان بلاخلاف ، وهي في ليلة الافراد بلاخلاف. وقال أصحابنا : هي احدى الليلين: اما ليلة احدى وعشرين أوثلاث وعشرين .

وجوز قوم أن يكون سائر ليالي الافراد: احدى وعشرين، وثلاث وعشرين وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، وانما لم يعين هذه الليلة ليتوفر العباد على العمل في سائر الليالي. والقدر كون الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولانقصان، ففي ليلة القدر تجدد الامور على مقاديرها .

وقوله « خير من ألف شهر » والمعنى ان الثواب على الطاعة فيها يفضل على ثواب كل طاعة تفعل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

وقيل : ان الله تعالى يتفضل على خلقه في هذه الليلة وينعم عليهم بمالايفعل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

وقوله « تنزل الملائكة والروح » الذي هو جبرئيل بكل أمر في ليلة القدر الى سماء الدنيا .

وقوله: « سلام هي حتى مطلع الفجر » هو سلام الملائكة بعضهم على بعض الى طلوع الفجر. وقيل: ان الملائكة تنزل بالسلامة والخير والبركة الى طلوع الفجر .

وقيل : معناه سلام هي من الشر حتى مطلع الفجر .

سورة البينة

قوله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة * فيها كتب قيمة * وماتفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة » الايات: ١ – ٨ .

يقول الله تعالى: « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » قال الحسن وقتادة : معناه لم يكونوا منتهين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة .

وقوله « فيها كتب قيمة » القيمة المستمرة في جهة الصواب ، فهو على وزن فعيلة، من قام بالامر يقوم به اذا أجراه في جهة الاستقامة .

وقوله « وماتفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » اخبار من الله تعالى أن هؤلاء الكفار لم يختلفوا في نبوة النبي ﷺ، لانهم كانوا مجتمعين على نبوته بما وجدوه في كتبهم من صفاته ، فلما أتاهم بالبينة الظاهرة والمعجزة القاهرة تفرقوا واختلفوا، فآمن بعضهم و كفر بعضهم .

وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: ان الكفار خلقوا كفاراً في بطون أمهاتهم، لانه تعالى بين أنهم لم يختلفوا في ذلك قبل مجيء معجزاته وأدلته، ولا يلزم على ذلك أن يكون مجيء الايات مفسدة من حيث وقع الفساد عندها، لانه ليس حد المفسدة مايقع عنده الفساد، بل حدها مايقع عنده الفساد ولولاه لم يقع من غير أن يكون تمكيناً، وهاهنا المعجزات تمكين فلم تكن مفسدة .

وقوله « حنفاء » جمع حنيف، وهو المائل الى الحق، والحنفية الشريعة المائلة الى الحق .

قوله « وما أمروا الا ليعبدوا الله » دليل على فساد مذهب المجبرة في أن الله تعالى خلق الكفار ليكفروا به ، لانه صرح هاهنا أنه خلقهم ليعبدوه .

وليس في الاية دلالة على أن أفعال الجوارح من الايمان ولامن الدين، لانه يجوز أن يكون المراد « وذلك » اشارة الى التدين، وتقديره : التدين بذلك فهو دين القيمة، لان من لايعتقد جميع ذلك ويؤمن بجميع مايجب عليه فليس بمسلم وقد تقدم قوله تعالى « مخلصين له الدين » .

ثم قال « وذلك » يعني وذلك الدين « دين القيمة » وليس يلزم أن يكون راجعاً الى جميع ماتقدم ، كمالايلزم على مذهبهم في قوله « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً »[1] أن يكون راجعاً الى الشرك وقتل النفس والزنا، بل عندهم الى كل واحد من ذلك فكذلك هاهنا .

سورة الزلزلة

قوله تعالى « اذا زلزلت الارض زلزالها * وأخرجت الارض أثقالها * وقال الانسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها * يومئذ يصدر الناس أشتاتاً » الايات: ١ ـ ٨ .

قوله « أخرجت الارض أثقالها » قال ابن عباس ومجاهد : معناه أخرجت موتاها ، وأثقال الارض مافيها مدفون من الموتى وغيرها، فان الارض تلفظ بكل مافيها عند انقضاء أمر الدنيا .

وقوله « أشتاتاً » أي : مختلفين « ليروا أعمالهم » أي : ليجازوا على أعمالهم أو ليريهم الله جزاء أعمالهم .

وقيل : معنى رؤية الاعمال المعرفة بها عند تلك الحال وهي رؤية القلب . ويجوز أن يكون التأويل على رؤية العين ، بمعنى ليروا صحائف أعمالهم يقرؤن فيها لايغادر صغيرة ولا كبيرة .

ثم قال على وجه الوعيد « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » قال أبوعبيدة : مثقال ذرة زنة ذرة، وتقديره: من يعمل قدر ذرة من الخير يرى ثوابه وجزاه، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، أي : يرى مايستحق من العقاب .

ويمكن أن يستدل بذلك على بطلان الاحباط ، لان عموم الاية يدل على أنه

---

(١) سورة الفرقان : ٦٨ .

لايفعل شيئاً من طاعة أو معصية الاويجازى عليها ، وعلى مذهب القائلين بالاحباط بخلاف ذلك ، فان مايقع محبطاً لايجازى عليها .

تم التعليق من الجزء التاسع من كتاب التبيان في تفسير القرآن ، وبتمامه تم كتاب المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، والله المستعان وعليه التكلان .

قد ذكرنا في هذا الكتاب جمله وجيزة في كل سورة بأخصر ماقدرناعليه وبلغ وسعنااليه، ولو شرعنا في شرح ذلك وذكر الاقاويل لخرجنا عن المقصود والمعزى المطلوب ، وفيما لخصناه واختصرناه كفاية لمن ضبط هذا الفن، ويغنيه بذلك على ماعداه .

والله تعالى نسأل توفيقاً وعصمة ، ويجعله خالصاً لوجهه ومقرباً من رضاه بمنه وكرمه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

وافق الفراغ من استخراجه أواخر شهر ذي الحجة من شهور سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ، وكتب محمد بن ادريس حامداً مصلياً .

وتم استنساخ الكتاب تحقيقاً وتصحيحاً وتعليقاً عليه في يوم العيد الاضحى سنة ألف وأربعمائة وثمان هجرية على يد العبد السيد مهدي الرجائي عفي عنه في مشهد مولانا ومولى الكونين الامام علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء .

فهرس السور

سورة يوسف	١٩
سورة الرعد	٣١
سورة ابراهيم	٣٧
سورة الحجر	٤٤
سورة النحل	٥٠
سورة الاسراء	٦٣
سورة الكهف	٧٤
سورة مريم	٩٢
سورة طه	١٠٠
سورة الانبياء	١١٥
سورة الحج	١٢٦
سورة المؤمنون	١٣٣
سورة النور	١٣٧
سورة الفرقان	١٥٥

سورة الشعراء	١٥٩
سورة النمل	١٦٤
سورة القصص	١٦٨
سورة العنكبوت	١٧٦
سورة الروم	١٨٠
سورة لقمان	١٨٣
سورة السجدة	١٨٦
سورة الاحزاب	١٩٠
سورة سبأ	٢٠٥
سورة فاطر	٢٠٨
سورة يس	٢١٠
سورة الصافات	٢١٣
سورة ص	٢٢٧
سورة الزمر	٢٣٣
سورة غافر	٢٣٨
سورة فصلت	٢٤٢
سورة الشورى	٢٤٨
سورة الزخرف	٢٥١
سورة الدخان	٢٥٧
سورة الجاثية	٢٥٨
سورة الاحقاف	٢٥٩
سورة محمد ﷺ	٢٦١

سورة الفتح	٢٦٤
سورة الحجرات	٢٧١
سورة ق	٢٧٥
سورة الذاريات	٢٧٩
سورة الطور	٢٨٥
سورة النجم	٢٨٧
سورة القمر	٢٩٤
سورة الرحمن	٢٩٥
سورة الواقعة	٣٠٢
سورة الحديد	٣٠٧
سورة المجادلة	٣١١
سورة الحشر	٣١٥
سورة الممتحنة	٣١٩
سورة الصف	٣٢٢
سورة الجمعة	٣٢٤
سورة المنافقين	٣٢٦
سورة التغابن	٣٢٧
سورة الطلاق	٣٢٩
سورة التحريم	٣٣٧
سورة الملك	٣٤٣
سورة النون	٣٤٥
سورة الانسان	٣٤٧

سورة المرسلات	٣٥٢
سورة النبأ	٣٥٤
سورة النازعات	٣٥٨
سورة عبس	٣٦٠
سورة التكوير	٣٦٣
سورة الانفطار	٣٦٦
سورة المطففين	٣٦٨
سورة الانشقاق	٣٧٢
سورة البروج	٣٧٤
سورة الطارق	٣٧٥
سورة الاعلى	٣٧٦
سورة الغاشية	٣٧٧
سورة الفجر	٣٧٩
سورة البلد	٣٨١
سورة الشمس	٣٨٣
سورة الليل	٣٨٤
سورة الضحى	٣٨٥
سورة الانشراح	٣٨٧
سورة التين	٣٨٨
سورة العلق	٣٨٩
سورة القدر	٣٩٠
سورة البينة	٣٩١
سورة الزلزلة	٣٩٣

فهرس مطالب الكتاب

قوله تعالى « يانوح انه ليس من أهلك »	٥
معنى الوعظ والعياذة	٦
معنى السلام في قوله تعالى « يانوح اهبط بسلام »	٧
معنى التوكل والناصية	٧
تفسير الجحد في قوله تعالى « وتلك عاد جحدوا »	٨
معنى الانشاء والريبة	٨
الفرق بين المس واللمس	٨
السبب في أن العجوز لاتلد	٩
وجه عرض المسلمة على الكفار	١٠
معنى السجيل والمسومة	١١
معنى الوزن والتوفيق	١٢
تفسير قوله تعالى « وأخذت الذين ظلموا الصيحة »	١٢
معنى الورد والتثبيب	١٣
قوله « فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجان »	١٤

معنى الاستثناء في قوله تعالى « الا ماشاء ربك »	١٥
وجه النهي عن الركون الى الظلمة	١٦
دلالة الاية على وجوب النهي عن المنكر	١٧
معنى الاختلاف في الاية الشريفة	١٨
معنى الغيب والمبين والعقل	١٩
دلالة الاية الشريفة على أن كلام الله محدث	٢٠
المراد من السجود في قصة يوسف عليه السلام	٢٠
معنى الاجتباء والعصبة والالتقاط والنصح	٢١
هل اخوة يوسف عليه السلام كانوا أنبياء ؟	٢١
معنى الهم في اللغة	٢٢
قوله تعالى « قال رب السجن أحب الي »	٢٤
معنى الاحسان والملة والاباء والاستفتاء	٢٥
دلالة الاية على جواز تقلد الامر من قبل السلطان الجائر	٢٦
معنى الوفاء والحزن والبث	٢٧
المراد من التثريب في الاية الشريفة	٢٨
تفسير قوله تعالى « يغفر الله لكم »	٢٩
معنى الغاشية والبغتة والافتراء والحديث	٣٠
المراد من الاستواء على العرش	٣١
معنى الاجل والزرع والصنوان	٣١
دلالة الاية على بطلان قول من يقول بالطبع	٣٢
معنى سجود من في السماوات والارض لله طوعاً وكرهاً	٣٣
قوله تعالى « وظلالهم بالغدو والاصال »	٣٣

استدلال المجبرة بالاية على أن أفعال العباد مخلوقة لله والجواب عنه ٣٤
معنى الصبر والجنات والعدن والسلام ٣٥
آية المحو والاثبات ٣٦
معنى نقصان الارض من أطرافها ٣٦
المراد من الذي عنده علم الكتاب ٣٧
معنى اضلال الله تعالى وهدايته من يشاء ٣٧
قوله تعالى «فردوا أيديهم في أفواههم» ٣٨
معنى الجبار والعنيد ٣٩
المراد من الشجرة الخبيثة ٤٠
وجه تسمية البيت بيتاً قبل أن يبنيه ٤١
دلالة الاية على أن أبوى ابراهيم لم يكونا كافرين ٤٢
معنى المهطع ٤٢
كون الاية الشريفة حجة على ثلاث فرق ٤٣
قوله تعالى « ربما يود الذين كفروا » ٤٤
معنى الهزء والرجم والموزون ٤٥
المراد من الصلصال في الاية الشريفة ٤٦
كيفية سجود الملائكة لادم عليه السلام ٤٧
هل تجوز اجابة دعاء الكافر ؟ ٤٧
معنى الغل والغابر ٤٨
المراد من الاستثناء في آية « الآل لوط ... » ٤٩
معنى التسبيح في اللغة ٥٠
المعاني العشرة للروح ٥١

وجه تسخير الشمس والقمر والليل والنهار	٥٢
استدلال المجبرة بالاية الشريفة والجواب عنه	٥٢
المراد من تحمل الاوزار يوم القيامة	٥٣
قوله تعالى « ماكنا نعمل من سوء »	٥٤
وجه تعميمهم بالهلاك مع أن فيهم مؤمنين	٥٥
الفرق بين أسقينا وسقينا	٥٥
الاستدلال بالاية على تحليل النبيذ والجواب عنه	٥٦
معنى السكرفي اللغة	٥٧
دلالة الاية على أن المملوك لايملك شيئاً	٥٨
دلالة الاية على أن كل عصر لايخلو من حجة	٥٩
دلالة الاية على أن اليمين على المعصية غير منعقدة	٦٠
شأن نزول آية « الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان »	٦١
المراد من الفتنة في الاية الشريفة	٦٢
المراد من البعث في الاية الكريمة	٦٣
قوله « واذا أردنا أننهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها»	٦٤
آية الاحسان بالوالدين وعدم زجرهما	٦٥
المراد من الاسراف في القتل	٦٦
الاستدلال بالاية على عدم جواز العمل بالقياس والخبر الواحد	٦٧
معنى الاحتناك والاستفزاز والاستطاعة	٦٨
قوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل »	٦٩
معنى التهجد في الاية الشريفة	٧٠
علة ارسال الملك الى الرسول دون غيره	٧١

معنى الهداية والاضلال ٧٢
قوله تعالى « قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أياً ماتدعوا » ٧٣
معنى العوج والباخع والجرز والرقيم ٧٤
معنى القرض في الاية الشريفة ٧٥
معنى الورق في اللغة ٧٦
حول الاستثناء في قوله تعالى « الا أن يشاء الله» ٧٧
قوله تعالى « قل الله أعلم بما لبثوا » ٧٨
المراد من الثمر في الاية الكريمة ٧٩
دلالة الاية على أن الشك في البعث والنشور كفر ٨٠
دلالة الاية على ان ابليس لم يكن من الملائكة ٨١
معنى الموبق والجدل ٨٢
قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ٨٣
المراد من مجمع البحرين ٨٣
معنى النصب في الاية الكريمة ٨٥
اختلاف المفسرين في الذي كان يتعلم موسى منه هل كان نبياً أم لا ؟ ٨٦
المراد من الاستطاعة في قصة موسى عليه السلام ٨٧
معنى الانقضاض والابدال ٨٨
موارد استعمال الوراء في الكلام ٨٩
الكنز المدفون تحت الارض ٩٠
من هما اليأجوج والمأجوج؟ ٩١
معنى الزبرة والصدفان والنفخ ٩٢
دلالة الاية على أن المعارف ليست ضرورية ٩٢

معاني الجعل في اللغة	٩٣
دلالة الاية على أن الانبياء يورثون المال	٩٣
قوله تعالى « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً »	٩٤
مامعنى تعوذ مريم عليها السلام من الملك ان كان تقياً؟	٩٥
المراد من الصوم المأمورة في النذر	٩٦
اختلاف الاحزاب من أهل الكتاب في عيسى عليه السلام	٩٧
معنى الخلف والغي	٩٨
كيفية ورود الناس الى النار	٩٩
تفسير قوله تعالى «تؤزهم أزاً»	١٠٠
المراد من السر وأخفى	١٠١
السبب الذي لاجله أمر موسى عليه السلام بخلع النعلين	١٠٢
المراد من الجناح في الاية الشريفة	١٠٣
قوله تعالى «وقتلت نفساً فنجيناك من الغم»	١٠٤
معنى القرن والسحر	١٠٥
قوله تعالى « فأوجس في نفسه خفية موسى »	١٠٦
المراد من الاهتداء في الاية الكريمة	١٠٧
معنى الغضب والاسف والعكوف	١٠٨
كيفية انقلاب العجل المصنوع حيواناً	١٠٩
معنى الصفصف في الاية الشريفة	١١٠
معنى القيوم والهضم	١١١
عدم دلالة الاية على تفضيل الملائكة على الانبياء	١١٢
المراد من المعصية التي وقعت عن آدم وحواء عليهما السلام	١١٣

قوله تعالى «ونحشره يوم القيامة اعمى»	١١٤
دلالة الاية على أن القرآن محدث	١١٥
المراد من أهل الذكر في الاية	١١٦
علة امتناع وجود الهين فيهما	١١٧
قوله تعالى «ولايشفعون الا لمن ارتضى»	١١٨
المراد من الابتلاء بالشر والخير	١١٩
الفرق بين الهزء والسخرية	١٢٠
لم قال ابراهيم عليه السلام «بل فعله كبيرهم هذا» مع أنه مافعل شيئاً ؟	١٢١
قوله تعالى «وكلاجعلنا صالحين»	١٢٢
المراد من صنعة لبوس	١٢٣
اختلاف المفسرين في ذي الكفل	١٢٤
قوله تعالى «اني كنت من الظالمين»	١٢٥
المراد من السجل في الاية الشريفة	١٢٦
المراد من الحرف في من يعبد الله عليه	١٢٧
كيفية سجود من في السماوات والارض	١٢٨
الاستدلال بالاية على أن أجرة المنازل في أيام الموسم محرمة	١٢٩
المراد من النفث في الاية الشريفة	١٣٠
المراد من تعظيم شعائر الله	١٣١
معنى البدن والقانع	١٣٢
قوله تعالى «اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته»	١٣٣
المراد من ملك اليمين في الاية الكريمة	١٣٤
دلالة الاية على أن الانسان هو هذا الجسم المشاهد	١٣٥

تفسير قوله تعالى « فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا » ١٣٦
معنى الفرض والواجب والايات ١٣٧
أحكام حد الزنا ١٣٨
المراد من شهود الطائفة في حد الزنا ١٣٩
أحكام حد القذف وعدم قبول شهادة القاذف ١٤٠
آية اللعان وأحكامه ١٤١
فرقة اللعان تحصل بتمام اللعان ١٤٢
معنى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وهكذا ١٤٣
المراد من البيوت الغير المسكونة في الاية الشريفة ١٤٤
الزينة المنهي عن ابدائها ١٤٥
المراد من التابعين غير أولي الاربة من الرجال ١٤٦
قوله تعالى « ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » ١٤٧
أحكام المكاتبة ١٤٨
تفسير آية النور ١٤٨
المراد من تقلب القلوب والابصار ١٤٩
الحيوانات التي تمشي على أقسام ١٥٠
الاستدلال بالاية على امامة الخلفاء الاربعة والكلام عليه ١٥١
المراد من القواعد من النساء ١٥٢
قوله تعالى « فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم » ١٥٤
دلالة الاية على أن أوامر النبي ﷺ على الايجاب ١٥٥
معنى البور والحجر ١٥٦
معنى الهباء والمقيل ١٥٧

من هم أصحاب الرس ؟	١٥٨
معنى العذب والملح الاجاج والسرف والاقتار والقوام	١٥٩
قوله تعالى « وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل »	١٦٠
معنى الارجاء والازلاف والاخر والعبادة	١٦١
معنى الريع والزرع	١٦٢
المعاني الثلاث للروح الامين	١٦٣
قوله تعالى « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون»	١٦٤
ماورث سليمان من داود عليهما السلام	١٦٥
سبب تفقد سليمان عليه السلام الهدد وماأخبر به	١٦٦
معنى الخبء في الاية الشريفة	١٦٧
دلالة الاية على بطلان القول بالقدرة مع الفعل	١٦٨
معنى التلاوة والنبأ والحق والالتقاط	١٦٩
قوله تعالى « وقالت لاخته قصية »	١٧٠
هل قتل موسى عليه السلام القبطي كان ذنباً أم لا ؟	١٧١
معنى الصرح في الاية الشريفة	١٧٢
وجه جعله تعالى الحرم آمناً	١٧٣
معنى الفرح	١٧٤
قوله تعالى « ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون »	١٧٥
معنى الحسبان والطوفان	١٧٦
قوله تعالى « وتأتون في ناديكم المنكر »	١٧٧
دلالة الاية على بطلان قول المجبرة	١٧٨
هل النبي صلى الله عليه وآله كان يحسن الكتابة	١٧٩

سبب نزول قوله تعالى « غلبت الروم »	١٨٠
المراد من ظاهر الحياة الدنيا	١٨١
فطرة الناس التي خلق عليها	١٨٢
المراد من ظهور الفساد في البر والبحر	١٨٣
معنى اللهو والمثقال	١٨٤
معنى الاختيال والفخر	١٨٥
المراد من خلق السماوات والارض	١٨٦
قوله تعالى « في يوم كان مقداره ألف سنة مماتعدون »	١٨٧
قوله تعالى « قل يتوفاكم ملك الموت »	١٨٨
المراد من العذاب الادنى والاكبر	١٨٩
المراد من الارض الجرز	١٩٠
أحكام الظهار	١٩١
دلالة الاية على أولوية النبي بالمؤمنين منهم بأنفسهم	١٩٢
قوله تعالى « وبلغت القلوب الحناجر »	١٩٣
جواز الاقتداء بجميع أفعال النبي صلى الله عليه وآله	١٩٤
معنى النحب والصياصي	١٩٥
المراد من الجاهلية الاولى	١٩٦
تفسير آية التطهير	١٩٧
دلالة الاية على فساد مذهب المجبرة في القضاء والقدر	١٩٨
قوله تعالى « ماكان محمد أباأحد من رجالكم »	١٩٩
تفسير آية « قد علمنا مافرضنا عليهم »	٢٠٠
معنى الارجاء في الاية الشريفة	٢٠١

علة عدم جواز تجويز نساء النبي من بعده	٢٠٢
معنى الجلابيب والارجاف	٢٠٣
المراد من عرض الامانة على السماوات والارض	٢٠٤
كلام حول الحمدلله تعالى	٢٠٥
معنى العرم في الاية الشريفة	٢٠٦
معنى الاكل والاثل	٢٠٧
قوله تعالى « والله خلقكم من تراب»	٢٠٨
معنى الاصطفاء	٢٠٩
معنى المقمح في الاية الكريمة	٢١٠
المراد من النفخ في الصور	٢١١
دلالة الاية على بطلان مذهب المجبرة في الارادة	٢١٢
قدرة الله تعالى على اعادة الموتى	٢١٣
المراد من الزاجرات زجراً	٢١٤
معنى الغول في الاية الشريفة	٢١٥
كلام حول قوله تعالى « فليعمل العاملون »	٢١٦
معنى النزل والزقوم	٢١٧
معنى النجاة والكرب والشيعة	٢١٨
معنى قول ابراهيم عليه السلام « اني سقيم »	٢١٩
كلام حول الخبر النبوى « ماكذب أبي ابراهيم الاثلاث كذبات »	٢٢٠
قوله تعالى « والله خلقكم وماتعملون »	٢٢١
المراد من بلوغ اسماعيل مع أبيه في السعي	٢٢٢
الاستدلال بالاية على جواز النسخ قبل وقت فعله	٢٢٣

الشبهة الواردة في الفداء والجواب عنها	٢٢٤
معنى الفداء والبعل والابق	٢٢٥
قوله تعالى «فساهم فكان من المدحضين»	٢٢٦
معنى الشقاق والمناص والجند	٢٢٧
معنى الخصم والتسور والمحراب	٢٢٨
الحكم الذي صدر عن داود عليه السلام هل كان خطأ ؟	٢٢٩
قوله تعالى « واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل »	٢٣٠
معنى الحميم والغساق والشكل	٢٣١
المراد من اليوم الوقت المعلوم	٢٣٢
دلالة الاية على بطلان قول المجبرة في تعذيب أطفال الكفار	٢٣٣
المراد من الاضلال والهداية	٢٣٤
دلالة الاية على جواز الغفران بدون التوبة	٢٣٥
الفرق بين النفس والروح	٢٣٦
معنى المقاليد	٢٣٧
قوله تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش »	٢٣٨
المراد من القاء الروح	٢٣٩
المراد من اليوم التناد	٢٤٠
معنى التباب والسجر	٢٤١
قوله تعالى « كتاب فصلت آياته »	٢٤٢
المراد من تقدير الاقوات في أربعة أيام	٢٤٣
المراد من الاستواء على العرش	٢٤٤
معنى الوزع والنطق	٢٤٥

قوله تعالى « لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه »	٢٤٦
وجه ذكر الظلام على وجه المبالغة مع أنه لايفعل شيئاً	٢٤٧
معنى قوله تعالى « ليس كمثله شيء »	٢٤٨
المراد من الحجة الداحضة	٢٤٩
الاستدلال بالاية على جواز التقاص	٢٥٠
معنى كلام الله لعباده	٢٥١
قوله تعالى « واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا »	٢٥٢
ابطال مذهب المجبرة في ارادة الله القبيح	٢٥٣
قوله تعالى « وانه لذكر لك ولقومك »	٢٥٤
مرجع الضمير في قوله تعالى « وانه لعلم للساعة »	٢٥٥
معنى الحبور والابلاس	٢٥٦
علة منع الولد لله تعالى	٢٥٧
معنى النعمة والويل والوراء	٢٥٨
معنى الاجتراح	٢٥٩
معنى الايزاع	٢٦٠
أولو العزم من الرسل	٢٦١
حكم الاسير	٢٦٢
جواز تفسير ظاهر الاية بالخبر والسمع	٢٦٣
قوله تعالى « ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر »	٢٦٤
المراد من يد الله فوق أيديهم	٢٦٥
الاستدلال بالاية على امامة أبي بكر والجواب عنه	٢٦٦
آية بيعة الرضوان والكلام حولها	٢٦٩

المراد من رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ	٢٧١
الاستدلال بآية النبأ على حجية خبر الواحد والكلام حولها	٢٧٢
معنى اللمز والنبز	٢٧٣
المراد من الظن القبيح والمحمود	٢٧٤
معنى المن والمرج	٢٧٥
معنى الرزق والايكة والمي والوريد	٢٧٦
قوله تعالى « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »	٢٧٧
معنى الازلاف	٢٧٨
معنى المحيص واللغوب	٢٧٩
معنى الخرص في الاية الشريفة	٢٨٠
معنى السائل والمحروم	٢٨٢
المراد من نزول الرزق من السماء	٢٨٣
معنى العقيم والمسومة	٢٨٤
المراد من البيت المعمور	٢٨٥
قوله تعالى « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان »	٢٨٦
الفرق بين الغنى بالشيء والغنى عنه	٢٨٧
المراد من النجم في الاية الشريفة	٢٨٨
العزى واللات ومناة	٢٨٩
عدم غنى الظن عن العلم شيئاً	٢٩٠
الفواحش والمراد من الذنوب الكبار والصغار واللمم	٢٩١
قوله تعالى « ليس للانسان الا ماسعى »	٢٩٢
معنى الاقتناء والانمناك والسامد	٢٩٣

المراد من السحر المستمر	٢٩٤
معنى الفتنة والشرب والهشيم والحسبان	٢٩٥
معنى الصلصال والمارج	٢٩٦
معنى البرزخ والمرجان	٢٩٧
تفسير قوله تعالى «كل يوم هو في شأن»	٢٩٨
معنى الشواظ والنحاس والدهان	٢٩٩
معنى السيماء والناصية	٣٠٠
معنى الاستبرق والقاصر والنضخ	٣٠١
معنى الرفرف والعبقري والهباء	٣٠٢
المراد من السابقون السابقون	٣٠٣
معنى الطلح والعرب والاتراب والزقوم والمغرم	٣٠٤
معنى الاجاج والزند	٣٠٥
قوله تعالى «لايمسه الا المطهرون»	٣٠٦
معنى المدهن	٣٠٧
المراد من أنه تعالى هو الاول والاخر	٣٠٨
معنى أخذ الميثاق	٣٠٩
المراد من الجنة عرضها كعرض السماء والارض	٣١٠
آية الظهار والكلام حولها	٣١١
كيفية كفارة الظهار	٣١٢
نزول آية النجوى في المنافقين والكفار	٣١٣
معنى استحواذ الشيطان عليهم	٣١٤
الاستدلال بالاية على صحة القياس والجواب عنه	٣١٥

آية الخمس والكلام حولها	٣١٦
مستحقين الخمس والزكاة	٣١٧
قوله تعالى « لانتم أشدرهبة في صدورهم من الله »	٣١٨
معنى القدوس والسلام والمهيمن	٣١٩
كيفية امتحان النبي ﷺ نساء المؤمنات	٣٢٠
دلالة الاية على عدم جواز العقد على الكافرة	٣٢١
معنى المرصوص في الاية الشريفة	٣٢٢
معنى الزيغ	٣٢٣
تفسير قوله تعالى «كمثل الحمار يحمل أسفاراً »	٣٢٤
لزوم صلاة الجمعة لجميع المكلفين	٣٢٥
تفسير سورة المنافقين وشأن نزولها	٣٢٦
المراد من تسبيح مافي السماوات ومافي الارض	٣٢٧
قوله تعالى « ماأصاب من مصيبة الاباذن الله »	٣٢٨
كل ما يأمر الله به فلابد أن يكون مشروطاً بالاستطاعة	٣٢٩
معنى الطلاق في الشرع وأحكامه	٣٣٠
أقسام عدة المرأة	٣٣١
مايجب على المرأة في العدة الرجعية	٣٣٢
اشتراط الاشهاد في وقوع الطلاق	٣٣٤
عدة الحامل	٣٣٥
احكام رضاع الولد	٣٣٦
سبب نزول سورة التحريم	٣٣٧
معنى تحلة اليمين والاسرار	٣٣٨

المراد من صالح المؤمنين	٣٣٩
معنى القانتات والسايحات	٣٤٠
معنى الفطور والخاسىء	٣٤٣
معنى التحريك والعجلة والتمطي	٣٤٦
معنى الانسان والحين	٣٤٧
معنى الامشاج والكأس	٣٤٨
دلالة الاية على أنه تعالى قد هدى جميع المكلفين	٣٤٨
معنى القمطرير والزنجبيل	٣٤٩
معنى السندس والاستبرق	٣٥٠
معنى الالفاف	٣٥٥
شأن نزول سورة عبس	٣٦٠
المراد من المؤودة في الاية الشريفة	٣٦٤
معنى الخنس والجارية والكنس	٣٦٥
معنى العليون والارائك	٣٧٠
المراد من التسنيم	٣٧١
معنى الكدح	٣٧٢
معنى الوسق والطبق	٣٧٣
المراد من الشاهد والمشهود	٣٧٤
معنى الثاقب والترائب	٣٧٥
معنى الغثاء	٣٧٦
المراد من النار الكبرى والصغرى	٣٧٧
معنى الغاشية والضريع	٣٧٨

معنى الفجر وأقسامه	٣٧٩
المراد من النجدين	٣٨٢
معنى الدمدم	٣٨٤
معنى السجى	٣٨٥
قوله تعالى « ووجدك ضالا فهدى »	٣٨٦
المراد من وضع الوزر عن النبي ﷺ	٣٨٧
معنى الطور	٣٨٩
لم سميت ليلة القدر ؟	٣٩٠
بطلان قول من قال الكفار خلقوا كفاراً في بطون أمهاتهم	٣٩٢
الاستدلال بالاية على بطلان الاحباط	٣٩٣
خاتمة الكتاب	٣٩٤
فهرس السور	٣٩٥
فهرس مطالب الكتاب	٣٩٩

VETVS
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY